

الجرائم والعقوبات

في المجتمع الصليبي في بلاد الشام

في القرن ٦-٧ هـ، ١٢-١٣ م



الدكتور
أحمد عبد السلام أحمد

مدرس تاريخ إسلامي جامعة فان هولند



الجرائم والعقوبات في المجتمع الصليبي في بلاد الشام

في القرن ٦-٧ هـ، ١٢-١٣ م

أقام الصليبيون ببلاد الشام مدة
قرنين من الزمان، وخلال تلك الفترة
عملوا على تكوين نواة لمجتمع
مختلف الأعراق، تباينت طبقاته
ولغاته، حتى أهدافه اختلفت فيما
بينهم، وكغيره من المجتمعات كانت
له مشاكله الداخلية.

وهذا الكتاب دراسة أكاديمية لظاهرة
الجرائم والعقوبات داخل المجتمع
الصليبي ببلاد الشام خلال القرنين
الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين،
والقوانين التي سنّها الصليبيون
لمواجهة تلك الجرائم والحد منها.



9789773443061

الجرائم والعقوبات

في المجتمع الصليبي في بلاد الشام

في القرن ٦-٧ هـ، ١٢٠-١٣٠ م

الدكتور
أحمد عبد السلام أحمد

مدرس تاريخ إسلامي
جامعة فان هولند

أحمد ، أحمد عبد الله
الجرائم والعقوبات فى المجتمع الصليبي فى بلاد الشام
فى القرن 6-7 هـ ، 12 - 13 م
ط 1 ، القاهرة : دار الآفاق العربية 2016
259 ص ، 24 سم

- 1- الجريمة والمجرمون - الشام
- 2- الشام - تاريخ اسلامي
- 3- المجتمع الصليبي
- 4- العقوبات
- أ. العنوان 364

تدمك : 1-306-344-977-978
رقم الإيداع : 2014/17948
الطبعة الأولى
2016/1437 م

جميع الحقوق محفوظة
لدار الآفاق العربية
نشر - توزيع - طباعة
55 شارع محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر - القاهرة

تليفون : 00202- 22617339
تليفاكس : 00202-22610164
Email: dar.alafk@yahoo. Com
Email : selim.selim10@yahoo.com



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

المجادلة: (١١)

إهداء

إلى من يسر لي كل سبل النجاة

إلى من تناولاني برعايتهما وحبهما وحنانهما

إلى من لا أجد الكلمات التي تكفي لشكرهما

إلى والدي ووالدتي حفظهما الله برعايته

تقديم

بقلم أ.د. محمد مؤنس عوض

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

بجامعتي عين شمس والشارقة

يسعدني أن أقدم للقارئ العربي العمل العلمي الأول لتلميذي النابه الدكتور أحمد عبد الله وهو بعنوان الجرائم والعقوبات في المجتمع الصليبي خلال القرنين ١٢ - ١٣ م.

لقد عرفت المؤلف من خلال تدريسي له في الفرقة الثالثة وأشرفت على رسالته للماجستير بعنوان: (التجارة في الساحل الشامي في القرنين ١٢، ١٣ م)، وقد أدركت جديته وحرصه على العلم.

ولا ريب في أن الدراسة المذكورة تسد ثغرة في المكتبة العربية خاصة أن الموضوع شاق وأعتمد مؤرخه على قاعدة ضخمة من المصادر والمراجع العربية والأوروبية. ألفت نظر القارئ إلى أن المؤرخ الراحل أ.د. أحمد رمضان بكلية الآداب - جامعة عين شمس أشرف على الدراسة المذكورة وترك بصماته العلمية عليها.

لا أغفل هنا الإشارة إلى أن الدكتور أحمد عبد الله يعد أحد أبناء سمنا العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى الذي أشرف برئاسته والذي قدم لمصر عددًا من المؤرخين والمؤرخات الصاعدين في مجال تاريخ الحروب الصليبية.

ختامًا أجمل التهاني القلبية بصدور هذا الكتاب القيم وتمنياتي للمؤرخ النابه بمزيد من العطاء خدمة لمصرنا الحبيبة الغالية التي تستحق منا الكثير والكثير.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد -خير مبعوث للعالمين- وبعد، لقد شهدت منطقة بلاد الشام خلال القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين، حركة استخراية من قبل الغرب الأوربي المظلم فكرياً تجاه الشرق الإسلامي المستنير، حملت تلك الحركة في طياتها مظاهر التخلف والتعصب الأعمى تجاه كل مذهب يخالف للكاتوليكية. فعلى الرغم من أن دعوة البابا أوربان الثاني أواخر القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري، للقيام بالحركة الصليبية لإنقاذ بيت المقدس من أيدي المسلمين، إلا أن الواقع العملي لمسير تلك الجيوش الصليبية من بداية خروجها من الغرب الأوربي مروراً بالمدن الأوربية المختلفة، ثم بالقسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، لم تترك تلك الجيوش مدينة إلا واقاموا بها أعمال السلب والنهب، مما جعل الأمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين يسارع بنقل تلك الجيوش المتبربرة خارج عاصمته اتقاء لشركهم.

وبعد اجتياز تلك الجيوش لبلاد الشام واستيلائهم على بيت المقدس من أيدي المسلمين، وبعد اقتحام تلك الجيوش بلاد الشام مستغلة ما نشب بين القوى الإسلامية من صراعات عرقية ومذهبية يسرت اختراق القوى الفرنجية الغازية لبلاد الشام مكونة الكيانات الصليبية الأربعة وهي: - الرها- أنطاكية- طرابلس- بيت المقدس. وما أن استقر المجتمع الصليبي في بلاد الشام حتى ظهرت مسالبه وأمراضه الاجتماعية التي أفرزت لنا الكثير من الجرائم التي أدرك عقلاء الصليبيين خطورتها على هذا المجتمع الجديد، ومن ثم قامت القوى الصليبية بسن القوانين للتصدي لهذه الجرائم أملاً في إطالة عمر هذا الكيان الغريب عن المنطقة الإسلامية، ومن هنا عزم الباحث مستعيناً بالله على اختيار هذا الموضوع لعوامل عدة منها:-

أن الدراسات العربية والأجنبية على حد علم الباحث قليلة عن تلك القضية، وإن كانت تناولتها بشكل أو بآخر لكنها بصورة غير شافية، لذلك كان الهدف من ذلك العمل هو دراسة ظاهرة الجريمة داخل الكيان الصليبي على مدى فترة تواجده ببلاد الشام، وعملت تلك الدراسة على تحليل تلك الجرائم، والأسباب التي أدت إلى

انتشارها داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، والتي كانت بدورها عاملاً من عوامل النحر الداخلي التي ساعدت على انهيار المجتمع الصليبي نهاية القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري.

أما عن حظ الموضوع من الدراسات السابقة، فنقر حقيقة وهي قلة الإنتاج العلمي في هذا المجال خاصة في العالم العربي، وإن لم يخل الحقل من المهتمين بالموضوع، ومنهم / الدكتور حسن عبد الوهاب حسين، وأبحاثه القيمة التي قدمها في هذا المجال، ومنها: - الجريمة والعقوبة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام (١٠٩٥ - ١١٨٧ م / ٤٨٨ - ٥٨٣ هـ)^(١)، وبحث آخر عن الرشوة بعنوان: - الرشوة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام منذ الحملة الصليبية وحتى سقوط بيت المقدس (١٠٩٥ - ١١٨٧ م / ٤٨٨ - ٥٨٣ هـ)^(٢)، وكما ترجم بحثاً آخر عن الزنا بعنوان: - الزنا والدعارة واختلاط الأنساب والأجناس والتطهير الجنسي في الحرب الصليبية الأولى^(٣).

وقد ساهم الدكتور حسين محمد عطية ببحثين بعنوان: - «طبائع الفرنج في الحملات الصليبية في ضوء المصادر اللاتينية»^(٤)، وبحث آخر بعنوان: - «قوانين مملكة بيت المقدس الصليبية في ضوء المصادر الصليبية المعاصرة»، غير أن تلك الإسهامات لم تتابع ظاهرة الجريمة بشكل كامل من بداية الوجود الصليبي وحتى نهايته.

أما عن مشاكل الدراسة، فقد واجهت الباحث العديد منها أثناء بحث وكتابة المادة العلمية، ومن هذه المشكلات: -

- أن مصادر الموضوع التي اعتمد عليها الباحث مصادر أوربية كتبت في الشرق اللاتيني، وبالتالي فإنه لا يوجد مصادر أخرى مغايرة يمكن من خلالها مقارنة

(١) حسن عبد الوهاب حسين، دراسات في تاريخ الحضارة الأوربية في العصور الوسطى، (المجتمع الصليبي في بلاد الشام)، ط. الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص. ٣-٦١.

(٢) حسن عبد الوهاب حسين، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، ط. الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص. ٩١-١٥٥.

(٣) نفسه، ص. ١٦٩-١٨٨.

(٤) حسين محمد عطية، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ط. الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص. ١١-.

الأحداث للتوصل لما هو أقرب للحقيقة التاريخية، ولذلك لجأت إلى المنطق التاريخي عسى أن يفيدنا في هذا.

- وليس لدينا من المصادر المسبوقة تناول وعرض لكافة الجرائم لدى الشريحة الدنيا للمجتمع الصليبي، وبالتالي فعلينا دراسة الموضوع من خلال نماذج مختارة.

- ندرة المادة العلمية عن الجرائم داخل المجتمع الصليبي، وقلة حديث المصادر التاريخية التقليدية عن هذا الجانب السلبي الذي شاع وانتشر في المجتمع الصليبي إلا فيما ندر، وهو ما حتم على الباحث التدقيق الشديد في المصادر المتاحة للحصول على المادة العلمية الخاصة بالموضوع.

- ذكورية التاريخ نتيجة تدوين جله أن لم نقول كله بأقلام ذكورية، ومن ثم لم تبرز هذه المصادر دور المرأة بشكل عادل، ومن ثم لم يبرز دور المرأة في الجرائم وهو دور لا يمكن إنكاره من الناحية المنطقية بحكم أن النساء كن أغلبية داخل المجتمع الصليبي.

- وبالرغم من أن الرقي التشريعي لدى الصليبيين والعديد من التشريعات التي جمع معظمها في مجموعة قوانين بيت المقدس، إلا أن جل هذه التشريعات ارتبط بالاقطاع وبالعلاقة السيد بالتابع، إلا أن ندرة المادة العلمية حال دون الربط بين ما سبق من قوانين وبين الواقع الفعلي، وإن كنا نؤكد أن الصليبيين لم يكونوا يسنون القانون إلا بعد حدوث الجريمة.

وقد تم تقسيم هذا العمل إلى مقدمة ودراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع وخمسة فصول وخاتمة وملاحق وقائمة بمصادر ومراجع البحث.

أما عن الفصل الأول فجاء بعنوان:- عوامل ظهور الجريمة في المجتمع الصليبي، وتناول هذا الفصل بالدراسة تكوين المجتمع الصليبي، والذي تعددت جنسياته المتباينة بطباعها وأخلاقها، والتي اشتملت على الحجاج الذين وفدوا من الغرب مصاحبين للجيش الصليبي واستقر بهم المقام ببلاد الشام مكونين نواة المجتمع الصليبي، بالإضافة إلى العناصر الشرقية التي اشتملت على المسلمين وقد مثلوا الغالبية بحكم أن بلاد الشام كانت تحت السيادة الإسلامية قبيل مجيء الصليبيين للمنطقة، بالإضافة إلى بقية عناصر السكان الآخرين من مسيحيين شرقيين وسريان وغيرهم،

وكيف أن المجتمع الصليبي قام على أساس طبقي من بدايته تمثل في طبقة النبلاء والفرسان، الذين مثلوا الطبقة الأرستقراطية داخل المجتمع الصليبي، ثم طبقة العامة من المحاربين الصليبيين، ثم طبقة المسيحيين المحليين، ثم الطبقات الأقل شأنًا بعد ذلك.

ثم تطرق الفصل إلى دراسة النزاعات التي قامت داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، وكيف أنهم دخلوا في نزاعات داخلية كثيرة مع بعضهم البعض ببلاد الشام، مما أدى إلى تصدع النظام الأمني داخل الإمارات الصليبية نتيجة تلك النزاعات من ناحية، ثم ناقش الفصل الصراعات الأوربية التي انتقلت من الغرب الأوربي إلى داخل الإمارات الصليبية ببلاد الشام، وما نتج عن ذلك من حروب أهلية كثيرة أنهكت القوى الصليبية، مما أدى إلى وجود بيئة مناسبة للمجرمين من أجل تنفيذ جرائمهم دون خوف من العقاب.

وحمل الفصل الثاني عنوان: - جريمة القتل، فتناول الفصل تعريف جريمة القتل ودوافعها المتباينة التي أدت إلى انتشارها داخل المجتمع الصليبي، ثم ناقش الفصل استخدام القتل من جانب الصليبيين لتصفية خلافاتهم السياسية فيما بينهم، فقد مثل القتل أسرع تلك الوسائل للتخلص من الخصوم والمعارضين في الرأي خاصة باستخدام الطرق المختلفة لتنفيذ تلك الجريمة، ومن أشهرها السموم التي انتشر استخدامها على نطاق واسع داخل المجتمع الصليبي وبالأخص بمدينة عكا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري.

وتناول الفصل تورط رجال الدين الصليبيين في تلك الجريمة، متغاضين عن الهبة والوقار التي كان من المفترض أن يتمتعوا بها، وقد كانت دوافعهم لذلك دنيوية، وقد كان للمرأة الصليبية نصيب من تلك الجريمة، مع اختلاف دوافعها، فقد كانت دوافع سياسية للمحافظة على الاستقلال السياسي أو دوافع عاطفية من أجل التخلص من الأزواج، وأخيرًا استخدام القتل كعقاب للتخلص من الخصوم أو لمجرد الشك في الولاء.

وجاء الفصل الثالث بعنوان: - جريمة الزنا، وجاء في هذا الفصل تعريف جريمة

الزنا، وناقش الأسباب والدوافع المتباينة التي أدت إلى ارتكاب تلك الجريمة، وتطرق الفصل لإلقاء الضوء على تفشي جريمة الزنا داخل الطبقة العليا للمجتمع الصليبي ببلاد الشام، وإقدام هذه الطبقة على تلك الجريمة دون مراعاة لمكانتهم الاجتماعية بين رعاياهم من الصليبيين. ويضاف إلى ذلك تورط رجال الكنيسة في اقتراف تلك الجريمة الأخلاقية، والتي كانت على النقيض تمامًا من المفروض عليهم القيام به تجاه الصليبيين من نصح وإرشاد والابتعاد عن الرذائل الأخلاقية بكافة أشكالها، ثم تأتي طبقة العامة والتي مثلت القاعدة العريضة من المجتمع الصليبي نظرًا لكثرة أعدادها، والتي تفشت بينها تلك الجريمة بشكل قبيح.

وحمل الفصل الرابع عنوان:- جريمة الرشوة، وقام الفصل بتعريف جريمة الرشوة ودراسة دوافعها المختلفة، ثم ناقش الفصل تورط رجال الطبقة العليا للمجتمع الصليبي سواء كانوا من الملوك أو النبلاء في تلك الجريمة، وتعددت الأسباب التي من أجلها قدموا على فعل ذلك، ثم مشاركة رجال الكنيسة بنصيب في تلك الجريمة، والتي دلت على تدني المستوى الأخلاقي لتلك الطبقة، ثم مساهمة طبقة العامة بنصيب من تلك الجريمة.

ثم الفصل الخامس والأخير وهو بعنوان القوانين والعقوبات ومدى تطبيقها داخل المجتمع الصليبي، فعرف الفصل بكيفية نشأة القوانين الصليبية وتطورها على مدى القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين، ثم عرف بالتنظيم القضائي عند الصليبيين وتعدد أنواع المحاكم داخله، وكيف اختصت كل طائفة بمحكمة خاصة بها، ثم وضع القوانين الخاصة بالجرائم التي انتشرت داخل ذلك المجتمع.

وأخيرًا، فأحمد الله عز وجل على فضله وكرمه الذي مكنتني من إتمام ذلك العمل، على الرغم مما به من نقصان، فالكمال لله وحده، لذلك لا يسعني إلا أن أشكر الله على فضله ونعمه التي لا تعد ولا تحصى.

وأتوجه بالشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي ومعلمي، الأستاذ الدكتور/ أحمد رمضان أحمد رحمة الله عليه، الأستاذ المتفرغ بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة عين

شمس، والذي شملنى بالرعاية وشرفت بإشرافه على تلك الرسالة طوال فترة خمس سنوات متتالية، الذي لم ييخل فيها بوقته ولا جهده في الإشراف على تلك الرسالة، كما قام بتصحيح الكثير من المفاهيم التي لم يكن أدركها خلال فترة الدراسة، فجزاه الله عني وعن زملائي خير الجزاء.

كما أتوجه بخالص شكري وعظيم امتناني إلى إستاذي ومعلمي، الأستاذ الدكتور/ محمد مؤنس أحمد عوض، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب، جامعة عين شمس، وكلية الآداب والعلوم بالشارقة، فقد كان صاحب فكرة الموضوع، وطول الخمس سنوات وهي فترة إعداد الرسالة، لم يكن ييخل أبدًا بجهده ووقته ومكتبته العامرة بثتى المصادر والكتب القيمة التى أثرت موضوع الرسالة، كما تفضل بتوجيهي إلى الكثير من وجهات النظر والأفكار التي قومت من مسارها، فله مني كل الشكر والامتنان، وجزاه الله عني خير الجزاء، وجعله في ميزان حسناته.

كما أتوجه بالشكر إلى الدكتور/ محمد فوزي مصري رحيل، الذي لم يتركني طوال فترة إعداد الرسالة سواء بإمدادي بالمصادر والمراجع التي أثرت موضوع الرسالة، أو بمساهمته في استقامة ما اعوج من جوانب الرسالة، ولم ييخل بالنصح والإرشاد والخبرة التي لديه في ذلك المجال، فجزاه الله عني خير الجزاء، وجعله في ميزان حسناته.

كما أتوجه بشكري وعظيم امتناني إلى جميع زملائي الذين ساعدوني خلال تلك المرحلة من إعداد الرسالة، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وبعد فتلك ثمرة عملي المتواضع، والذي أرجو من الله أن يتقبله، وبالله التوفيق.

دراسة نقدية لأهم مصادر البحث

لقد تعددت وتنوعت مصادر البحث من الجوانب الصليبية، ومن بدايات تلك المؤلفات التي تحدثت عن الكيان الصليبي، هو مؤلف فوشيه الشارترى (Foulcher of Chartres) بعنوان :- تاريخ الحملة إلى بيت المقدس - (Historia Heirosolymitana) - وقد تحدث الكتاب عن بداية دعوة البابا أوربان الثاني في كليرمونت بفرنسا، وتحرك الجيوش الصليبية وتوجهها إلى بلاد الشام، وانتهى مؤلفه في عام ١١٢٧م/٥٢١هـ، وكان فوشيه القس الخاص بالملك الصليبي بلدوين الأول، وقد نسب فوشيه إلى شارتر وهي المنطقة التي وفد منها^(١).

وقد تميز مؤلف فوشيه أنه كان من بواكير المؤلفات التي تحدثت عن تدهور الوضع الأخلاقي للصليبيين، وذلك خلال تقدم الجيوش الصليبية من آسيا الصغرى مروراً بالساحل الشامي، وحتى إسقاطهم لمدينة بيت المقدس ١٠٩٩م/٤٩٢هـ^(٢)، بل ويعد كتاب فوشيه الشارترى هو المؤلف الوحيد الذي كتبه مستوطن صليبي غطى المرحلة التكوينية المبكرة للإمارات الصليبية عقب الحملة الصليبية الأولى^(٣).

ثم يأتي بعد ذلك كتاب ألبرت دي أيكس Albert D'Aix وهو بعنوان: Historia Heirosolymitana Expedations، ويقع هذا المؤلف في اثني عشر فصلاً، وقد كتبه ألبرت في الفترة من عام ١١٢٥-١١٣٠م/٥١٩-٥٢٤هـ، وينتمي ألبرت دي أيكس لمدينة أيكس الألمانية وليست البروفانسية على عكس ما كان يعتقد الكتاب القدامى، فقد كان ألبرت كاهناً وأميناً لكنيسة أيكس، ولم يعرف اسمه بالكامل، ولم تشر المصادر إلى تاريخ ولادته أو وفاته، وظل ألبرت شخصية غامضة إلى حد ما^(٤)، وعلى الرغم من أن ألبرت لم يحضر إلى بلاد الشام، فقد اعتمد في تدوين مؤلفه على روايات شهود العيان، وعلى مؤلفات أخرى اندثرت مع مرور الزمن^(٥).

(١) فوشيه الشارترى، الاستيطان الصليبي في فلسطين، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥-١١٢٧م، ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ٢٦.

(٢) نفسه، ص ١٠٢.

(٣) نفسه، ص ٢٥.

(٤) صفاء عثمان محمد إبراهيم، مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الثاني (١١١٨-١١٣١م/٥١٢-٥٢٥هـ)، دار العالم العربي، ط. القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٢٩، هامش (١).

(٥) علية الجنزوري، إمارة الرها الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١٤=

وقد تميز هذا المؤلف بوجهة النظر الناقدة للمجتمع الصليبي في بدايات تكوينه، وقد سجل بدايات ظهور الجرائم المختلفة منذ بداية زحف الجيوش الصليبية من الغرب الأوربي وصولاً إلى بلاد الشام، وقد أنكر على الصليبيين اقترافهم لتلك الآثام، التي كانت على النقيض تماماً من أهدافهم المعلنة.

ومن المصادر المهمة لموضوع الدراسة، مؤلف وليم الصوري William of Tyre بعنوان A History of Deeds Done Beyond The Sea، وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية لذلك المصدر^(٦)، وقد بدأ في تدوينه عام ١١٦٩م/٥٦٥هـ حتى عام ١١٨٤م/٥٨٠هـ. وقد تميز هذا الكتاب بأن مؤلفه قد ولد على أرض بلاد الشام، وشغل المناصب الدينية حتى وصل إلى رئيس أساقفة صور، ويضاف إلى ذلك قربيه من القيادة السياسية ومركز صنع القرار الصليبي، وقد تميز مؤلف وليم الصوري بأن مادته جمعت بعناية ودقة، وقد تميز أسلوبه بالتحليل المنطقي للأحداث، وكذلك ندرت الإشارات التي تحدثت عن الخرافات، وتتميز مؤلفه أيضاً بالنقد الاجتماعي للمجتمع الصليبي، وما كان يدور فيه^(٧). وقد لمس وليم الصوري مواطن الضعف داخل المجتمع الصليبي، بل توقع وليم الصوري سقوط مملكة بيت المقدس، حيث توقع ذلك الحدث الخطير بناءً على ما شاهده وقام بتحليله وأندر بحدوثه قبل غيره من المعاصرين، وكان تاريخ وليم الصوري بمثابة مؤشر واضح للجرائم التي كان يرتكبها الصليبيون، كما فصل تاريخ وليم الصوري المنازعات التي كانت تقع بين القادة الصليبيين، والتي كانت سبباً رئيساً في الجرائم التي وقعت بينهم، ويضاف إلى ذلك وقوع وليم الصوري ضحية إحدى تلك الجرائم.

ومن الوثائق الهامة التي اعتمدت عليها الدراسة، وثيقة عرفت باسم مانسي- Mansi، تحت عنوان: - Sacrorum Concilorum nova et amplissima

=صفاء عثمان، المرجع السابق، ص ٢٩-٣٠.

(٦) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة، ١٩٩١م.

(٧) محمد مؤنس عوض، النقد الاجتماعي من خلال كتابات وليم الصوري (ت. ١١٨٦م) وأبي شامة المقدسي (ت. ١٢٦٧م): دراسة في التاريخ المقارن لعصر الحروب الصليبية، ضمن كتاب: الحروب الصليبية دراسات في التاريخ المقارن، دار العالم العربي، ط. القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١٢١-١٢٥.

Collectio^(٨)، وقد تعرضت تلك الوثيقة لقرارات مجلس نابلس، والذي عقد عام ١١٢٠م/٥١٤هـ، تحت رعاية الملك الصليبي بلدوين الثاني (١١١٨-١١٣١م/٥١٢-٥٢٥هـ)، وقد تم عقد هذا المجلس من أجل مواجهة تفشي الجرائم داخل المجتمع الصليبي الناشيء ببلاد الشام، والعمل على الحد منها، وذلك من خلال فرض عقوبات قاسية على المذنبين سواء كانوا من الصليبيين أم من العناصر السكانية الأخرى التي خضعت للسيطرة الصليبية ببلاد الشام.

ويعد جاك دي فيتري Jacques de vitry (ت ١٢٤٠م/٦٣٨هـ)، الذي كان داعية للحملة الصليبية الخامسة، من أبرز مؤرخي القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، فقد حضر أولاً إلى مصر مع مقدم الحملة، ثم استقر به المقام بمدينة عكا، فقد تم تعيينه أسقفاً لها وذلك في عام ١٢١٧م/٦١٤هـ، وبعد ذلك بدأ في تدوين تاريخه بعنوان تاريخ مملكة بيت المقدس The History of Jerusalem، وتم الاعتماد على الترجمة العربية لذلك المصدر^(٩)، ويضاف إلى ذلك خطابه التي بعث بها إلى البابا هونوريوس الثالث Honorius III (١٢١٦-١٢٢٧م/٦١٣-٦٢٤هـ)، التي كانت عبارة عن نقد اجتماعي لاذع للمجتمع الصليبي من شاهد عيان عاصر مرحلة انحطاط ذلك المجتمع في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري^(١٠). وتناول جاك دي فيتري في تاريخه تكوين المجتمع الصليبي بنظره تحليلية ناقدة، وخاصة لعناصر البولان^(١١) التي وجه إليها نقده اللاذع، وحملها مسؤولية انحطاط المجتمع الصليبي، كما أمدنا تاريخ جاك دي فيتري بصورة من صور الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة بمدينة عكا، وما كان يسود هذا المجتمع من خلل بين جنباته.

وفياً يتعلق بالمصادر التاريخية الأرمنية، فيعد تاريخ متى الرهاوي Mathien

(8) Mansi (J.D), Sacrorum Conciliorum nova et amplissima Collectio, Vol. 21, Ahademishche druck –u Verlag , Sanstalt, Austria, 1961.

(٩) جاك دي فيتري، تاريخ مملكة بيت المقدس، ت. عبد اللطيف عبد الهادي السيد، ط. ليبيا، ٢٠٠٥م.

(١٠) نهي فتحي الجوهري، إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٢٦-٢٧.

(١١) للمزيد عن البولان، انظر الفصل الأول.

d'Edesse, Chronique de Mathien d'Edesse (962-1136), Avec la Continuation de Gregoire le Peter Jusq'en 1162 ed وتم الاعتماد على الترجمة العربية لذلك المصدر^(١٢)، التي أمدت البحث بمعلومات عن أحوال الأرمن الذين كانوا خاضعين للحكم الصليبي بمدينة الرها. وقد ولد متى بمدينة الرها، ويلاحظ ذلك من اسمه نسبة لمدينة الرها، وفيما يتعلق بحياته فليس لدينا معلومات عنها، وقد توفي عام ١١٤٤م/٥٣٩هـ وذلك في نفس العام الذي سقطت فيه إمارة الرها على يد عماد الدين زنكي، وبذلك يكون قد عاصر نشأة تلك الإمارة الصليبية واسترداد المسلمين لها مرة أخرى^(١٣)، وترجع أهمية ذلك المصدر إلى انه بمثابة مؤشر لما كان يدور داخل تلك الإمارة الصليبية من تقلبات سياسية واجتماعية أثرت على تماسك تلك الإمارة.

وفيما يتعلق بالمصادر السريانية المعاصرة لتلك الفترة، فيعد تاريخ ميخائيل السرياني Michael Le Syrien, Chronique^(١٤)، من المصادر المهمة عن السريان خلال تلك الفترة، فقد كان ميخائيل السرياني هو البطريرك اليعقوبي لأنطاكية خلال الفترة من ١١٦٦ - ١١٩٩م/٥٦٢ - ٥٩٦هـ، فقد كان تاريخه خاصاً بسوريا بصفة عامة^(١٥)، وعلى الرغم من أن المؤلف كان رجلاً كنسياً، إلا أنه كان له نظرة خاصة للمجتمع الصليبي، بالإضافة إلى نظرتة الدينية، فقد كان ناقدًا للأوضاع التي كان يعيشها السريان تحت السيطرة الصليبية.

كما كان للمؤلفات القانونية التاريخية مثل مؤلف حنا دي أبلين John de Ibelin وهو بعنوان Le Liver de Assises أو كتاب الأسيس، وهو مؤلف قانوني من الدرجة الأولى، وهو ينتمي لأسرة أبلين، والذي يعد من أهم الشخصيات في تلك

(١٢) حولية متى الرهاوي، ضمن: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل ذكار، الجزء الخامس، دمشق، ١٩٩٥م.

(١٣) عليّة الجنزوري، إمارة الرها، ص ١٧.

(١٤) روايات ميخائيل السورى الكبير، ضمن: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل ذكار، الجزء الخامس، دمشق، ١٩٩٥م.

(١٥) عليّة الجنزوري، إمارة الرها، ص ١٩.

الأسرة، فقد كان كونتًا على كل من يافا وعسقلان. فقد كان حنا هو الابن الأصغر لفيليب أبلين وآليس مونتيليار، وحفيدًا لبليان أبلين وماريا كومنين أرملة الملك الصليبي عموري الأول، وابن حفيد باليان الفرنسي مؤسس تلك الأسرة، أي أنه ينحدر من سلالة الملوك والنبلاء. وقد ولد حنا في عام ١٢١٥م/٦١٢هـ وتربى في قبرص حيث كان أبوه نائبًا بها، وفيما يتعلق بمؤلفه فقد كتبه لكي يوضح للملك والأمراء الصليبيين كيف ينبغي أن يحاكموا رجالهم في حالة ارتكابهم للجرائم، والذي أراد توضيحه حنا في ذلك المؤلف، هو أن سادة الصليبيين كانوا في حاجة إلى معرفة القانون، وإجراءات المحكمة العليا التي ينبغي أن تطبق في محاكمة باروناتهم، وكان هدفه من وراء ذلك هو تعليم زملائه من النبلاء والسادة اللاتين، وتقديم إجراء موحد للعمل به داخل المحاكم الصليبية^(١).

وفيما يتعلق بالمصادر الإسلامية المعاصرة التي أمدت البحث بالمعلومات، على رأسها كتاب الاعتبار لمؤلفه أسامة بن منقذ، وقد ولد أسامة في أسرة توارثت حكم إمارة شيزر، وهي مدينة في الشمال الغربي لمدينة حماة، وقد نشأ أسامة على الفروسية، إلى جانب ثقافة الفكرية حيث درس الحديث والفقه والشعر^(٢). والذي ميز كتابات أسامة أسامة بن منقذ عن غيره، أنه كانت له علاقات وطيدة مع الصليبيين، ولذلك أفادت كتاباته في تسليط الضوء داخل المجتمع الصليبي ذاته كل ذلك ساعده على التعبير بأسلوب واضح، وقد أمد كتابه البحث بمعلومات من الناحية الاجتماعية، وذلك من خلال رؤية رحالة خبير، خالط الصليبيين لمدة طويلة من الزمن^(٣)، فقد أبرز من خلال خلال كتابه الانحدر الأخلاقي الذي كان يعيش فيه المجتمع الصليبي، بالإضافة إلى ظاهرة التعصب التي كانت سائدة بين طبقاته المختلفة خاصة بين العناصر الجديدة الوافدة من الغرب الأوروبي، وبين الصليبيين الذين ولدوا على أرض بلاد الشام، كما

(١) حسين عطية، قوانين مملكة بيت المقدس الصليبية في ضوء المصادر الصليبية المعاصرة، ص ٢١-٢٢.

(٢) أحمد أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر- والشام، دار نهضة مصر- للنشر، ط. القاهرة، ١٩٧٩، ص ١٧١-١٧٢.

(٣) محمد مؤنس، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٢٧٤.

استفاد البحث من خلال كتابات أسامة عن المحاكمات التي كانت تتم بين الصليبيين، والطريقة القاسية التي كانت يتم بها معاقبة المجرمين.

ويأتي كتاب رحلة ابن جبير، بعنوان تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، والمعروف برحلة بن جبير، وقد كان بن جبير عربياً أندلسياً، واسمه أبو الحسين محمد بن جبير الكناني، وقد ولد في بلنسية ١١٤٥ م / ٥٤٠ هـ، وتعلم على يد أبيه وعلماء عصره^(١). وقد كان ابن جبير رائد من رواد عصره في مجال الرحلة، وقد نهج على منواله واقتبس منه الكثير من الرحالة والمؤرخين^(٢). والذي يهمننا من رحلة ابن جبير وصفه لمدن بلاد الشام التي مر بها أثناء رحلته، ومنها مدينة عكا وصور، واصفاً لمظاهر الحياة الاجتماعية والمشاهد التي رآها هناك، والعلاقات التي كانت قائمة بين المسلمين والصليبيين^(٣)، حتى أنه أبدى أسفه وندمه على دخوله المدن والمناطق التي خضعت للسيطرة الصليبية واعتبرها زلة قدم، وقد دلت عبارته على مدى الانحلال الخلقي الذي رآه ابن جبير بعينه داخل المدن الصليبية^(٤)، ويرى الباحث أنه لولا حياة ابن جبير، لذكر لنا بالتفصيل عن مظاهر الفساد التي وجد عليها المجتمع الصليبي، غير أن ذلك الحياء حجب الكثير من المعلومات.

ومن المراجع الحديثة التي أمدت البحث بإداة خصبة عن الموضوع، بحث الدكتور حسن عبد الوهاب حسين، بعنوان :- الجريمة والعقوبة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام (١٠٩٥-١١٨٧ م / ٤٨٨-٥٨٣ هـ)^(٥)، وقد تميز هذا البحث بأنه تمهيد

(١) ابن جبير، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، تحقيق: محمد زينهم، دار المعارف، ط. القاهرة ٢٠٠٠ م، ص ٦.

(٢) أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ط. القاهرة، ب.ت، ص ٣٢٤.

(٣) زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، ط. بيروت، ١٩٨١ م، ص ٨٥.

(٤) محمد مؤنس، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ١٩٩٥ م، ص ٣٠٥.

(٥) دراسات في تاريخ الحضارة الأوربية في العصور الوسطى، (المجتمع الصليبي في بلاد الشام)، ط. الإسكندرية، ٢٠٠٠ م، ص ٣-٦١.

للموضوع الأساسي للرسالة، نظرًا لما احتواه من معلومات قيمة عن طبيعة تلك الفترة، غير أن البحث كانت نهايته عام ١١٨٧م/٥٥٨٣هـ وهو عام معركة حطين التي انهزم فيها الصليبيون، واضطربت أحوالهم ببلاد الشام، وبذلك لم يتابع البحث الموضوع لنهاية الوجود الصليبي ببلاد الشام.

وبحث آخر للدكتور حسن عبد الوهاب حسين بعنوان:- الرشوة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام منذ الحملة الصليبية الأولى وحتى سقوط بيت المقدس (١٠٩٥-١١٨٧م/٤٨٨-٥٨٣هـ)^(١)، وتناول البحث تفشي ظاهرة الرشوة داخل المجتمع الصليبي منذ الحملة الصليبية الأولى مازًا بتأسيس الإمارات الصليبية وحتى سقوط مملكة بيت المقدس الصليبية على يد صلاح الدين الأيوبي، غير أن البحث تناول تلك الجريمة من الجانبين الإسلامي والصليبي وتداخل الجريمة فيما بينهم، ويتوقف عند سقوط مملكة بيت المقدس الصليبية، ولم يتابع تطور تلك الجريمة بعد ذلك الوقت.

وبحث آخر للدكتور حسن عبد الوهاب حسين بعنوان:- الزنا والدعارة واختلاط الأنساب والأجناس والتطهير الجنسي في الحرب الصليبية الأولى^(٢)، وهو مقال مترجم لصاحبة جيمس برونديج، حيث تناول الحياة الجنسية عند الصليبيين والفضائح التي ارتكبوها في أثناء رحيلهم من الغرب الأوروبي مرورًا بالقسطنطينية ثم احتلالهم لمدينة بلاد الشام حتى نهاية الحملة بتأسيس مملكة بيت المقدس، متناولاً للجرائم الجنسية التي ارتكبوها خلال زحفهم بمدينة بلاد الشام، وأنهم لم يراعوا الأفكار التي كانوا ينادون بها، وتخلوا عنها لمجرد إشباع نزواتهم ورغباتهم.

ويضاف إلى ذلك بحث متخصص للدكتور حسين محمد عطية، وهو بعنوان :- «طبائع الفرنج في الحملات الصليبية في ضوء المصادر اللاتينية»^(٣)، ويعد هذا البحث

(١) مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، ط. الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص ٩١-١٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٩-١٨٨.

(٣) دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ط. الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص. ص ١٣-٨٤.

من أهم البحوث التي اعتمدت عليها تلك الدراسة، فقد تناول أخلاق وطبائع الصليبيين، وما كان يبدو عليهم من وحشية همجية تعاملوا بها مع بعضهم البعض، بالإضافة إلى الجرائم المختلفة التي ارتكبوها فيما بينهم من ناحية، ومن ناحية أخرى الجرائم التي ارتكبوها بسكان المدن التي مروا بها، والتي خجل المؤرخون المعاصرون من ذكر تلك الآثام التي أقدم عليها الصليبيون، فقد استباحوا جميع المحرمات، وأتوا بجميع المنكرات أثناء زحف حملاتهم العسكرية، ولم يراعوا أية مشاعر دينية أو حتى الأهداف المعلنة التي أتوا من أجلها، وهي تحرير بيت المقدس من قبضة المسلمين.

وإلى جانب ذلك بحث آخر متخصص بعنوان، «قوانين مملكة بيت المقدس الصليبية في ضوء المصادر الصليبية المعاصرة»، بحث مقدم للجنة الترقية^(١)، وهذا البحث له من الأهمية ما يجعله من البحوث التي أوضحت للباحث الطريقة التي سنت بها القوانين الصليبية، وكيفية عمل المشرعين القانونيين في تلك المرحلة، وكيفية نشأة القوانين الصليبية التي تم الأخذ بها في المحاكم الصليبية، بالإضافة إلى الكتب القانونية المتعددة التي ألفها مشرعون صليبيون، سواء كانت أعمال فردية أم جماعية، وقد أبرز ذلك البحث حرص الصليبيين على سن القوانين من أجل الحد من انتشار خطر الجريمة الذي ازداد مع طول فترة بقاء الصليبيين ببلاد الشام.

كما أفادت الدراسة من بحث الدكتور محمد مؤنس:- أضواء على الطب في المناطق الصليبية خلال المرحلة من ١٠٩٨ إلى ١١٧٤ م/ ٤٩١-٥٧٠هـ^(٢)، وترجع أهمية ذلك البحث إلى أنه ألقى الضوء على جانب اجتماعي مهم داخل المجتمع الصليبي، وهو الجانب الطبي وطرق ووسائل علاجهم البدائية، والذي يهمننا في ذلك البحث هو تعرضه للسموم وأنواعها المختلفة التي انتشر استخدامها داخل المجتمع الصليبي لغرض القتل.

(١) بحث مقدم للترقية، ص.ص ١-٥٨.

(٢) عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٦م.

الفصل الأول

عوامل ظهور الجريمة في المجتمع الصليبي

✳ تكوين المجتمع الصليبي.

✳ الصراعات الداخلية في المجتمع الصليبي.

✳ انتقال الصراعات الأوربية إلى المجتمع الصليبي في بلاد الشام.

يتناول هذا الفصل بالدراسة عوامل ظهور الجريمة داخل المجتمع الصليبي، من حيث تكوين المجتمع الصليبي، التي تعددت طبقاته وجنسياته، وسوف يناقش اختلاف الطبقات الاجتماعية التي كونت ذلك المجتمع في منطقة الساحل الشامي، وكذلك سوف يعرض الفصل للصراعات الداخلية التي نشأت بين الصليبيين داخل الإمارات، والحروب التي دارت بينهم داخل الإمارات الصليبية، والتي أدت إلى ضعفها، وكذلك يناقش انتقال الصراعات والمشاحنات الأوربية داخل الإمارات الصليبية في بلاد الشام.

وفيما يتعلق بتكوين المجتمع الصليبي، فلقد اشترك عدد ضخم من الرجال من جنسيات وطبقات اجتماعية متباينة، وظهر ذلك التباين بشكل واضح في التجمعات الصليبية^(١)، وضمت الجيوش الصليبية التي توجهت إلى بلاد الشام فئات من عناصر أوربية مختلفة، وأدى ذلك التجمع الكبير إلى تكوين المجتمع الصليبي ببلاد الشام، فضم ذلك المجتمع الطبقات المحاربة النبيلة، والأحرار ورجال الدين والتجار^(٢)، ومما لا شك فيه أن تلك المشاركة الجماعية في النزوح من أوروبا، عبارة عن هروب من الظروف الاقتصادية والاجتماعية البائسة التي أصابت أوروبا في تلك الفترة.

والذي ساعد على تباين طبقات المجتمع الصليبي ببلاد الشام، قرارات المجامع البابوية بغرب أوروبا، ومنها على سبيل المثال قرارات مجمع لاتيران الأول Lateran I عام ١١٢٣م/٥١٦هـ، والتي تقرر فيها منح الذين يذهبون إلى بيت المقدس، والذين يقدمون العون للذين يدافعون عن المسيحيين، غفران جميع معاصيهم، بل وضعت البابوية جميع ممتلكاتهم تحت حمايتها^(٣)،

(1) Smith, Jonathan Riely, The Motives of the Earliest Crusaders and the Settlement of Latin Palestine, 1095-1100, E. H. R, Vol.98, No.389, Oct, 1983,p721.

(٢) محمود محمد الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر- والثالث عشر- من الميلاد، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص ٤٩.

(3) The Canons of The First Lateran Council, 1123, Canon 11, , in: Medieval Sourcebook, Ninth Ecumenical: Lateran Council, 1123, in:=

وبذلك كانت تلك القرارات بمثابة حافز قوي لتدافع عناصر المجتمع الأوروبي المختلفة، مع مآربها المتباينة للذهاب إلى الأراضي المقدسة ببلاد الشام.

وبجانب تلك الطبقات النبيلة التي وفدت من أوروبا، ضمت الجيوش الصليبية أعدادًا كبيرة من المجرمين بمختلف أنواعهم، كل أولئك أتوا تحت شعار الحروب الصليبية، وتركزوا في الموانئ الساحلية لبلاد الشام^(٤)، وبذلك مثلت أوروبا مركز طرد للسكان في تلك المرحلة.

ولقد انتشرت بأوروبا في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري، الحروب الطاحنة بين كبار الإقطاعيين، وخاصة في فرنسا حيث أوجدت ما عرف بهذنة الرب Pax de Dei وهي عبارة عن فترات زمنية يتوقف فيها القتال بين المتصارعين - ويرجح أنهم أخذوا تلك الفكرة من المسلمين المتعلقة بالأشهر الحرم التي حرم فيها القتال - وقد لعبت الكنيسة دورًا كبيرًا في الحد من تلك الحروب المدمرة، فكانت الحروب الصليبية ما هي إلا محاولة لإرساء السلام، فلقد تفرغ الفرسان للهدف المسيحي الجديد، وبالفعل نجحت الكنيسة وعلى رأسها البابا أوربان الثاني Urban II (١٠٨٨ - ١٠٩٩ م / ٤٨١ - ٤٩٢ هـ)^(٥)، في الوصول إلى ذلك الغرض^(٦)، ويرجح أن

=www.fordham.edu/hasall/basis/LateranI.

(٤) محمود محمد الخوري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، ص ٤٩.

(٥) أوربان الثاني:- واسمه أودودي لاجني Odo de Lagny، ولد بمدينة شاتيلون Chatillon بفرنسا عام ١٠٣٥ م / ٤٢٦ هـ، وتلقى تعليمه الكنسي على يد القديس برونو St. Bruno، ثم دخل السلك الكنسي حيث تدرج في مناصبه حتى صار رئيسًا لدير كلوني Cluny، ثم كاردينالاً أسقفًا لأوستيا Ostia، ثم التحق بخدمة البابا جريجوري السابع Gregory VII، وفي عام ١٠٨٤ - ١٠٨٥ م / ٤٧٧ - ٤٧٨ هـ، صار نائبًا لهذا البابا، ثم خلف البابا فيكتور الثالث Victor III في رئاسة البابوية في ١٢ مارس ١٠٨٨ م / ١٦ ذي الحجة ٤٨٠ هـ وظل متقلدًا ذلك المنصب حتى وفاته في عام ١٠٩٩ م / ٤٩٢ هـ، بعد أسبوعين من سقوط بيت المقدس في يد الصليبيين، انظر:-

Kelly, Oxford dictionary of Popes, New York, 1996, pp. 165-166, Frederic Duncalf, " The Councils of Piacenza and Clermont", in A History of the Crusades, (ed): by: Setton, Vol.I, London, 1969, pp.225-226.

(٦) علي عبد السمیع الجنزوري، الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.

الجهود التي قامت بها البابوية من أجل وقف نزيف الدماء الأوربي، قد باءت جميعها بالفشل، ولم ينجح سوى حل واحد، وهو توجيه طاقة النبلاء الحربية خارج المجتمع الأوربي، حتى تنعم أوربا بهدوء لم تنعم به من فترة طويلة.

ومن ناحية أخرى أدرك الناس في أوربا أن دعوة البابا أوربان الثاني ما هي إلا فرصة من أجل أن يعيشوا حياة أفضل في الشرق المقدس، وربما يكون الفقراء أرادوا الهرب من واقعهم الأليم الذي عايشوه في أوربا، ولذلك كان العامة من الفلاحين وفقراء أهل المدن يظنون أنفسهم أصفياء الرب لأنهم الفقراء، وكان هذا المظهر الديني العاطفي هو الذي ميز حركة الفقراء وموقفهم تجاه دعوة البابا^(٧).

وقبل الموعد الذي حدده البابا أوربان الثاني لرحيل الصليبيين إلى الشرق، في ١٢ أبريل ١٠٩٦م / ١٧ ربيع الآخر ٤٨٩هـ، أي قبل حوالي أربعة أشهر، احتشدت خمسة جيوش من الفقراء والمعدمين ومعهم زوجاتهم، وليس معهم سلاح إلا الهراوات والمناجل والفؤوس والمذاري، وقد انضم إلى أولئك الفقراء قطاع الطرق والأفاقون والمجرمون وغيرهم، لا لكي يكفروا عن خطاياهم، بل لكي يقتربوا خطايا جديدة^(٨).

وقد رأى أحد الباحثين أن تلك الحركة جذبت رجالاً ونساءً من جميع الطبقات، وأن سرعة انضمام تلك العناصر للحملة الشعبية، ربما يرجع إلى انتشار الفوضى، والتسمم الوبائي الذي كان يحتاج غرب أوربا في تلك الفترة،

=القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٢٤٧.

John France, Victory in The East, Cambridge, 1994, p 11, Marshall Baldwin, Some Recent Interpretation of Pope Urban II's Eastren Policy, The Catholic Historical Review, Vol.25, No.4, (Jan., 1940).

(٧) قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١١٠.

(٨) محمود محمد الحويري، بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين، دار المعارف، ط. القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٣٧.

والذي أدى إلى أزمة اقتصادية طاحنة، وهروب الفقراء بنسائهم وأطفالهم، وكان ذلك على عكس رغبة البابا أوربان الثاني، الذي لم يكن يريد انضمام تلك العناصر غير المؤهلة للجيش الصليبية^(١). ومن الواضح أن البابا أوربان أراد عناصر بعينها تذهب إلى الأراضي المقدسة، وهى الفرسان، غير أنه فوجئ بتلك العناصر الشعبية التي تحركت صوب الأراضي المقدسة، وهي غير مؤهلة للقتال وأعمال الحرب، غير أنه لم يكن بيده شيء ليمنع تلك العناصر من الذهاب.

وكان بطرس الناسك^(٢) Peter The Hermit (١١١٣م/٥٠٧هـ)، هو أول من وصل إلى القسطنطينية في ٣٠ يوليو ١٠٩٦م/ ٨ شعبان ٤٨٩هـ، مع جموع كبيرة من الألمان، ووجد في انتظاره صليبين من شمال وجنوب

(١) جوناثان رايلي سميث، حالة الصليبين الذهنية تجاه الشرق (١٠٩٥ - ١٣٠٠م)، ضمن كتاب: "تاريخ أكسفورد للحروب الصليبية"، تحرير: جوناثان رايلي سميث، ت. قاسم عبد قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ١٠٥.

Walter Porges, The clergy, The poor and noncombatants on the first crusade, Speculum, Vol.II, No.I, Jan, 1946, p3.

(٢) بطرس الناسك:- هو مبشر- وقائد أحد جيوش الحملة الصليبية الشعبية، خلال الفترة من ١٠٩٦-١٠٩٩م/٤٨٩-٤٩٢هـ، ويعرف أيضًا باسم بطرس أوف أمينز نسبة إلى المدينة التي ولد بها والتي تقع جنوبي فرنسا، وقد كان أحد الدعاة للقيام بالحملة الصليبية إلى بلاد الشام من أجل إنقاذهم من سيطرة المسلمين، ولم تذكر لنا الحوليات الصليبية أي شيء عن نشاط بطرس حتى وصوله إلى مدينة القسطنطينية، حيث قامت الفرق العسكرية التابعة له بعمليات سلب ونهب واسعة داخل العاصمة البيزنطية، حتى سارع الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين بنقل تلك الفرق إلى أسيا الصغرى عن طريق البسفور، حتى لاقت الهزيمة الساحقة على يد الجيوش السلجوقية في ٢٢ أكتوبر ١٠٩٦م/ ٢ ذو القعدة ٤٨٩هـ، ثم ظهر بطرس بعد ذلك كمبعوث للجيوش الصليبية لكربوغا أثناء حصاره لمدينة أنطاكية في مايو ١٠٩٨م/ جمادى الآخرة ٤٩١هـ، حيث كانت الجيوش الصليبية تعاني من المجاعة، وتوقف مصير تلك الجيوش على مهمة بطرس لكربوغا، وقد تولى بطرس الناسك عملية تسليم وتوزيع العشاء على الجيوش الصليبية، وقد شارك في اختيار حاكم بيت المقدس من الصليبيين، وذلك في ١٥ يوليو ١٠٩٩م/ ٢٤ شعبان ٤٩٢هـ، وفي أغسطس ١٠٩٩م/ شوال ٤٩٢هـ، تولى بطرس عملية التنسيق بين البطاركة الصليبيين واليونانيين في بيت المقدس، وتوفي حوالي عام ١١١٣م/ ٥٠٧هـ، للمزيد من التفاصيل عنه، انظر:-

Alan, Encyclopedia, p.p 946-948.

إيطاليا، وقدم لهم الإمبراطور ألكسيوس كومنين المؤن بقدر ما تسمح به طاقة المدينة، ونصح قادة الجيوش بعدم عبور مضيق البسفور حتى تكتمل جموعهم، غير أنهم لم يستمعوا للنصائح الإمبراطور، وقاموا بأعمال النهب والحرق والسرقه^(١)، ويتضح من ذلك أن الإمبراطور البيزنطي أراد التخلص من تلك الجموع الهمجية التي كادت تدمر عاصمته، وحتى يحفظ الأمن لممتلكاته.

وكانت أعداد الحملة الصليبية الشعبية كبيرة جداً، حتى تم تقديرها بحوالى بياضى ألف من المشاة، بينهم ثلاثة آلاف من الفرسان، واحتوت تلك الأعداد على العديد من الجنسيات الأوربية المختلفة واللغات المتعددة، منهم الفرنسيون والفلمنكيون والإنجليز وغيرهم كثيرون^(٢).

وكانت حماسه الناس التي انطلقوا مع بطرس الناسك ليس لها حد، فقد كانوا عديمي الخبرة بفنون القتال، وتصوروا أنهم سوف يقهروا أعداء المسيح كما صور لهم دعاة الحملة، غير أنهم بمجرد عبورهم لمضيق البسفور تلففتهم سيوف السلاجقة، لتقضي على تلك الحملة غير المنظمة، ويرجح أيضاً أن الإمبراطور ألكسيوس كان يعرف ما سوف تواجهه تلك الحملة من هزيمة على أيدي السلاجقة، وعلى الرغم من ذلك سهل لهم عملية العبور حتى يتخلص من جرائمهم التي مارسوها ضد سكان القسطنطينية.

وفي تلك الأثناء كانت حملة الأمراء تنظم في أوربا، والتي تحركت وتقابلت مع فلول جيوش بطرس الناسك، وواصلوا طريقهم إلى بلاد الشام حيث استولوا على مدينة أنطاكية في شمال الساحل الشامي، ثم واصلوا طريقهم إلى جنوب الساحل، حتى حاصروا مدينة بيت المقدس، واستولوا عليها في ١٥ مايو ١٠٩٩م/ ٢٢ جمادى الآخرة ٤٩٢هـ، وبعد أن هزمت الجيوش الصليبية الجيش المصري في ١٢ أغسطس ١٠٩٩م/ ٢٣ رمضان ٤٩٢هـ، قرر معظم الصليبيين العودة إلى بلادهم، بعد أن أتموا رحلة الحج، وقد عدد العائدين

(١) بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ت. حسين عطية، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص ٦٢.

(2) Frederic Duncalf, The Peasants Crusade, A. H. R., Vol. 26, No.3, Apr. 1921, P449.

بحوالي عشرين ألفاً. وبحلول عام ١١٠٠م/٤٩٣هـ، لم يكن في مملكة بيت المقدس سوى ثلاثمائة فارس، ونفس العدد من المشاة الذين تركوا لحراسة مملكة بيت المقدس ويافا والرملة وحيفا^(١)، وقد تصورت العناصر التي كونت الحملة الصليبية المنظمة، أنهم بمجرد الاستيلاء على مدينة بيت المقدس من أيدي المسلمين، أن مهمتهم ورحلة حجهم قد انتهت وعليهم الرجوع مرة أخرى إلى ديارهم من أجل أولادهم وممتلكاتهم.

وقد نتجت عن قلة أعداد الصليبيين في مدينة بيت المقدس في بادئ الأمر، من جراء السياسة الأولى التي اتبعها جودفري البولوني^(٢) Godfrey of Boyillon (١٠٦٠/١١٠٠م/٤٥٢-٤٩٣هـ)، من تفريغ المدينة من أهم عناصر سكانها وهم المسلمون واليهود، دون المسيحيين المحليين الذين كانوا موضع شك من حكاهما المسلمين نظراً لأن كثيراً من المسيحيين ساعدوا

(1) Jonathan Riely Smith, The Motives of the Earliest Crusaders, p 723, 724.

(٢) جودفري البولوني:- وهو جودفري الرابع البولوني، فقد انتمى إلى سلسلة نسب مشهورة في الغرب الأوربي، فهو ينحدر من جهة أبيه وأمه إلى شارلمان Charlemagne، غير أن موطن ولادته غير معروف على وجه الدقة، فيفترض أن يكون بولونيا Boulogne، وبعد وفاة جودفري الأحذب Godfrey the Hunch Back، الذي أوصى بأن يخلفه ابن أخته جودفري البولوني في حكم دوقيته من بعده، غير أن الإمبراطور هنري الرابع Henry IV، قام بتقليد ابنه كونراد Conrad، حكم دوقية اللورين، الذي كان جودفري البولوني يترقب أن تكون من نصيبه، إلا أن ظنه خائب، ولعل الإمبراطور استند في قراره إلى أن جودفري لم يكن ابناً للدوق السابق، مما جعله في حل من وعد جودفري الأحذب، فما كان من جودفري البولوني إلا أن رضي بالأمر الواقع، وأصبح في خدمة الإمبراطور. وقد حكم جودفري دوقية اللورين نتيجة مشاركته في حملة الإمبراطور هنري في حملته على إيطاليا، وتولى الحكم حوالي عام ١٠٨٢م/٤٧٥هـ غير أن ذلك الوضع لم يكن ليبي طموحات جودفري، لضيق مساحة دوقيته، فسارع بالانضمام إلى دعوة البابا أوربان الثاني لتوجيه الجيوش الصليبية إلى بلاد الشام، حتى تولى حكم مدينة بيت المقدس عام ١٠٩٩م/٤٩٢هـ إلى أن توفي عام ١١٠٠م/٤٩٣هـ انظر:-

وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ١٥٧، عبد القادر أحمد يوسف، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر-والخامس عشر، ط. بيروت، ط. ١٩٦٩م، ص ٥٨، رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ج ١، ص ٢١١، صبري ناصر حمد مكي، جودفري البولوني ودوره في العدوان الصليبي على بلاد المسلمين (أسيا الصغرى وبلاد الشام) (٤٨٨-٤٩٣هـ/١٠٩٥-١١٠٠م)، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ. ص. ص ١٥-١٧.

الغزاة. مما دفع الكثير من المسلمين واليهود إلى هجرة المدينة قبل الغزو الصليبي لها، ومهما قيل عن عدد الصليبيين الذين سكنوا المدينة عقب الغزو، فإن أعدادهم كانت قليلة بسبب سكنى معظم الصليبيين المناطق التي فتحوها في بلاد الشام، وعودة الكثير منهم إلى الغرب الأوربي، ولهذا افتقدت المدن الصليبية إلى الأمن وإلى من يحرسها في العقد الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري^(١).

وبالنسبة للعناصر الصليبية التي تكونت منها طبقة النبلاء والفرسان، فقد كان أغلبها من العنصر الفرنسي الذي كان العنصر الغالب على عناصر الحملة الصليبية الأولى، نظرًا لانطلاق الدعوة من جنوب فرنسا، ومشاركة الكثير من العناصر السكانية الفرنسية في تلك الحملة، ولذلك فإن الوحدات السياسية الصليبية التي تمخضت عن الحملة الأولى، سادتها النظم الإقطاعية المعمول بها في فرنسا، وبسبب تغلب العنصر الفرنسي أضحت لغة التخاطب في مملكة بيت المقدس وإمارة أنطاكية وطرابلس لغة شمال فرنسا^(٢).

ويلاحظ أن الفرنسيين كانوا الأكثر استجابة لدعوة البابوية للحروب الصليبية، وقد دفعتهم الرغبة في الذهاب إلى الأراضي المقدسة إلى ترك ما لديهم تحت حماية البابوية حتى يتمكنوا من تأدية فريضة الحج من أجل تطهير أنفسهم من الذنوب والآثام التي ارتكبوها في أوطانهم، غير أن تلك الفريضة التي قاموا بتأديتها هي أشد أنواع الخطايا التي قاموا بارتكابها، فلم يراعوا حرمة الأماكن المقدسة التي كانوا يزورها، فقاموا بارتكاب المعاصي جهاًراً، ولم يكن هناك رادع لهم.

وقد قام المجتمع الصليبي على أساس طبقي واضح، وكانت أهم عناصر

(١) علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدارسات والنشر- والتوزيع، ط. القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٦٧.

(٢) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامى في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. القاهرة، ٢٠٠٩، ج ١، ص ١٢٠، محمود الحويري، الأوضاع الحضارية، ص ٥٠، ٤٩.

ذلك المجتمع، هي طبقة الفرسان، فقد كان من نتائج النظام الإقطاعي في أوروبا، أن تكونت قوة حربية منهم، وحرص السادة على ازدياد مواردهم، بما أبدوه من اهتمام من إصلاح الأراضي وإنشاء المدن، ووجدوا في اشتراكهم في الحرب ضد الشرق الإسلامي فرصة لإضافة أملاك جديدة إلى إقطاعاتهم أو تملك من تعوزهم الإقطاعات أراضي، يتخذون منها إقطاعات تكفل لهم المعيشة^(١).

وقد مثلت الطبقة الأرستقراطية الطبقة الحاكمة على الرغم من قلة عددها، إذ لم يزد عددهم في مملكة بيت المقدس على ألف فارس من الرجال ومثلهم من النساء والأطفال، ومثل ذلك العدد كان موزعاً على إمارات الرها وأنطاكية وطرابلس، وذلك في السنوات الأولى من احتلال تلك المدن من قبل الصليبيين، وقد ظلت تلك الطبقة التي مثلت العمود الفقري للمجتمع الصليبي، تعاني نقصاً كبيراً في العدد بسبب كثرة القتلى في الحروب^(٢).

وقد تشكلت طبقة عامة المحاربين الصليبيين من العناصر الصليبية الأدنى من الفرسان والنبلاء، فقد كانوا من العامة، الذين شاركوا في الزحف مع الجيوش الصليبية، وهم الذين ألفوا فرق المشاة، فقد كانوا نواة للمستوطنات الصليبية، وبعد استقرارهم ببلاد الشام تزاجوا من المسيحيين الشرقيين المحليين، وبخاصة عنصر الأرمن، مما أدى إلى إفراغ طبقة جديدة وهي:

الفئة الأولى: التي تسميها المصادر العربية والأوربية بالإفرنج البلديين (البولان) وهم الأبناء الذين انحدروا من الزيجات المختلفة التي تمت بين الصليبيين والمسيحيين الوطنيين من أرمن ويعاقبة وسريان وغيرهم، وقد كثرت تلك الزيجات فيما بينهم وخاصة في المدن، واستقروا مع المسلمين وتعايشوا معهم جنباً إلى جنب، وقد حلت تلك الطبقة محل طبقة العامة من

(١) علية عبد السميع الجنزوري، الحروب الصليبية، ص ٢٤٨.

(٢) محمود الحويري، الأوضاع الحضارية، ص ٧٥.

الحملة الصليبية الأولى.

أما الفئة الثانية:- فهم الوافدون الجدد من الصليبيين الذين جاءوا في فترات لاحقة، مع الجيوش المكونة للحملات الصليبية المختلفة مع بداية القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، ويبدو أن المسلمين حدث بينهم وبين العناصر الصليبية الأولى نوع من الانسجام حيث كانت في نظرهم أفضل من الفئة الثانية لتعصبها وجفاء أخلاقها^(١).

ومع تلك الصفات التي وردت عن الصليبيين البلديين والوافدين الجدد، فقد كانت العلاقات بين الجانبين يسودها الحذر وعدم الثقة المتبادلة بين الطرفين، فقد حاول الصليبيون البلديون التقرب من العناصر الصليبية الوافدة أحياناً، غير أنهم وجدوهم جفأة الأخلاق متغطرسين، لذلك لم تبد تلك العناصر الوافدة في عيون الصليبيين البلديين إلا عناصر بربرية همجية^(٢)، حتى أطلق عليهم أحد الباحثين لقب الصقور وخص بذلك العناصر الصليبية الوافدة، والحمام وخص به العناصر الصليبية البلدية^(٣)، وهذا ما يحدث الآن داخل المجتمع الإسرائيلي، من حيث انقسام النخبة السياسية بنفس ذلك التقسيم.

وظهر هذا التناقض جلياً في القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، من خلال وصف جاك دي فيتري للمجتمع الصليبي بمدينة عكا، فقد واصف العناصر البولانية بأنهم محبوبون للتراخي والكسل والخمول، وليس لهم

(١) جاك دي فيتري، تاريخ مملكة بيت المقدس، ص ٢٢٠، إبراهيم القادري بوتشيش، "مجتمع الصليبيين في بلاد الشام من خلال الإسطوغرافيا الإسلامية المعاصرة للحروب الصليبية"، رؤية الآخر، التعارف والتعايش، مجلة التاريخ العربي، العدد: ١٧، ط. القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٢٩٥.

(٢) جاك دي فيتري، المصدر السابق، ص ١٠٦، أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص ١٦٥، ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ت. إلياس شاهين، ط. موسكو، ١٩٨٦م، ص ١٥٥، السيد الباز العريني، الشرق الأدنى، ص ١٧.

(3) Peter W. Edbury, Propaganda and Faction in the Kingdom of Jerusalem, " The Background to Hattin", , in: crusaders and Muslims in Twelfth century Syria, Edited by: Maya Shatzmiller, New York, 1993.p.p 174,175.

هم سوى إشباع رغباتهم وأهوائهم، التي تغلبت على الرغبة في قتال المسلمين. ولاحظ ذلك عند انتهاء الهدنة بين الصليبيين والمسلمين، ووجه إليهم تهمة الخيانة بسبب ميلهم إلى التراخي والاهتمام بالتجارة وأعمال الغش والاحتيال ونهب الحجاج، الأمر الذي جعلهم يثرون ثراء فاحشاً، هذا في الوقت الذي كانوا فيه ينقمون على المحاربين من بني جنسهم^(١).

وقد واجه الصليبيون مشكلة كبرى تمثلت في العناصر التي ولدت على الأراضي المقدسة وبجميع الإمارات الصليبية، وهو أن تلك العناصر اعتبرت أن الأراضي المقدسة هي وطنهم الأصلي، وتناسوا أصولهم الأوربية التي انحدروا منها، وأدى ذلك إلى بروز مشكلة كبرى وهى التنافس والتشاحن الذي ظهر بين تلك الطبقة وبين العناصر الصليبية الجديدة التي كانت تفد إلى الأراضي المقدسة باستمرار، وكان ذلك من أهم الأسباب التي ساعدت على انتشار الجريمة داخل المجتمع الصليبي^(٢).

فمع نمو الجيل الثاني من أبناء الصليبيين في بلاد الشام، وإحلاله تدريجياً محل الجيل الأول، وبالإضافة إلى ذلك تأثرهم بالكثير من الأفكار الشرقية، أدى ذلك إلى اختلاف طبائع أولئك الصليبيين المقيمين ببلاد الشام، عن الصليبيين الذين كانوا يفدون باستمرار في شكل حجاج، واستقروا في بلاد الشام، فأدى ذلك التغير الثقافي إلى حدوث الخلاف والنفور وانعدام الثقة بين الطرفين، وغلبت الكراهية المتبادلة على روح العلاقة بينهم، فأصيب ذلك المجتمع الصليبي بالخلل الداخلي، الذي أدى إلى انهياره^(٣).

وبالمقارنة بين طبقة الفرسان وطبقة العامة، نجد أن طبقة الفرسان كانت

(١) جاك دي فيتري، تاريخ مملكة بيت المقدس، ت. عبد اللطيف عبد الهادي السيد، ط. ليبيا، ٢٠٠٥م، ص ٢٢٠.

Thomas C. Van Cleve, The fifth crusade, in setton: The Later Crusades, 1189-1311, Vol.II, London, 1969, p 382.

(٢) فوشيه الشارترى، الاستيطان الصليبي، ص ٢١٨.

(٣) حسن أحمد البطاوي، "العلاقة بين الصليبيين في الشرق والوافدين الجدد من الغرب الأوربي (٤٩٢-٥٨٢هـ/١٠٩٩-١١٨٧م)، حوليات كلية آداب عين شمس، المجلد ٣٣، أكتوبر-ديسمبر، ٢٠٠٥م، ص ١٩٧.

أسعد حظاً من طبقة العامة في الاستحواذ على الإقطاعات والنفوذ والسلطة، في حين أن طبقة عامة المحاربين وقع عليها عبء المهام الثقيلة في خدمة المجتمع الصليبي مقابل مهام أقل من طبقة الفرسان، ومن ناحية أخرى كانت طبقة الفرسان أكثر ثراء من طبقة العامة، والذي أساء موقف العامة هو الصراع الذي نشب بين المحليين والوافدين الجدد من الغرب الأوروبي.

وواجه ملوك مملكة بيت المقدس الصليبية مشكلة معقدة منذ بداية احتلالهم لمدينة بيت المقدس الإسلامية، وكذلك بقية الإمارات الصليبية الأخرى، ألا وهي نقص العنصر البشري في المملكة، وقد حاول الملك الصليبي بلدوين الأول (١١٠٠-١١١٨ م/٤٩٣-٥١٢ هـ) معالجة تلك المشكلة، فقد إتبع سياسة هدفت إلى جذب العناصر السكانية من أجل تعمير بيت المقدس، فقام بالاتصال بالعناصر المسيحية المحلية والتي كانت تتمثل في اليونانيين الأرثوذكس والموارنة والنصارى واليعاقبة، و الأرمن، فقد كانت تلك العناصر تشكل عشائر كبيرة العدد بالمقارنة بالعناصر الصليبية التي كونت الجيوش الصليبية. وقد تركزت تلك العناصر في المدن الشمالية لبلاد الشام، لذلك قام بلدوين الأول في عام ١١١٥ م/ ٥٠٨ هـ بجذب العناصر السريانية والمسيحيين العرب لكي يستوطنوا مملكة بيت المقدس، فأغراهم بحرية ممارسة الأنشطة التجارية من أجل أن يحمسهم لذلك^(١).

و لقد قام الملك بلدوين الأول من أجل تدعيم المملكة الصليبية الناشئة بعمل ترتيبات للزواج السياسي بين القادة الصليبيين وبين المواطنين الأرمن، وكان أبرز مثال على ذلك زواج بلدوين الأول نفسه من أميرة أرمنية تدعى أردا تدعيها لمصلحة الصليبيين^(٢)، وقد ضمن بلدوين الأول لتلك العشائر حرية ممارسة عقيدتهم، وسمح لليعاقبة باستخدام اللغة السريانية في القداس، وكذلك الطوائف الأخرى^(٣).

(1) Aharon Ben Ami, Institutional Lag and Neofunctions: (The Case of The Latin Kingdom of Jerusalem), in: Comparative Studies in society and history, Vol.7, No.4, Jul, 1965, p416.

(2) Adrian Boas, Jerusalem in The Time of The Crusades, London, 2001, p.p38,39.

(3) Benvenisti (Meron), The Crusaders in The Holy Land, Jerusalem, 1976, p 17.

وكان نقص العنصر البشري من أهم أسباب ضعف الكيان الصليبي في بلاد الشام، حيث عاش الصليبيون في رعب دائم بسبب قلة عددهم بالمقارنة بأعدادهم المسلمين، فقد كانت إماراتهم محاطة بكيان إسلامي مترامي الأطراف من الشرق والشمال والجنوب، لذلك كانت تراودهم المخاوف دائماً من إطباق المسلمين عليهم ومحاصرتهم من جميع الجوانب، مستغلين في ذلك قلة عددهم^(١).

وبمقارنة وضع طبقة المسيحيين الشرقيين وطبقة الصليبيين، نجد أن المسيحيين الشرقيين في وضع طبقي أقل من الصليبيين، حيث كان الصليبيون هم الطبقة المسيطرة على الأوضاع بالمدن المحتلة.

وكان للعنصر الإيطالي دوره في تكوين المجتمع الصليبي، وأول جالية إيطالية كانت موجودة هي الأمالفيون، فعلى الرغم من أنه ليس لدينا ما يثبت اشتراك الأمالفيين في الحملات الصليبية، إلا أنهم أشتركوا في التجارة المنحدرة منها، وربما كانت مشاركتهم ضئيلة بسبب تبعيتها للنورماندين المشتركين في هذه الحروب، غير أن السبب الأهم والأساسي لعدم مشاركتهم في الحروب الصليبية بشكل فعال، هو العلاقة التجارية المتميزة مع مصر والتي جعلتهم لا يقدمون على هذه المغامرة غير المأمونة العواقب، فلقد تمكنوا من المحافظة على ممتلكاتهم القديمة في أنطاكية وبيت المقدس بعد الحملة الصليبية الأولى^(٢).

ويلاحظ أنه على الرغم من سبق مدينة أمالفي Amalfi^(٣) في ممارسة التجارة مع

(١) يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص ٣٠.

(٢) سهير محمد إبراهيم نعينع، «علاقات مصر التجارية بمدينة أمالفي في العصور الوسطى»، ندوة: طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، العدد (٨)، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٣٠٨.

(٣) أمالفي:- تقع المدينة في كامبانيا Campania، بإيطاليا في مقاطعة ساليرنو Salerno، على بعد سبعة عشر ميلاً إلى الجنوب الغربي من مدينة ساليرنو على الساحل الشمالي من الخليج الذي يحمل اسم المدينة Gulf of Salerno، وكانت أمالفي مستعمرة بيزنطية، وقد كانت موجودة في القرن الرابع الميلادي، إلا أنها لم تكن لها أهمية تجارية كبيرة حتى أواسط القرن السادس الميلادي، وقد شاركت مع المدن التجارية الإيطالية الأخرى مثل البندقية وجنوا في التجارة مع الشرق، وازدادت أهميتها في القرن التاسع الميلادي، وذلك بعد انتهاء ارتباطها بمدينة نابولي، وقد رجح بعض الباحثين أن تزايد نفوذ تلك المدينة إلى تلك الإعفاءات التي حصلت عليها من جانب الإمبراطورية البيزنطية، وقد حافظت أمالفي على تجارة مزدهرة مع كل من مصر والشام وصقلية، وانتشرت عملتها في التعامل التجاري في=

مدن الساحل الشامي، قبل المدن الإيطالية الأخرى، غير أن الحروب الداخلية في إيطاليا أنهكتها، وأضاعت جهودها التجارية النشطة، لذلك جاءت مشاركتها ضئيلة مقارنة بالمدن الإيطالية الأخرى.

وكان من أبرز المدن الإيطالية التي شاركت في تكوين المجتمع الصليبي مدينة البندقية، فقد كان وصول أول أسطول بندقية إلى مدن الساحل الشامي بمثابة حدث كبير، فقد شارك هذا الأسطول في فتح مدينة حيفا عام ١١٠٠م / ٤٩٣هـ، حيث كان ميناءً ثانيًا بعد ميناء يافا لمملكة بيت المقدس الصليبية^(١)، وقد فرح جودفري بوصول البنادقة كثيرًا، حيث أسرع لمقابلتهم نظراً لحاجته لدعم بحري، وقد وافقوا على مساعدته لمدة شهرين حتى ١٥ أغسطس من العام نفسه، وفي مقابل ذلك طلب البنادقة أن يكون لهم حق في حرية التجارة وممارستها في جميع الأراضي التي تخضع لسيادة جودفري، بالإضافة إلى أن يُخصص لهم سوقًا وكنيسة في كل مدينة يُخضعها الحاكم الصليبي، ويكون لهم الثلث من كل مدينة يقومون بمساعدته في الاستيلاء عليها^(٢)، ويرجح أن مدينة البندقية أرادت أن تسبق غيرها من المدن التجارية الأخرى من أجل الحصول على امتيازات تجارية بمدن الساحل الشامي.

وكانت كل جمهورية من الجمهوريات الإيطالية بمجرد منحها حياً في إحدى المدن الساحلية الشامية، تبادر بتعيين مدير يشرف عليه، ولكن سرعان ما ازدادت اختصاصات هذا الموظف وأصبح ممثلاً للحكومة بلاده لدى السلطات الصليبية، وكانت سلطة هذا الموظف مطلقة على سكان المستعمرة

=مدن البحر المتوسط، وقد ساعدت أساطيلها البابا ليو الرابع LeoIV ضد هجمات المسلمين عام ٨١٨م، وقد حصلت على استقلالها منذ وقت مبكر من القرن الحادي عشر، وفي حوالي عام ١٠٧٣م، أرغمت على الاعتراف بالتبعية لروبرت جيسكارد Robert Guiscard، زعيم النورمان الذي هاجمها على رأس جيشه، وقد اعتبر البعض هذا التاريخ بداية حقيقة لتدهور مدينة أمالفي كقوة تجارية حيث صارت موضوعاً للمنافسة من جانب جنوا وبيزا، للمزيد من التفاصيل انظر:- محمد مؤنس، الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩-١١٨٧م)، ط. القاهرة ١٩٩٢م، ص ٦٦، حاشية رقم (٥٥).

(1) Joshua Prawer, " The Venetians in Crusader Acre (Reconsideration)", In:- Cross Cultural Convergences in The Crusader period, New York, 1995, P216.

(2) Reinhold Rohricht, Regesta Regni Hirosolymitani, Innsbruch, 1893, P4.

التي يشرف عليها، وكان يستمد هذه السلطة من حكومة بلاده رأساً^(١)، مما جعل سكان الحي يشعرون بأنهم يعيشون في وطنهم الأم.

كما كان هناك دور للقبارصة الذين استقروا في مدينة بيروت Baruth^(٢) الساحلية، في تكوين المجتمع الصليبي، حيث قاموا بتأسيس كنيسة لهم فيها، بالإضافة إلى الخانات والحمامات^(٣)، كما كان لتجار مارسيليا دور في تكوين المجتمع الصليبي بمدن الساحل الشامي، حيث قاموا بتأسيس كومون تابع لهم في مدينة * عكا Acre^(٤).

(١) أسامة سيد علي أحمد، الساحل الشامي في القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري، رسالة ماجستير، كلية الأداب، جامعة عين شمس، ط. القاهرة ١٩٩٢م، ص.ص ١٠٥، ١٠٤.

(٢) بيروت:- تعد مدينة بيروت من أعمال دمشق، وبينها وبين مدينة صيدا ثلاثة فراسخ، والمدينة عبارة عن رأس يدخل في البحر نحو ٩ كم، وتقرب من نهر يسمى ماغوراس Magoras، الذي ساعد كثيراً على تخصيب تربتها، وقد امتازت بيروت بوجود ثغر جيد نشط، وهي تعد من أكثر الثغور نشاطاً على طول الساحل الشامي، الأمر الذي ساعد على وجود خليج طبيعي يحمي من الرياح الغربية، وقد تكون هذا الخليج نتيجة وجود نتوء بري نحو البحر، للمزيد من التفاصيل عن بيروت انظر:-

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط. بيروت ١٩٧٩م، ج ١، ص ٥٢٥، لويس شيخو، بيروت تاريخها وآثارها، ط. بيروت ١٩٢٥م، ص ٦، محمود جلال الدين الجمل، الجبهة العربية في المشرق، ط. القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٢٢١.

(٣) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ط. بيروت، ١٩٩٠م، ص ٢٤.

* عكا:- من مدن الساحل الفلسطيني، وتبعد عن قيسارية مسافة ستة وثلاثين ميلاً، وقد تميزت تلك المدينة بكبر المساحة، بالإضافة إلى وجود غابة من أشجار الزيتون بها، وقد كانت المدينة شديدة التحصين، حتى لقد شبهت في قوة تحصينها وقوتها بمدينة القسطنطينية التي تقع في آسيا الصغرى، غير أنه وجد بها عيب خطير في مينائها، ألا وهو وجود صخور تمتد بطول الساحل، مما أدى إلى تحطم السفن عندها، فمثلت بذلك عيباً شديداً لهذا الميناء، للمزيد من التفاصيل انظر:- المقدسي المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق دي جويه، ط. ليدن ١٩٠٤م، ص ١٩٢، الحميري (محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٨٠م، ص ٤١٠.

Richard Of Holy Trinity , Itinerary Of Richard I and Others To The Holy Land , (Formerly Ascribed To Geoffrey De Vinsauf) Trans. by A Classical= Schola And A Gentleman Well – Read In Mediaeval History , Cambridge 2001, p49.

(٤) هنري برين، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)، ت. عطية القوصي، ط. القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٣٤.

وبمقارنة أوضاع التجار الإيطاليين بالقبارصة، نجد أن الإيطاليين كانوا أسعد حظاً من ذويهم القبارصة، وذلك نظراً لقوة التجار الإيطاليين من الناحية الاقتصادية، بالإضافة إلى قوة أساطيلهم البحرية التي جابت أرجاء العالم القديم، بالمقارنة بصغر حجم التجارة القبرصية.

ومع مرور الزمن واستمرار تدفق الحجاج إلى بيت المقدس، برزت جنسيات متباينة ومتعددة، فمنها الفلمنكيون والبروفانسيون، وانضم إليهم الألمان والإنجليز والمجريون وسكان السويد والنرويج والدانمارك، كل تلك العناصر امتزجت بالمسيحيين الشرقيين، وبعد جيل واحد من استقرارهم بالإمارات الصليبية بطول الساحل الشامي، اعتبر هؤلاء أنفسهم شرقيين وتسموا بالبولان، ناسين في ذلك أصولهم الأوربية التي قدموا منها، مكونين مجتمعا استطانياً ولد فيما وراء البحار^(١).

ولقد شكلت الهيئات العسكرية الدينية فئات اجتماعية متميزة بين سكان المدن الصليبية، فقد كانت طائفتا الداوية^(٢)،

(١) فوشيه الشارترى، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: زياد العيلي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٠م، ص ٢١٨، يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص ٩٢، ميشيل بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، ت. بشير السباعي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١٥٥.

(٢) هيئة الفرسان الداوية:- وهي هيئة دينية حربية، تأسست في عام ١١١٨م/٥١١هـ على يد فارس يسمى هيو باين Hugh de Pyns، وأعترف بهم الملك بلدوين الثاني، في العام نفسه، ومنحهم جناحاً من القصر الملكي بالقدس بالقرب من المسجد الأقصى ليكون مقرهم، وحصلوا على اعتراف من البابا هونوريوس الثاني عام ١١٢٨م/٥٢١هـ ثم اعتراف آخر بهم كهيئة نظامية عام ١١٤٦م/٥٤٠هـ على يد البابا يوجين الثالث، وكان زعيم أردية بيضاء عليها صليب أحمر، ونتيجة لأهدافها المعلنة وهي حماية الحجاج والزود عن الصليبيين، تدفقت عليهم المنح والهبات حتى صارت هذه الهيئة من أكبر وأغنى الهيئات الدينية العسكرية، وشيئاً فشيئاً صارت مستقلة تماماً عن مملكة بيت المقدس، وامتلكوا العديد من القلاع في شتى أنحاء بلاد الشام، وفي ظل ضخامة الثروات التي جمعوها، شاركوا مشاركة كبيرة في العمليات المالية في المملكة، واشتهروا بالجشع والأنانية في ظل القروض ذوات الفوائد العالية التي كانوا يقرضونها لمن يطلبها، وكانوا أشد الصليبيين ضراوة في قتال المسلمين، ومن ثم كان موقعهم في تنظيم الجيش الصليبي دائماً في المقدمة، لمزيد من التفاصيل انظر:-

والإسبتارية^(١)، اللتان جعلتا من مدينة بيت المقدس مقراً رئيساً لهما، ولم يكونا يشكلان جزءاً عضوياً مكماً لبقية الفئات التي ضمها المجتمع الطبقي الذي أقامه الصليبيون في مدن الساحل الشامي، ككبار النبلاء والفرسان ورجال الدين على الرغم من الدور العسكري الكبير الذي كان لهما في خلال القرنين الثاني والثالث عشر

=وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص. ٣٤٦، ٣٤٥.

Addison, The Knights Templars, London, 1852, Read, The Templar, Marin (Sean), The Knights Templar, Wales, 1988.

إبراهيم خيس، جماعة الفرسان الداوية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، صفاء عثمان، مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الثاني في الفترة ٥١٢-٥٢٥هـ (١١١٨-١١٣١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، ٢٠٠٥م، ص. ١٥١-١٥٣.

(١) هيئة الفرسان الإسبتارية:- وهي أقدم الهيئات الدينية العسكرية التي تأسست في الساحل الشامي إبان فترة الاحتلال الصليبي، ويرى وليم الصوري أن تاريخ هذه الهيئة يعود إلى فترة طويلة تسبق التواجد الصليبي في صورة مستشفى أسسها عدد من تجار أمالفي في القدس لعلاج الحجاج المسيحيين، ومع الاحتلال الصليبي للقدس تطورت تلك الهيئة بصورة تدريجية، بفضل الخدمات الصحية التي قدمها أعضاء الهيئة للمشاركين في الحملة الصليبية الأولى، ومن ثم حين عادوا إلى أوطانهم أغدقوا المنح والهبات على الهيئة التي صار لها العديد من الفروع في جميع البلدان الأوربية، غير أنها لم تظهر في صورة الهيئة العسكرية قبل عام ١١٢٦م/٥١٩هـ، وبحلول عام ١٢٤٨م/٦٤٥هـ صار الدور العسكري للجماعة ملحوظاً للجميع ومن ثم تدخل البابا ألكسندر الرابع Alexander IV وحدد لهم زياً خاصاً بهم لا يرتديه غيرهم وهو عباءة سوداء ومعطف عليه صليب مثنى الأطراف، وقد توالى الهبات على هذه الهيئة حتى صارت تتحكم في عدة قلاع وتحوز عدة إقطاعات في شتى أنحاء المستعمرات الصليبية، وفي ظل تراكم الثروات تغلب الدافع الاقتصادي على الدافع الديني لدى فرسان الهيئة، وفي القرن الثالث عشر- في ظل ضعف المملكة الصليبية، استطاع الإسبتارية الاستيلاء على مزيد من الإقطاعات، بل والمدن الكاملة التي تنازل عنها أصحابها في ظل عجزهم عن الدفاع عنها أمام قوة المسلمين المتنامية خاصة بعد قيام دولة المماليك، لمزيد من التفاصيل انظر:-

Cartulaire Genera de l'Ordre des Hospitaliers de St. Jean de Jerusalem, 4 tomes, Paris, 1894-1906, Xorduim Hospitalairiouroum, in R.H.C.O.cc., vol.V, pp401-435: Cf. also, King, The Knights Hospitallers, David Nicolle, Knight Hospitallers, Uxbridge, 2001.

راجع أيضاً:- محمود الخوري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، ص. ٥٦-٦٥، رايلي سميث، الإسبتارية فرسان القديس يوحنا، ترجمة: صبحي الجابي، ط. دمشق، ١٩٨٤م، مصطفى الحناوي، الفرسان الإسبتارية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي، ط. الرياض، ٢٠٠٥م.

الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين، وكان أبرز ما يميز هاتين الطائفتين وضعهما القانوني في المدن الصليبية أنهما لم تخضعهما لسلطة الملك المباشرة أو المؤسسات المختلفة التي أقيمت لتنظيم حياة المجتمع، وإنما خضعتا لمجموعة الأنظمة والقواعد التي وضعت لهما، من قبل الكنيسة الكاثوليكية أو حظيت بمصادقة البابوات، وحتى بطريرك كنيسة القيامة الذي كان بدوره تابعاً للبابا، لم يكن له نفوذ فعلي عليهما، وبذلك فقد شكلتا مجتمعين صغيرين داخل المجتمع الصليبي بمدينة الساحل الشامي، وكان يمكنهما على هذا الأساس التعامل مع العالم الخارجي، مثل إقامة العلاقات مع الإمارات الإسلامية، بصورة مستقلة تماماً عن ملك بيت المقدس أو الإمارات الصليبية الأخرى^(١).

وقد حدث هذا الاختلاف والتباين داخل المجتمع الصليبي، نتيجة تبادل الصليبيين للحديث مع رجال من ذوي العلم من المسلمين، لهذا كان من بين الأمراء والنبلاء الصليبيين كثير من المثقفين، لاسيما في بلاط بيت المقدس، وكان من أشهر هؤلاء النبلاء حنا دى ابلين Jean d' Iblen وكان نموذجاً للبارونات المتحضرين من الجيل الثاني، راعياً للفنون مهتماً بالأدب دارساً للقانون^(٢).

ومن زاوية أخرى يمكن تصور العناصر المكونة للمجتمع الصليبي على أنها شملت كافة الأمم الأوروبية ومثلت خليطاً عنصرياً مختلفاً وغير متجانس جمعه الرغبة في الحصول على الثروة والمغانم المتعددة، فإذا ما لاحظنا توافر عداءات متوارثة، فقد أدى إلى فقدان المجتمع الصليبي تماسكه البنائي الاجتماعي، وظل يعاني من عدم وجود التجانس على نحو عجل بانتياره في آخر المطاف^(٣).

(١) يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص. ٣٠٥-٣٣٨، مصطفى الحيارى، مدينة القدس في عصر الفاطميين والفرنجية، ص. ٦٤، ٦٣.

(٢) محمود الحويرى، الأوضاع الحضارية، ص ٢١٩.

(٣) محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩-١١٨٧ م)، ط. القاهرة ١٩٩٢ م، ص. ٢٣٨، ٢٣٧.

وقد ظهر ذلك واضحاً خاصة بعد معركة حطين ١١٨٧م / ٥٨٢هـ، فقد تجمعت العناصر الصليبية المتبقية بعد المعركة، واتخذت من عكا ومدن الساحل الشامى التابعة لها مستقراً ومقاماً، فقد تجمع بها الهيئات الدينية، والجاليات الإيطالية والإنجليزية والألمانية، ورؤساء الأسقفيات التي استولى عليها المسلمون، بالإضافة إلى ذلك الآلاف من عامة الصليبيين وسفرائهم^(١).

وقد كان ذلك الاختلاف في تكوين المجتمع الصليبي واضحاً للجغرافيين المسلمين وعلى رأسهم الشريف الأديسي، الذي أدرك طبيعة البنية السكانية غير المتجانسة للمجتمع الصليبي. وظهر هذا الاختلاف أواخر القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري، حيث أدى ذلك الوضع إلى عدم تجانس المجتمع الصليبي، وتصارع عناصره على نحو ساعد على أن يسقط من الداخل، قبل أن يسقط من الخارج على أيدي القوى الإسلامية المجاهدة، وذلك في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري^(٢).

ومع تنوع الأجناس والمذاهب الدينية التي شكلت المجتمع الصليبي في بيت المقدس والإمارات الصليبية الأخرى، إلا أنه كان يمكن التمييز بين الفئات المختلفة التي استوطنت المدن الصليبية بسهولة، وذلك عن طريق لباسها والأسلوب الذي كان يربون به لحاهم، فتقارير الحجاج التي وصفت السكان داخل المجتمع الصليبي، أعطت وصفاً دقيقاً لمعظم الجماعات الدينية التي كانت تقطن المدن الصليبية، بحيث أن أى متجول في شوارع المدن الصليبية كان يستطيع أن يميز بين مختلف الجنسيات والفئات الدينية التي كانت فيها، ويتضح لنا من تلك الأوصاف أن:-

اللاتين كانوا متمرسين في القتال، وكانت رؤوسهم عارية من أي لباس،

(١) محمد فوزي مصري رحيل، نهاية الصليبيين، (فتح عكا ٦٤٨-٦٩٠هـ / ١٢٥٠-١٢٩١م)، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٩م، ص. ١٨٢-١٨٣.

(٢) محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ١٩٩٥م، ص. ٢٤.

والوحيد الذين يخلقون لحاهم، أما اليونانيون فأذكىاء ويربون شعر لحاهم طويلاً وبأسلوب معين خاص بهم، غير أنهم لم يكونوا متمرسين في استعمال الأسلحة، ويختلف النصارى السوريون عن الجماعات الأخرى فهم عديمو الفائدة في الحرب من ناحية، ومن ناحية أخرى كانوا على الأغلب لا يتركون لحاهم تنمو طويلاً كاليونانيين، إنما يقصونها بأسلوب معين، وكانوا تابعين في كل مكان للشعوب الأخرى وكانوا يتحدثون اللغة العربية، وكانوا مع ذلك يشبهون اليونانيين في جوانب أخرى من حياتهم، وأما الأرمن الذين كان عددهم كبيراً في المدن الصليبية، فيختلفون في كثير من المجالات عن اللاتين وعن اليونانيين، فلهم لغتهم الخاصة بهم، كما كان لديهم بعض الخبرة في استعمال الأسلحة، وأما الكرج^(١) فلهم أيضاً لغتهم الخاصة بهم وأسلوب خاص في تربية لحاهم وترتيبها، ويلبسون نوعاً خاصاً من القبعات، فقد كانوا يتركون شعورهم تطول كثيراً ويلبسون قبعات مكعبة وطويلة، وجميع الكرج من رجال الدين ومن الرجال العاديين كانوا يلبسون التنسور^(٢) Tonsure، حيث كان مدوراً عند الفئة الأولى، ويكون مربعاً عند الفئة الثانية، وكانوا يقلدون اليونانيين في كل ما عدا ذلك^(٣).

والمسلمون وهم سكان البلاد الأصليين، التي قام الصليبيون باحتلالها، وعلى الرغم من أن بعض تلك المدن التي قام الصليبيون باحتلالها، قام أهلها

(١) الكرج:- هم الجورج مع إبدال الجيم بالكاف الفارسية، وهم يدعون أنهم أحفاد قارتلوس، وأن اسمهم الأصلي قارقول نسبة إلى قارتلوس رأس الأمة الكرجية التي كان مقرها مفرق نهري كر وآراغوي من ٢١٠ قزم، ومع أن الكرج عاشوا قديماً في أواسط القرن السابق للميلاد باسم قارقول، وكانوا قبائل متفرقة كل قبيلة تحت إمرة رئيس يعرف باسم (ماماسحليس)، إلا أنه لا يوجد في بطون التاريخ حوادث مهمة تثبت وجودهم قبل هذا العهد، لمزيد من التفاصيل انظر:- =عفاف سيد صبره، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، دار الكتاب الجامعي، ط. القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٤٢٢، يوسف عزت، تاريخ القوقاز، ترجمة: عبد الحميد غالب، ط. القاهرة، ١٩٤٠م، ص ٢٨.

(٢) التنسور:- يرجح أنه نوع من أنواع غطاء الرأس، تم استخدامه في منطقة بلاد الشام من قبل الكرج الذين إستقروا بتلك المنطقة.

(٣) مصطفى الحيارى، مدينة القدس في عصر الفاطميين والفرنجة، ط. عمان، ١٩٩٤م، ص. ص ٥٦، ٥٧، ٥٨.

بمغادرتها عقب غزوها، إلا أنه من الثابت أن الكثير من المسلمين ظلوا تحت الحكم الصليبي، وقد انقسم المسلمون إلى سنة وشيعة، فدانت الأولى بالولاء للخليفة العباسي ببغداد، ودانت الثانية للخليفة الفاطمي بالقاهرة، وقد انقسمت طائفة الشيعة إلى العديد من الفرق والمذاهب المختلفة التي تصارعت مع بعضها البعض^(١). وقد كانت أغلبية المسلمين تشتغل بالزراعة وفلاحة الأرض، وبذلك ظلوا على أنشطتهم الأولى التي كانوا يمارسونها قبل الغزو الصليبي لبلاد الشام، فقد قام الصليبيون بتقسيم الأراضي التي كانت بحوزة المسلمين فيما بينهم، واستخدموا المسلمين في زراعتها^(٢)، ويضاف إلى ذلك قبائل البدو الرحل الذين كانوا يتنقلون وراء قطعانهم، ويتنزهون الفرص للانقضاض على قوافل الصليبيين وممتلكاتهم^(٣).

أما فيما يتعلق بالعناصر اليهودية، فإنه مع مرور الوقت، واستقرار الصليبيين في مدن الساحل الشامي، ومع تطور النشاط التجاري في القرن الثاني عشر الميلادي - السادس الهجري، بدأت تجمعات من اليهود في الظهور مرة أخرى في مدن الساحل الشامي، وذلك سعياً وراء ممارسة النشاط التجاري، غير أنهم حرم عليهم دخول مدينة بيت المقدس، وذلك في الوقت الذي بدأت العلاقات بين اليهود والبابوية تعود إلى سابق عهدها^(٤).

وكانت مدينة صور Tyre إحدى المدن التي كانت مركزاً لاستقرار اليهود ببلاد الشام^(٥)، فعلى سبيل المثال، حيث وجد بها ما يقارب من أربع مائة يهودي، بعضهم

(١) يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص ٦٨، ناجلا محمد عبد النبي، "المسلمون في مملكة بيت المقدس الصليبية"، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد: ٢١، ١٩٩٦م، ص ٥٧-٥٨.

(٢) ناجلا محمد، "المسلمون في مملكة بيت المقدس الصليبية"، ص ٥٨.

(٣) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٣٩٥.

(٤) ميشيل بالار، الحملات الصليبية، ص ١٦٥.

(٥) صور Tyre: - تعد مدينة صور من أحصن المدن التي تقع على الشريط الساحلي لبلاد الشام، وقد جاءت في المركز الثاني من الناحية التجارية بعد مدينة عكا، فقد تميزت بخصوبة تربتها، وقيل إنها من أقدم مدن الساحل الشامي التي شيدت، كما تمتعت المدينة بميناء يشبه ميناء عكا، لأنه منقسم داخلياً إلى ميناءين داخلي وخارجي، فالداخلي =

اشتغل بالتجارة، وامتلك السفن التي قامت برحلات تجارية في موانئ البحر المتوسط المختلفة، والبعض الآخر اشتغل بصناعة الزجاج النفيس، والذي عرف بالزجاج السوري، وقد نال شهرة كبيرة في مدن البحر المتوسط ذلك الوقت^(١).

وإلى جانب مدينة صور، ظهرت تجمعات أخرى لليهود في مدينة جبيل^(٢)، ومدينة طرابلس Tripoli^(٣)، فقد اجتذبت هاتان المدينتان عددًا

= تخصص للسفن المحلية التابعة للمدينة، والخارجي تم تخصيصه للسفن الخارجية، بالإضافة إلى مرسى جيد للسفن، ذي تحصين كبير محكم، ويوجد به قنطرة عليها سلسلة تمنع السفن من الدخول أو الخروج، من الميناء إلا عند رفعها، وقد عدت مدينة صور مخرجاً لتجارة مدينة دمشق ومنتجاتها، بالإضافة لامتلاكها العديد من الثروات الطبيعية، للمزيد من التفاصيل انظر:-

Theoderichs , Description Of The Holy Places, Trans. by Aubrey Stewart, London 1896, p73, Joannes Phocas , The Pilgrimage Of Joannes Phocas In The Holy Land (in the year 1185 A..D), Trans. by Aubrey Stewart, London 1896, p10,

مارينو سانوتو، كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها، مراجعة: بلليغرينو ونكاليا وسمير الحادام، ت. الأب سحيم رزق الله، ط. بيروت ١٩٩١م، ص ٢٤١، ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي)، صورة الأرض، ط. القاهرة ب.ت، ص ١٦٠، أبو الفداء، تقويم البلدان، تحقيق رينود، ماك كوكين ديسلان، ط. باريس ١٨٤٠م، ص ٢٤٩، ابن جبير، الرحلة، ٢٤١.

Kamal (T) , The Saljuqs Of Syria During The Crusades 463-549/1070-1154A.D , Berlin 1997, p183,

أحمد عبدالله أحمد، التجارة في الساحل الشامي في القرنين ١٣، ١٢م/٦٠٧هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص.ص ٩٠-٩٣.

(١) بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، ت. يحيى الخشاب، ط. بغداد، ١٩٤٩م، ص.ص ٩١، ٩٢.
(٢) جبيل:- تقع مدينة جبيل على الساحل الشرقي لحوض البحر المتوسط، فيما بين طرابلس جنوباً وبيروت شمالاً، على بعد عشرين ميلاً من بيروت، وأحد عشر ميلاً من البرتون، وعشرين ميلاً من طرابلس، وهذه المدينة تحتضن المرفأ الصغير التابع لها كلية، وهى ذاتها محاطة بسور خارجي صغير معزز بالأبراج، وتنتصب القلعة في الزاوية الجنوبية الشرقية للمدينة الصغيرة، وأحيط البرج المشيد من حجارة كبيرة متداخلة بجدار سائر من جميع جوانبه، وقوي بأبراج صغيرة في= الزوايا، أما البوابة فمحمية ببرج خاص متميز في منتصف الواجهة الشمالية، وللمزيد من التفاصيل عن مدينة جبيل انظر:- سامية عامر، الصليبيون في فلسطين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص.ص ٧-١٠، مولر فيز، القلاع أيام الحروب الصليبية، ت. محمد وليد الجلاد، مراجعة. سعيد طيان، ط. دمشق، ١٩٨٤م، ص ٨٢.

(٣) طرابلس Tripolis:- وتقع تلك المدينة على شريط الساحل الشامي، وتألقت من تجمعين رئيسيين هما: الميناء=

كبيراً من اليهود الذين قدموا إليها من فرنسا، فاندمجوا مع اليهود المحليين الذين كانت إمارة بني عمار في مدينة طرابلس تدين بترائها وتقدمها الاقتصادي إلى حد ما للدور التجاري الذي لعبه اليهود في المدينة، حتى قام أحد الباحثين بإحصاء عدد الأسر اليهودية في إمارة طرابلس الصليبية بما يقرب من مائة وخمسين أسرة، اشتغلوا بأعمال الصيرفة وصناعة الأصباغ والدباغة^(١).

ومن الجلي البين أن ظهور تلك المجموعات اليهودية، كانت سعيًا وراء النشاط التجاري، على الرغم من المذابح التي أقامتها الجيوش الصليبية لتلك الطائفة، إلا أنها مع مرور الوقت بدأت تعود لمراكزها وممارسة أنشطتها التجارية مرة أخرى، وقد تبدلت نظرة الصليبيين تجاههم، وسمحوا لهم بالعودة مرة أخرى إلى مراكزهم القديمة، بمدن الشام.

على أنه لم يكد يمضي على قدوم الصليبيين إلى بلاد الشام ثلاثون عاماً، حتى تأثروا بالحياة في الشرق الإسلامي، وتطبعوا بعبادات أهل البلاد الذين يعيشون بينهم، وقد لاحظ أسامة بن منقذ ذلك في أثناء حديثه عن المجتمع الصليبي، وأورد أمثلة للعلاقات السلمية التي قامت بين المسلمين والصليبيين^(٢).

=والمدينة، وتبعاً لذلك فإنه يوجد ترابط وتلاحم بين جزء الميناء وجزء المدينة خاصة مع امتداد العمران والمناطق السكنية على طول الطريق الرئيسي الذي يربط الميناء بالمدينة، وتقع مدينة طرابلس على رأس ممتد في البحر يعرف باسم رأس الميناء، ومن المرجح أن هذا الرأس كان يتألف من جزيرة كبيرة وعدة جزر صغيرة متجاورة، ثم سرعان ما التحمت بمرور الوقت، واتصلت بالشاطئ المجاور، وقد اشتهرت مدينة طرابلس بانتشار البساتين التي تنتج الحمضيات والرمان، بالإضافة إلى ذلك إرتبطت مدينة طرابلس بمعظم مدن الظهير الشامي عن طريق عدة طرق برية، للمزيد من التفاصيل عن مدينة طرابلس انظر:-

حسن سيد أحمد أبو العينين، دراسات في جغرافية لبنان، ط. بيروت، ١٩٦٨م، ص ٥٠٨، طه عبد العليم رضوان، في جغرافية العالم الإسلامي، ط. القاهرة ١٩٨٩م، ص ٢٩٧.

(1) Richard (J), Le Conte de Tripoli Sous La Dynastie Toulousaine, Paris, 1945, P33.

(٢) السيد الباز العريني، الشرق الأدنى في العصور الوسطى - الأيوبيون، دار النهضة العربية، ط. بيروت، ١٩٦٧، ص ١٦.

ولقد أرجعت الكنيسة سبب فشل الحروب الصليبية إلى الصراع الذي نشب بين قادة الجيوش الصليبية، والذي استمر من نشأة الإمارات الصليبية أواخر القرن الحادى عشر الميلادى - الخامس الهجرى، وحتى سقوطها في أواخر القرن الثالث عشر الميلادى - السابع الهجرى، حيث عمل المبشرون على إرساء الوحدة بين صفوف الصليبيين، ولكن دون جدوى^(١).

فبرغم حرص المؤرخين الصليبيين على تسجيل كل ما ينم عن التقوى والورع، فإن هؤلاء المؤرخين أنفسهم قد سجلوا في مدوناتهم التاريخية التي روت تاريخ الحملات الصليبية، ما ينم عن حقيقة طابع الصليبيين وسلوكهم وأخلاقهم، فبينما اجتمعت الجيوش الصليبية على هدف واحد معلن وهو تحرير بيت المقدس من أيدي المسلمين، إلا أن الخلافات ما لبثت أن نشبت بينهم وذلك تحت رايات الصليب، فكثيراً ما اختلف الصليبيون على أنفسهم بسبب تقسيم الغنائم، أو من أجل الاستيلاء على المدن الشامية^(٢).

وقد كان أول ظهور لتلك الخلافات بعد الاستيلاء على مدينة أنطاكية عام ١٠٩٨م/٤٩١هـ، حيث ساد الصراع بين قادة الجيوش الصليبية من أجل فوز أحدهم بالمدينة، والسيطرة عليها، وانخرط في ذلك الصراع معظم قادة الحملة الصليبية الأولى، عدا قلة قليلة حاولت تجنب الدخول في تلك الصراعات الطاحنة، ومع غياب قوة دستورية تفصل بين المتنازعين، أصبح لكل قائد من القادة قانون خاص به وحده يعامل به الآخرين^(٣).

وبعد الاستيلاء على مدينة بيت المقدس، وتأسيس مملكة بيت المقدس الصليبية، لم تستقر الأوضاع أيضاً داخل المملكة الوليدة، فبعد وفاة جودفري

(1) Palmer A. Throop, Criticism of Papal crusade policy in old French and provencal, Speculum, Vol.XIII, No.4, October, 1938, p 380.

(٢) حسين عطية، "طبائع الفرنج في الحملات الصليبية في ضوء المصادر اللاتينية"، ضمن كتاب، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ط. الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص ٢١.

(٣) ريموند جيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ت. إنجليزية: جون هيوم جيل - لوريتال جيل، ت. عربية: حسين محمد عطية، ط. الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص ١٥١.

حاكم مملكة بيت المقدس عام ١١٠٠م / ٤٩٣هـ، نشب صراع عنيف بين كل من تنكرد أحد قادة الحملة الصليبية الأولى، وبين جالدهامر بطيريك مدينة بيت المقدس، وتدخل الملك بلدوين الأول في هذا الصراع، وأيد جالدهامر على عدوه «تنكرد»^(١).

بل إن الصراع بين القادة الصليبيين وصل ذروته وذلك عام ١١٠١م / ٤٩٤هـ، عندما قدم رايموند على رأس حملة صليبية جديدة، غير أنه كان على خلاف مع تنكرد، وتمكن تنكرد من أسره وإلقاءه في السجن، وعندما قدم صليبو حملة عام ١١٠١م / ٤٩٤هـ إلى مدينة أنطاكية ناشدوا تنكرد إطلاق سراح رايموند^(٢)، فوافق تنكرد على ذلك بعد أن تنازل رايموند عن حقوقه في أنطاكية واللاذقية^(٣).

ويتضح لنا من تلك المعلومات أن المصالح الشخصية تغلبت على المصلحة العامة، وبدلاً من أن يقوم قادة الصليبيين بالتحالف لمواجهة المسلمين، تشاحنوا وتشاجروا فيما بينهم، وكان سبب ذلك هو الصراع على الزعامة.

وكان لرجال الدين دورهم في تلك الصراعات أيضاً، فقد نشب صراع عنيف بين كل من أرنولف Arnulf de Chocques (١٠٩٩ - ٤٩٢هـ)^(٤)،

(1) Jonathan Riely Smith, The Motives of the Earliest Crusaders, p729.

(2) John Hugh Hill, Raymond of Saint Gilles in Urban's plan of Greek Latin Friendship, Speculum, Vol.26, No.2, Apr. 1951, P272.

(3) James Lea Cate, The Crusade of 1101, in: - setton, vol.I, p352.

أحمد فرج، الحملات الصليبية الفرعية على الشرق الأدنى الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص ١٠٥

(٤) أرنولف:- كان أرنولف من المرافقين للأمير روبرت النورماني Robert of Normandy، حيث كان قسيساً له، وقد كان أرنولف معلماً لـ Cecilia ابنة وليم الفاتح ملك إنجلترا، وقد كان أرنولف شخصية مثيرة للجدل، ففي الوقت الذي أجمع فيه كل من ريموند جيل ووليم الصوري على أنه كان صاحب سمعة سيئة، رأى فيه مؤلف الجيسنا شخصية عاقلة شريفة، بينما لاذ فوشيه الشارترى بالصمت، فلم يذكر أدنى إشارة عنه، وبذلك أصبحت شخصية أرنولف مثيرة للجدل بين المؤرخين والباحثين، للمزيد عنه، انظر:-

بطريك مملكة بيت المقدس الأسبق، وبين دايمبرت Daimbert of Pisa (١٠٩٩ - ١١٠١ م / ٤٩٢ - ٤٩٤ هـ)، بطريك مملكة بيت المقدس، فقد تنازعتهم الأحقاد وحب السيطرة، فقد جاء أرنولف طامعاً في كرسي البطريكية، وعندما وجد دايمبرت بطريكاً لبيت المقدس لم يروقه ذلك، فعمل على إثارة المتاعب في وجه دايمبرت، وأوقع بين دايمبرت والملك بلدوين الأول، طامعاً من وراء ذلك في الوصول لكرسي بطريكية مملكة بيت المقدس، من أجل الحصول على النفوذ والثروة الفاحشة التي كانت تأتي من أموال التبرعات، ونجح أرنولف في قلب الأوضاع في وجه دايمبرت، حتى استطاع خلعه من منصبه، والاستيلاء عليه^(١).

ويلاحظ أن منصب بطريك مملكة بيت المقدس كان له من الأهمية مكان، حيث كانت له الهيمنة على جميع الأسقفيات التي كانت تحت السيطرة الصليبية، وكان بطريك المملكة له من القوة والنفوذ، التي أدت إلى احتدام الصراع بين رجال الدين، وتدير المؤامرات لبعضهم البعض من أجل الفوز بهذا المنصب الرفيع.

وقد كان الانقسام داخل المجتمع الصليبي له المعالم واضحة، منها أن أهل مدينة الرها من الأرمن، عملوا على إثارة المتاعب في وجه بلدوين دي بروج، وخافوا من عودة تنكرد إلى حكم المدينة مرة أخرى، فقد كانت المدينة تحت

= مجهول، أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٥٨ م، ص ١٢٠، ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ت. إنجليزية: جون هيوم جيل - لوريتال جيل، ت. عربية: حسين محمد عطية، ط. الإسكندرية، ١٩٩٠ م، ص. ٢٥٨-٢٥٩، وليم الصوري، الحروب الصليبية، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة، ١٩٩١ م، ج ٢، ص. ١٤٤-١٤٥، جونان رايلي سميث، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ١٩٩٩ م، ص ١٥١، ياسر كامل محمود، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الرابع، (١١٧٤-١١٨٥ م / ٥٧٠-٥٨١ هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، أسيوط، ٢٠٠٨ م، ص ٣٧، (حاشية رقم ٢)).

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٢٠٧، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. القاهرة، ٢٠٠٩، ج ١، ص ٢٤٣.

وصايته وهو أميرًا لأنطاكية، لذلك عقدوا اجتماع بكنيسة القديس حنا بمدينة الرها، ودعوا إلى ذلك الاجتماع رئيس الأساقفة الكاثوليكي، ووجهوا إليه الاتهامات المشينة مما أنذر بحدوث صدام بين الأرمن والصليبيين داخل المدينة^(١).

وفي الوقت نفسه اتصل بعض الأرمن بالأتراك طالبين مساعدتهم في التخلص من الحكم الصليبي للمدينة، وتم الاتفاق بين عناصر من الأرمن والأمير مودود على أن يقوموا بتسليمه قلعة من الجانب الشرقي للمدينة، مما يسهل عليه بعد ذلك الاستيلاء على بقية المدينة^(٢).

وقد فعل الأرمن ذلك ظنًا منهم أن بلدوين دي بورج قد هلك في الصراع ضد تنكرد، ولم يشعروا إلا وبلدوين يدخل المدينة سالمًا، وأحاط علمًا بما فعله الأرمن أثناء فترة غيابه عن الإمارة، فانقلبت سياسته تجاه الأرمن تمامًا، وبدأ في اضطهادهم وتشريدهم وإذلالهم، بل لقد بالغ في إذلالهم، واعتدى على حرياتهم الدينية، كما تعسف في إنزال العقاب بالمذنبين منهم، حتى بلغت العقوبة الحبس والطرود وسمل الأعين، ولم يسلم الأسقف الأرمني من ذلك إلا بعد أن قام بافتداء نفسه بمبلغ من المال^(٣).

ومن الجدير بالذكر أن موقف جماعات الأرمن قد تبدل تجاه الصليبيين بعد فترة قليلة من احتلال الصليبيين لمدينة بلاد الشام، فبعد أن رحبت تلك الجماعات بالوجود الصليبي في بادئ الأمر، اكتشفت حقيقة ذلك الوجود الذي كان يسعى لتحقيق أطماع قاداته الشخصية، فتحول موقفهم من مساند لهم إلى موقف معارض للوجود الصليبي ببلاد الشام.

(1) The Caxton Eracles, Vol. I, in: A Middle English Chronicle of the first crusade, edited and with an introduction by: Dana Cushing, Toronto, 2001, p549.

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٣٦٣.

(٢) علية الجنزوري، إمارة الرها، ص ١٠٩، سعيد عاشور، المرجع السابق، ج ١، ص ٣٧٤.

(٣) حسن عبد الوهاب حسين، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، ط. الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص ١٧، سعيد عاشور، المرجع السابق، ج ١، ص ٣٦٣.

ولم تكن عناصر الأرمن وحدها هي التي عانت من جور الحكم الصليبي، فقد تعرض لظلمهم أيضًا جماعات المسلمين التي ظلت مستقرة في المدن التي استولى عليها الصليبيون، ولم يهاجروا إلى مناطق أخرى، واشتغلوا بالزراعة تحت السيطرة الصليبية، فقد بدأت عناصر من تلك الجماعات في النزوح بعيدًا عن السيطرة الصليبية، وانتقلت إلى الجانب الإسلامي، ولم تقتصر تلك الهجرات على العناصر المسلمة فقط، بل امتدت أيضًا إلى مختلف الشرائح الاجتماعية ومن الملل المختلفة، ولم يسلم من ظلمهم العناصر المسيحية المحلية التي سكنت تلك المناطق^(١).

ولذلك واجه المجتمع الصليبي صعوبات داخلية، نتيجة لطبيعة السكان الصليبيين أنفسهم، التي غلب عليها طابع التناقض الأخلاقي، فبعد أن كان العدو الأساسي للصليبيين هو المسلمين^(٢)، أصبح الصليبيون يوجهون عداؤهم أنفسهم، ويعتدون على بعضهم البعض، وينهبون أراضيهم بأيديهم، وذلك نتيجة لظلمهم الذي أعماهم، وتحدث عن تلك الأوضاع التي يواجهها المجتمع الصليبي^(٣).

ونستنتج من ذلك، أن القيم التي كان يدعو إليها الصليبيون من وجهة نظرهم الصليبية، تلاشت تمامًا بعد فترة قصيرة من تواجدهم ببلاد الشام، وتصارعت شرائح مجتمعاتهم المختلفة التي ضمت أهل بلدان أوروبا المتعددة، كلاً حسب تقاليده وعاداته، وسعى الجميع لتحقيق أهدافه، وأصبح الصليبيون أعداء لأنفسهم.

ولم تكن الاضطرابات في الإمارات الصليبية اجتماعية فقط، بل كانت سياسية أيضاً، فقد نشأت بعض الصعوبات في إمارة أنطاكية ففي عام

(١) عبد المجيد بهني، «أوضاع المسلمين تحت الإدارة الصليبية من خلال رحلة ابن جبير»، (النصوص - التوظيف - الواقع التاريخي)، مجلة التاريخ العربي، العدد: ١١، ط. القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٩٥.

(٢) حسين عطية، طبائع الفرنج في الحملات الصليبية، ص ١٦.

(٣) فوشبه الشارترى، الاستيطان الصليبي في فلسطين، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥ - ١١٢٧م، ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ٢٣٢.

١١٣٠م / ٥٢٤هـ، قتلت عناصر تركمانية الأمير بوهيمند الثاني، ومثل مقتله أزمة سياسية خطيرة في إمارة أنطاكية، حيث أرادت أرملته أليس ابنة الملك بلدوين الأول، أن تمارس الوصاية على الإمارة باسم ابنتها كونستاس، حتى تظل محتفظة بالإمارة لنفسها لا ينازعها أحد في حكمها، وقامت بطلب المساعدة من عماد الدين زنكي عن طريق إرسال رسالة له، غير أنه تم اعتراض الرسول وقتله، وقام الملك بلدوين الثاني بالإسراع إلى إمارة أنطاكية، حيث قام بإسناد الوصاية إلى جوسلين أمير الرها^(١).

واستمر تردي الأوضاع في إمارة أنطاكية، خاصة عندما بلغت الأميرة كونستاس سن الزواج، وأراد رينو دي شاتيون الزواج منها، غير أن عموري دي ليموج بطريك أنطاكية وقف في وجهه، وحاول إثناء الأميرة عن الزواج من رينو دي شاتيون وذلك في محاولة منه للحفاظ على نفوذه في المدينة، غير أن رينو علم بالأمر فقام بالانتقام من البطريك وإنزال أشد ألوان العذاب به، حيث بلغ الأمر حد الضرب وإلقاء البطريك عارياً تماماً في حر الشمس المحرقة^(٢).

ونستخلص من ذلك، أن القادة الصليبيين لم يترددوا في الاستعانة بقيادة المسلمين من أجل تحقيق رغبتهم في تولي شئون الحكم، وتعدوا على الرموز الدينية وأهانوهم من أجل أطماعهم السياسية.

وتظهر مشكلة الوصاية على العرش مرة أخرى، غير أنها هذه المرة في مملكة بيت المقدس، فبعد وفاة الملك بلدوين الثاني Baldwin II (١١١٨-١١٣١م / ٥١٢-٥٢٥هـ)، ترك اثنين من أبنائه وهم بلدوين الثالث وعموري، وكانوا صغار السن، وكان الملك هو بلدوين الثالث بحكم كبر سنه عن عموري، وتولت الملكة مليزندا الوصاية على العرش حتى يتسنى لها

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج ٣، ص. ٧٤، ٧٣، نيكيتا أليسييف، السلطان نور الدين محمود بن زنكي (٥١١-٥٢٩هـ / ١١١٨-١١٧٤م)، ت. سليم قندلفت، مراجعة: علي القيم، ط. دمشق، ١٩٩٨م، ص ٨١.

(٢) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٥١٤.

تدبير شئون المملكة تحت اسم ابنها بلدوين الثالث، على أن المشكلة ظهرت بوضوح عند بلوغ بلدوين الثالث سن الثانية والعشرين من عمره، وطالب بحقه في حكم المملكة، فلم توافق أمه على أن تتنازل له عن السلطة، وعز عليها تتويج ابنها وحده ملكاً لبيت المقدس، فاتفقت سرّاً مع بطريك مملكة بيت المقدس على إعادة تتويجها مع ابنها إشارة إلى مقاسمتها له النفوذ والحكم، بل إن البعض أقترح تقسيم المملكة بين الملك بلدوين الثالث وأمه فيكون لها حكم مملكة بيت المقدس ونابلس ومتعلقاتها، وترك لولدها الأطراف الساحلية مثل صور وعكا وملحقاتها، غير أن الملك بلدوين الثالث رفض ذلك العرض تماماً، وأجل موعد تتويجه، حتى إذا ما مضت بضعة أيام دخل خلصة إلى كنيسة القيامة فجأة، وطلب من البطريك تتويجه بمفرده، وقد استاءت مليزندا من تصرف ولدها، مما أدى إلى غضب أشياعها وقيام حرب أهلية طاحنة بين الطرفين، انتهت بهزيمة مليزندا وحلفائها عام ١١٥٢م/ ٥٤٦هـ، وعقد صلح بين الملك بلدوين الثالث وبين أمه^(١).

ونتيجة لتلك الأوضاع المتردية التي عاشتها الإمارات والمدن الصليبية خلال تلك الفترة، فقد السكان الشعور بالأمان، فلم يعد الخطر الإسلامي هو شاغلهم الأول، بل جاء الخطر أيضاً من الصليبيين أنفسهم، من داخل المجتمع الصليبي ذاته، فلم يشعر المواطنون الصليبيون بالأمان على أنفسهم وممتلكاتهم، ويرجع ذلك إلى كثرة المشاحنات الداخلية، وقلة عدد السكان وبعثرتهم في عدة أماكن مختلفة، ويضاف إلى ذلك أسوار المدن التي تهدمت ولم يعد ترميمها، مما جعل تلك المدن مكشوفة أمام المسلمين بدون دفاعات، فكثر الغارات على الصليبيين، مما أدى بالكثيرين إلى ترك ممتلكاتهم والرحيل عنها^(٢)، وذلك خوفاً على أرواحهم، ولشعورهم بعدم جدوى

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج ٣، ص ٢٣٤، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص. ص ٥١٢، ٥١١، R.C.Smail, Latin Syria and The West, 1149-1187, in: The Royal Historical Society, Fifth Series, Vol. 19, 1969, P5.

(٢) وليم الصوري، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٠.

الشعارات الصليبية، التي جلبت عليهم تلك الكوارث.

واستمراراً للتوتر الذي ساد في الإمارات الصليبية، والعلاقات المتردية بين الملك الصليبي وبين حكام الإمارات الصليبية والنبلاء، فقد جاء جاسوس إلى الأمير رينو دي شاتيون، وأخبره بأن هناك قافلة كبيرة قادمة من القاهرة إلى دمشق، وأنها سوف تمر بالكرك، فجمع فرسانه وانقض سريعا على القافلة واستولى على ما بها، وأسر العديدين ومنهم أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي استشاط غضبا، وأرسل إلى الملك جاي لوزجنان يأمره بإعادة القافلة، وبادر جاي يأمر رينو برد القافلة، غير أن رينو رفض ذلك تماماً، مدعياً أنه هو صاحب الأمر والنهي في أرضه، مثلما للملك في أرضه، وأنه ليس بينه وبين المسلمين هدنة، وكان ذلك سبباً من الأسباب المباشرة لمعركة حطين ١١٨٧م/٥٨٣هـ^(١).

ونستنتج من ذلك أن مخالفة القرار الجماعي الذي اعتاده الصليبيون منذ بداية غزوهم لبلاد الشام، وانفراد أحد قادتهم بالرأي، أدى إلى كارثة حقيقية للصليبيين، والتي أدت بدورها إلى فقدانهم مراكزهم وزعزعة موقفهم ببلاد الشام.

وفي ظل تلك الأجواء المتوترة التي مرت بها الإمارات الصليبية في الساحل الشامي، لم تتوقف الدعوة إلى الحروب الصليبية في الغرب الأوربي في الفترة الواقعة بين عامي ١١٤٩-١١٨٧م/٥٤٤-٥٨٣هـ، بسبب طلبات المساعدة الكثيرة التي أتت من الصليبيين؛ لأن في تلك الفترة حقق كل من نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي العديد من الانتصارات على الصليبيين، نتيجة للأوضاع الداخلية غير المستقرة في مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبية الأخرى، بسبب النزاع على السلطة، وبسبب الفقرة بين الصليبيين في بلاد الشام^(٢).

(١) مجهول، ذيل وليم الصوري، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٥٢.

(٢) عبد السلام محمد زيدان، الدعوة للحروب الصليبية على بلاد الشام (١٠٩٥-١١٨٩م)، رسالة دكتوراه، كلية =

ويدلل ذلك على معرفة الغرب الأوربي بالأوضاع التي كان يمر بها الشرق اللاتيني أولاً بأول وذلك عن طريق رحلات الحج وبعثات البابوية، التي كانت تذهب لبلاد الشام باستمرار، وكانت تمتد الغرب الأوربي والبابوية بتقارير مستمرة عن أوضاع الإمارات الصليبية.

وبعد معركة حطين ١١٨٧م/٥٨٣هـ، وانتصار صلاح الدين على الصليبيين، واسترداده للمدن التي خضعت للسيطرة الصليبية الواحدة تلو الأخرى، ورحيل سكانها الصليبيين عنها، قامت تلك الجموع الصليبية بالتوجه شمالاً إلى إمارة طرابلس، بعد أن زودهم صلاح الدين بالمؤن وأمر أن تصحبهم قوة من الجيش الإسلامي لحراستهم حتى يبلغوا مأمنهم، خوفاً من تعرض قبائل البدو لهم^(١).

وقد قسمهم صلاح الدين إلى ثلاث مجموعات، مجموعة قادتها فرقة الداوية، والثانية قادتها فرقة الإسماعيلية، والثالثة قادها باليان أوف إبلين Balian of Ibelin^(٢) نفسه^(٣)، وبمجرد أن اقتربت تلك المجموعات من حدود إمارة طرابلس، حتى واجهوا هجمات ومعاملة سيئة من أهل نيفين

=الآداب، جامعة أسبوط، ٢٠٠٤م، ص ٢٣٤.

(١) حسين محمد عطية، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (١١٧١-١٢٦٨م/٥٦٧-٦٦٦هـ)، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية، ١٩٨٩م، ص. ص ٢٠٩، ٢١٠.

(٢) باليان أوف إبلين: - الابن الثالث لبارزيان كونستابل يافا، وكان ضمن أمراء أسرة إبلين، وذلك في عهد الملك الصليبي بلدوين الرابع Baldwin IV، وقد تزوج من ماريا كومنين Maria Komnene أرملة الملك الصليبي عموري Amalric وذلك في عام ١١٧٧م/٥٧٣هـ وكانت تلك الزيجة أحد الدعائم المؤسسة لأسرة إبلين ببلاد الشام في القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، وبعد معركة حطين ١١٨٧م/٥٨٣هـ فقدت أسرة إبلين معظم ممتلكاتها ببلاد الشام، ثم قام بالسفر إلى أوروبا من أجل دعم الصليبيين ببلاد الشام، ثم أصبح المستشار الخاص لهنري أوف شامبيني Henry of Champgane، وتوفي في عام ١١٩٣م/٥٨٩هـ، للمزيد:-

Peter Edbury, " The Ibelin Counts of Jaffa: A Previously Unknown Passage from the Ligages d'Outremer", English Historical Review, 89, (1974), pp.604-610, An Encyclopedia, pp623-624.

(٣) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ٢، ص ٦٤٨.

وطرابلس، لم يلاقوها من المسلمين الذين كانوا يزودونهم طوال الطريق بالطعام الوفير^(١).

وواجهت تلك المجموعات أسوأ معاملة من جانب إخوانهم الصليبيين، حيث أمر رينالد صاحب البترون Botron ونيفين Nephin - وهي من المناطق التابعة لطرابلس - رجاله بالترصد لتلك المجموعات الصليبية، واعتراضها والقيام بنهب أموالهم وسرقتهم، واغتصاب كل ما يملكونه^(٢)، وبعد ذلك لجأت تلك المجموعات إلى مدينة طرابلس، غير أن أميرها رفض فتح أبواب المدينة لهم، وخشى سكان المدينة على أنفسهم وعلى مدينتهم من تلك الجموع الخاوية الوفاض، فأغلقوا أبواب مدينتهم في وجههم، وتعدى الأمر ذلك بهجوم أهل طرابلس على تلك المجموعات، ونهب ما بقي بأيديهم من أموال تركها لهم صلاح الدين^(٣)، ويدل ذلك على مدى التفكك الذي حل بالصليبيين، وأن المصلحة الشخصية تغلبت على أية اعتبارات أخرى على نحو دل بجلاء على عدم وجود ما يمكن وصفه بقضية صليبية، يمكن أن تجمع الصليبيين حولها.

وفيما يتعلق بانتقال الصراعات الاوربية إلى المتجمع الشامي، فقد كان الصليبيون هم السبب الرئيسي وراء ضعف الإمارات الصليبية، فعندما تمكنت الجيوش الإسلامية من هزيمة الجيوش الصليبية، ويضاف إلى ذلك النزاعات والمشاحنات التي كانت تقع بين كل من الفرنسيين والألمان، والفرنسيين والإنجليز والألمان، وبين القادمين الجدد من الصليبيين وعناصر البولان، كل ذلك جعل التعاون بين هذه العناصر مستحيلا وسط تلك الصراعات^(٤).

(١) مجهول، ذيل وليم الصوري، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١٢٧.

(٢) مجهول، نفسه، ص ١٢٦.

(٣) سعيد عاشور، الحركة الصليبية ج ٢، ص ٦٤٨.

(4) Virginia G. Berry, The Second Crusade, In setton, The first hundred years, vol. I, London, 1969, p466.

ومن أمثلة تلك الصراعات التي كانت أحد أسباب انهيار المجتمع الصليبي ببلاد الشام، ما وقع من حرب بين كل من البنادقة والجنوية ببلاد الشام، وما نتج عنها من أثار مدمرة، فلقد انحاز الجنويون إلى المركز كونراد، وسانده الملك فيليب أوغسطس، أما البيزيون فعلى العكس من ذلك جهروا بتأييدهم لجاي لوزيجنان وكان لهم علاقة مودة بنوع خاص مع الملك ريتشارد قلب الأسد، وقد أدى هذا الموقف إلى الانفجار، ففي شهر فبراير من عام ١١٩٢م/ ٥٨٧هـ، شن الطرفان حرباً صريحة ضد بعضهم البعض، وكان سبب ذلك أنه تناهى إلى مسامع البيزيين في عكا نبأ مؤامرة دبرها الجنويون لتسليم الموقع لكونراد دى متفترات، فبادروا إلى حمل السلاح، وأغاروا على الجنويين وحلفائهم الفرنسيين ودحروهم، وعندما وصل المركز متوقعاً أن يستولي على المدينة على حين غرة، وجدها متأهبة للدفاع وبعد انقضاء ثلاثة أيام في غارات فاشلة، اضطر إلى التحول عنها والهجوم مع الفرنسيين على صور، ووصل في ذلك الوقت ريتشارد قلب الأسد الذي استنجد به البيزيون^(١).

ورغم الجهود التي بذلت من أجل أن تراث عكا - القلب التجاري للصليبيين - مملكة بيت المقدس وتعيد ما استولى عليه صلاح الدين بالقوة، لم تتمكن من تحقيق ذلك الهدف لتغير الظروف؛ لأن الصليبيين أصبحوا في وضع لا يسمح لهم بالاستمرار في الحرب، ولم تتمكن الحملة الصليبية الثالثة من تحقيق نصر عسكري حاسم على صلاح الدين؛ لأن ما حققه صلاح الدين من انتصارات متتالية على الصليبيين يحتاج إلى استعداد أكبر ووقت أطول، وبسبب تجدد النزاع بين جاي لوزيجنان وكونراد مونفترات على عرش مملكة بيت المقدس في عكا وانقسام الصليبيين على أنفسهم^(٢).

وقد كان القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، قرن المشاحنات

(١) هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ١٩٨٥م، ج ١، ص. ٣٢٢، ٣٢١.

(٢) جرجس فام ميخائيل، الأحوال السياسية لمملكة بيت المقدس للصليبية وعلاقاتها الخارجية (١١٩١-١٢٩١م/ ٥٨١-٦٩٠ هـ)، رسالة دكتوراه، جامعة الزقازيق، ١٩٨٩م، ص. ١٠٦، ١٠٥.

والصراعات المستمرة التي أدت في نهاية المطاف إلى طرد الصليبيين من مدن الساحل الشامي واستعادة الأراضي المقدسة مرة أخرى، وكان أبرز مثال على ذلك هو الحملة الصليبية الخامسة، فقد كان طبيعياً أن يصطحب الجيوش الصليبية مندوب أو أكثر عن البابا في روما، وقد تعمد أولئك القادة تجاهل تعليماته وتخطي ممثليه^(١).

وكان مبعوث البابوية لهذه الحملة هو الكاردينال بلاجيوس Cardinal Pelagius، فقد كان هو المسئول الأول والرئيسي عن فشل الحملة الصليبية الخامسة على مدينة دمياط، فلم يكن قادة الجيوش الصليبية يعتقدوا كثيراً أو يهتموا بمبعوث البابوية^(٢)، ويرجع السبب في ذلك إلى أن رجل الدين أصبح يستخف بالمناصب والألقاب الدنيوية ويطالب بالسبق على رجال الدنيا، وهو يعتقد أن الكنيسة إنما هي صاحبة الأمر، وعلى الأمراء والحكام السمع والطاعة، أما الإقطاعي من رجال الدنيا والذي ولد وغذى بلبان قوم توارثوا العسكرية، فقد كانت الحرب عنده أعلى درجات الشرف لإنسان ذي شرف ومجد، وهو يضيق ذراعاً بعجرفة رجل الدين ويعتقد في قرارة نفسه أن الكنيسة لا يحق لها أن تتدخل في السياسة^(٣).

فعندما بدأت الحملة الصليبية الخامسة على مصر، والتي انتهت بالاستيلاء على مدينة دمياط، غير أنه سرعان ما فقد الصليبيون هذه المدينة المهمة، وقد ألقى الكثيرون بالذنب على بلاجيوس Pelagius، ذلك المندوب البابوي الذي كان عنيداً في قيادته، بالإضافة إلى نزاعه مع القيادات الأخرى للحملة الخامسة، وأن أسباب فشل الحملة يعود إلى الكنيسة، فقد نسب إلى رجال الدين المصاحبين للحملة حبهام للمال الذي كان القضية الأساسية، بالإضافة إلى غدر بلاجيوس بحنا دي برين قائد الحملة^(٤).

(١) ديفز، أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: د/ عبد الحميد حمدي محمود، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٥٨م، ص ١٩٤.

(2) Dana Munro, The Popes and The Crusades, Proceedings of The American Philosophical Society, Vol. 55, No.5, 1916, p353.

(٣) ديفز، المرجع السابق، ص ١٧٩.

(4) Palmer A. Throop, Criticism of Papal crusade policy, p.p 31,32.

ويضاف إلى ذلك أن عناصر الحملة الصليبية التي احتلت مدينة دمياط الذين وصفوا بأنهم ملوثين بالطمع، وسكارى وزناة وفساق ولصوص ومقامرين، على حد تعبير المؤرخ الصليبي أوليفر^(١). ولذلك يرى أحد الباحثين أن البابوية أرادت تصدير العنف الذي كان دائراً في أوروبا إلى الشرق الإسلامي، بدلاً من تناحر المسيحيين فيما بينهم في أوروبا، غير أن الصليبيين الذين خرجوا من بلادهم يحدوهم الأمل في قتل أعداء المسيح - على حد اعتقادهم - سرعان ما تناسوا هدفهم وضعفت حماستهم الدينية فاشتعلت بينهم الانقسامات والخلافات الدموية، ونشبت بينهم صراعات حول المصالح السياسية والمنافع الاقتصادية^(٢).

وبعد النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري، كارثة حقيقية على الصليبيين، لم يكن الدعم الذي يصل من أوروبا يصل إلى مستحقه من البقية الباقية من مملكة بيت المقدس الصليبية، التي تبعثرت على امتداد الساحل الشامي والتي تم القضاء عليها من قبل المسلمين، فبعد الحملة الصليبية الأخيرة للويس التاسع ملك فرنسا، لم يعد الأوروبيون يهتموا بمصير إخوتهم الصليبيين في الشرق الإسلامي^(٣). ومن الجلي البين أن الغرب الأوربي أدرك أن الصليبيين في بلاد الشام، أصبحوا عبئاً حقيقياً عليهم على المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية، ناهيك عن انشغاله بقضاياها الخاصة.

وشهد النصف الثاني من القرن الثالث عشر حرب طاحنة عرفت باسم حرب القديس سابا Sabas^(٤)، كان طرفها التجار الإيطاليين، من البنادقة

(١) أولفر أوف بادربورن، الإستيلاء على دمياط، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٣، ط. دمشق، ١٩٩٨م، ص ٨٣،

Thomas C. Van Cleve, The fifth crusade, p422.

(٢) محمد عبد الله محمد مهيوب المقدم، الإغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، ط. المنصورة، ٢٠٠٥م، ص ١٧٨.

(3) Palmer A. Throop, Criticism of The Crusade, Philadelphia, 1975, p1.

(٤) القديس سابا: - ولد في موتالاسكا Motalaska في قبادوقيا قرب قيصرية عام ٤٣٩م، كان ابناً لأحد الضباط، ويعد أحد البارزين من الجيل الأول من الرهبان، وقد صار قدوة لغيره على نحو صارت معه تعاليمه تؤثر تأثيراً كبيراً =

والجنوية والبيازنة، والتي اندلعت بينهم لأسباب اقتصادية أدت إلى تحاسدهم وتنازعهم^(١)، وكان الموقع الرئيسي لتلك الحرب مدينة عكا، وقد اشترك في ذلك النزاع كل من الداوية وفرسان القديس لازروس^(٢)، وفرسان القديس توماس^(٣)، والإسبتارية وأتباعهم^(٤).

=على الحركة الديرية الشرقية، وعندما كان صغيراً لازم القديس أيوثيموس الكبير Euthymius the Great، وفي عام ٤٥٦م، دخل دير القديس = ثيوكتستس St. Theoctistus في القدس وحين بلغ الثلاثين صار راهباً، أسس في القدس دير خاص به، وجذب كثير من المريدين من مصر. وأرمينيا وبنى عدة مستشفيات وأديرة، وفي عام ٤٧٨م أسس جماعة ديرانية في منطقة مقفرة فيما بين بيت المقدس Jerusalem والبحر الميت Dead Sea، وقد إزدهر أمرها من بعد ذلك بصورة كبيرة، وفي عام ٥١١م، كان ضمن وفد الرهبان الذي ذهب إلى الإمبراطور أنستاسيوس الأول Anstsius لمناقشة بعض أمور العقيدة، وحين بلغ الواحد والتسعين ذهب ثانية إلى القسطنطينية لزيارة الإمبراطور جستنيان عام ٥٣١م، وتوفي عقب عودته بقليل في ٥ من ديسمبر ٥٣٢م، لمزيد من التفاصيل عن سان سابا انظر:-

Delaney, Dictionary of Saints, London, 1980, p543, Attwater, The Penguin Dictionary of Saints, London, 1983, p291.

(1) Anonymous Pilgrim V.2, (1187 – 1198), Trans. by Aubrey Stewart, = P.P.T.S London, 1894, p29.

(٢) هيئة القديس لازروس:- كانت خصصة لرعاية مرضى الجذام، وكان تأسيسها سابقاً للغزو الصليبي للشرق، واتخذوا لأنفسهم شعاراً خاصاً بهم يمثل في الصليب الأخضر الثمن الأطراف، وقد شاركت بدور عسكري يرجع أنه بدأ مع حملة لويس التاسع على مصر، وكان دورها محدوداً للغاية، ومن ثم لم تلتفت إليها المصادر كثيراً، لمزيد من التفاصيل انظر:- محمود الخويري، الأوضاع الحضارية، ص ٧٣، محمد مؤنس، التنظيمات الدينية، ص ٣٩١

King, The Knights Hospitaller, in The Holy Land, London, 1931, pp 303, 304.

(٣) هيئة القديس توماس:- كانت هيئة إنجليزية أسسها راهب إنجليزي عام ١١٨٩م/٥٨٤هـ وكرس وقته لدفن الموتى في مدينة عكا، وتذكر بعض الحوليات الإنجليزية أن التأسيس كان على يد الملك ريتشارد قلب الأسد، ولم يكن للهيئة عدد كبير من الفرسان، ولقيت دعماً من من بيتر دي روش Peter de Roche عام ١٢٣١م/٦٢٨هـ ووضعها تحت إشراف الداوية، كما غمرها الأمير إدوارد حين جاء إلى الشرق بعطفه، وبقيت الهيئة في مدينة عكا حتى عام ١٢٩١م/٦٨٩هـ واتخذت لنفسها زياً تمثل في رداء أبيض وصليب أحمر فضياً، لمزيد من التفاصيل انظر:-

محمود الخويري، المرجع السابق، ص.ص ٧٣، ٧٢، محمد مؤنس، المرجع السابق، ص ٣٩٦.

King, The Knights Hospitallers, p 306, forey, " The Military Order of St. Thomas of Acre", in English Historical Review, Vol.92, No. 346(Jul. 1977).

(4) Mathew of Paris, English History from the year 1235 to 1273, Trans, From The=

بل يضاف إلى ذلك قدوم البنادقة من مدينة القسطنطينية - وهى التي سقطت في أيديهم عقب كارثة عام ١٢٠٤م - ٦٠١هـ من أجل نصره إخوانهم في الحرب ضد الجنوئين^(١)، واستمرت تلك الحرب بين الصليبيين ومحاربون بعضهم بعضاً بطريقة تثير الألم وتجلب العار لكلا الطرفين، وظلت تلك الحرب ما يقرب من عام قتل بعضهم البعض وتعاملوا فيما بينهم بقسوة وعنف لعلها أعنف مما تعاملوا به مع أعدائهم المسلمين آنذاك^(٢)، بل لقد كانت تلك الحرب أحد أهم عناصر الضعف التي أصابت الإمارات الصليبية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي - السابع الهجري، حتى أصبحت الشوارع الداخلية في قلب المدن الصليبية غير آمنة^(٣).

وفي خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري، ونتيجة لتلك الحروب المستمرة، أخذت الإمارات الصليبية في الضعف والانحلال والسقوط في يد القوات المملوكية، فأدركت العديد من العائلات الصليبية التي استقرت في مدن الساحل الشامي، أنه ليس هناك مستقبل لهم في هذه المنطقة، لذلك بدأت بالفعل العديد من المجموعات بالتحرك مع القوافل التجارية المتجهة إلى أوروبا، وترك مدن الساحل الشامي إلى الأبد^(٤)، وبالتالي صارت تلك المدن بمثابة مناطق طرد سكاني صليبي بعد أن كانت مناطق جذب في مرحلة سابقة خاصة خلال النصف الأول من القرن ١٢م / ٦هـ.

=Latin By, J.A.Giles, London, 1853, vol.3, p327.

(١) ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: خليل منصور، ط. بيروت، ١٩٩٦م، ص ٢٣٥.

(٢) تمة كتاب وليم الصوري لمؤلف مجهول والمنسوب خطأ إلى روثلان (١٢٢٩-١٢٦١م)، ت. أسامة زكي زيد، جامعة طنطا، ١٩٨٩م، ص.ص ٢٣٣، ٢٣٤.

(3) David Nicolle, Acre 1291, Bloody Sunset of The Crusader States, Oxford, 2005, P15.

(4) David Nicolle, Acre 1291, P9.

الفصل الثاني

جريمة القتل

* دوافع جريمة القتل.

* القتل كوسيلة لتصفية الخلافات السياسية.

* تفشي القتل في المجتمع الكنسي.

* العقاب بالقتل.

تبينا في الفصل الأول عوامل ظهور الجريمة داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام بشكل عام، وكيف تكونت عناصره المختلفة من شتى بلدان الغرب الأوروبي، حيث كان لتباين طبقات المجتمع الصليبي ثقافياً واجتماعياً ودينياً، دور كبير في انتشار الجريمة فيه.

ويتناول هذا الفصل بالدراسة جريمة القتل داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، من حيث دوافع تلك الجريمة الخطيرة التي انتشرت بشكل واضح بين الصليبيين، وتنوع تلك الدوافع ما بين سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها من الدوافع الأخرى المختلفة، كما يناقش الفصل حالات القتل الفردي والجماعي بين الصليبيين، والأساليب المختلفة التي استخدمت في تنفيذ تلك الجريمة.

وفيا يتعلق بتعريف جريمة القتل ودوافعها، فقد عرف القتل اصطلاحاً: بأنه اعتداء إنسان على إنسان عمداً بقتله، أو إزهاق روح إنسان عمداً، أو بأنه اعتداء على حياة الغير ترتب عليه وفاته^(١).

وقد اختلفت دوافع جريمة القتل، وذهب المفكرون الاجتماعيون وعلماء الإجرام في تفسيرهم لذلك السلوك الإجرامي مذاهب شتى، إلا أنهم عزوه في إجماله إلى مجموعتين بعينهما من العوامل الشخصية (الداخلية)، والعوامل البيئية (الخارجية):

فالعوامل الشخصية: تتعلق أساساً بشخصية الفرد وظروفه التكوينية من حيث الوراثة والبناء العضوي والعقلي والنفسي، ينتج عنها أن يكون هناك أناس لديهم استعداد - أكثر من غيرهم - للانحراف والإجرام.

وتندرج العوامل النفسية إلى قائمة العوامل الشخصية للقتل، فقد يكون الجاني مصاباً بجنون العظمة وحب التكبر، مما يجعل قلبه يمتلئ بالكراهية والحقد تجاه الآخرين، مما يؤدي إلى إصابته بالعتة والجنون، فيصيب من حوله بالأذى، ولذلك كان للعامل النفسي دور مهم في تحليل جرائم القتل التي وقعت داخل المجتمع الصليبي، فمن الصعب تجاهل ذلك العامل عند البحث عن الأسباب التي أدت إلى ارتكاب جرائم القتل، فالعوامل النفسية كالحقد والحسد قد تدفع الإنسان إلى قتل أقرب الناس إليه^(٢)، وكان لذلك العامل النفسي تأثير كبير في جرائم القتل التي وقعت

(١) عزت حسنين، جرائم القتل بين الشريعة والقانون دراسة مقارنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ١٩٩٣م، ص.ص ١٠، ٩.

(٢) محمد عبد الله محمد مهيبو المقدم، الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، =

داخل المجتمع الصليبي.

أما العوامل البيئية: فهي التي تتعلق بكل ما يقع على الفرد من ضغوط خارجية تدفعه إلى ارتكاب هذا السلوك، وهذه العوامل البيئية متعددة بدورها:

وما قد تنسم به من عزلة وهدوء وقلة سكان ومحدودية حركة، أو شدة زحام وكثافة سكان وسرعة حركة، ومنها ما يتعلق بالبيئة السياسية وغياب الشورى والديمقراطية والحرية وسيادة التحكم والتسلط وممارسة رذيلة الاضطهاد لسبب أو لآخر، ومنها ما يتعلق بالبيئة الاجتماعية ممثلة في الأسرة وما تتعايش معه من عدم توافق وتفكك أسري وفساد ومصاحبة رفاق السوء وتأثيرها السلبي على الفرد^(١).

وقد انطبقت العوامل السابقة إلى حد كبير على المجتمع الصليبي وتكوينه، وساعدت كثيرًا في انتشار جرائم القتل بشكل موسع بين مختلف طبقاته وبطرق متباينة كما سنرى، بل وضح أيضًا استعداد عناصر ذلك المجتمع لارتكاب تلك الجريمة نتيجة لتكوينه المتعدد الجنسيات وصراعاتهم الداخلية.

ويعد الطمع في المناصب أو القفز على كرسي الحكم من دوافع جريمة القتل داخل المجتمع الصليبي، وهو ما شاهدناه في المرحلة المبكرة من الاحتلال الصليبي لأراضي المسلمين خاصة ببلاد الشام^(٢)، وعلى مدار تاريخهم في المنطقة على مدة قرنين من الزمان.

وكذلك من دوافع جريمة القتل، الصراع على تأكيد التبعية، وهو ما كان يحدث بين الأمراء الصليبيين، وكانت تقوم بسببه حروب طاحنة بينهم، مما كان يعرض المملكة الصليبية للخطر الدائم وعدم الاستقرار الداخلي^(٣)، ويضاف إلى ذلك أن المجتمع الصليبي احتوى على العديد من القتلة الأوربيين الذين استجابوا لدعوات المبشرين للحروب المقدسة - من وجهة نظرهم - في بلاد الشام، وذلك مثل صدمة كبيرة للعديد من الصليبيين المثقفين الذين صاحبوا الجيوش الصليبية، وكانت حجتهم في مصاحبة الجيوش الصليبية هو التوبة عما اقترفوه من ذنوب

=جامعة المنصورة، ٢٠٠٥م، ص ٧٣.

(١) أحمد حويني وآخرون، البطالة وعلاقتها بالجريمة والانحراف في الوطن العربي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ط ١، الرياض، ١٩٩٨م، ص ٩٠، ٩١.

(٢) روايات ميخائيل السورى الكبير، ضمن: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل ذكار، الجزء الخامس، دمشق، ١٩٩٥م، ص ١٨٥.

(٣) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٣٠٢.

جرائمهم^(١)، غير أنهم بمجرد وصولهم لبلاد الشام واستقرارهم بها ، وجدوها فرصة سانحة لكي يارسوا جرائمهم من جديد، ولكن هذه المرة ضد بعضهم البعض^(٢).

وبالمقارنة بين العوامل الطبيعية والعوامل الشخصية التي وقفت وراء جريمة القتل، فالعوامل الطبيعية كان تأثيرها محدودًا وفي أوقات معينة كانت تدفع أولئك المجرمين لارتكاب جرائمهم، أما العوامل الشخصية فكانت أكثر تأثيرًا في انتشار جريمة القتل، والتأثير على المجرمين بصورة كبيرة حتى يقوموا بتلك الجرائم، فقد لازمهم صفة الإجرام حتى مع استقرارهم في بلاد الشام وبعدهم عن وطنهم الأم في الغرب الأوربي، وجاء نسلهم مكملًا لهم فكانوا قتلة آخرين، تنطبعا بصفات آبائهم على الرغم من تغير مستوى معيشتهم في بلاد الشام عن وضع آبائهم الاقتصادي في الغرب الأوربي.

وبعد الدافع السياسي من الدوافع التي كان لها باع طويل في تفشي القتل داخل المجتمع الصليبي، فمصطلح الاغتيال السياسي يعني التخلص من الأشخاص والجماعات لدوافع سياسية مرتبطة باختلاف في الفكر والأيدلوجية عند الأفراد والجماعات^(٣)، ولذلك كان تأثير الدافع السياسي داخل المجتمع على جانب كبير من الأهمية، تلك التي جعلت الملوك والنبلاء الصليبيين يشتركون فيها.

وكان من أهم دوافع جريمة القتل داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، الصراع بين رجال الدين ورجال السياسة، ومحاولات رجال الدين المستمرة التدخل في شئون الحكم، وتخليهم عن دروهم الديني في وعظ وإرشاد الرعية، بل ولجوؤهم إلى استخدام القتل في التخلص من رجال السياسة^(٤)، بل وصل الأمر إلى حد انتشار ظاهرة فوضى القتل، فقد أصبحت جريمة القتل من عادات الصليبيين لتصفية الخلافات فيما بينهم، حتى لقد اعتبرها بعض مؤرخيهم من أسباب هزيمة الصليبيين في معركة حطين ١١٨٧م/٥٨٢هـ، وكان ذلك لكثرة إراقة الدماء بين صفوف

(١) Joseph Francais Michaud, History of The Crusades, New York, ١٨٥٥, p٢٦٨, Conder, The Latin Kingdom, p٢٥.

(٢) ميخائيل زايبوروف، الصليبيون في الشرق، ص ١٥٧.

(٣) أحمد عبد القادر الشاذلي، الاغتيالات السياسية في إيران، العربي للنشر والتوزيع، ط. القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٥.

(٤) Ralph Bailey Yewdale, Bohemond I Prince of Antioch, Princeton, ١٩١٧, p٩٣.

الصليبيين^(١)، وغيرها من الدوافع الأخرى التي سوف ترد في هذا الفصل.

وفيا لمخصص القتل كوسيلة لتصفية الخلافات السياسية، فقد بدأت تلك الجرائم مع بداية تواجد الصليبيين بالمنطقة، ومنها ما قام به بلدوين الأول Baldwin I de Bouillon في مدينة الرها Edessa، فعندما تقدمت الجيوش الصليبية تجاه بلاد الشام، انفصل بلدوين بجيشه واتجه إلى بلاد العراق، حيث مدينة الرها الأرمنية، وكان يحكم المدينة رجل يدعى ثوروس Toros^(٢) أو ابن هاتيم um رَحِمَها اللهُ Het^(٣)، وقد رحب ثوروس ببلدوين واتخذته وريثاً له في الحكم واشركه معه، غير أن الخلافات سرعان ما دبّت بين الطرفين عقب عودة بلدوين من حملته من مدينة سمسباط.

وقد استغل بلدوين كره الأهالي وزعماء الأرمن لثوروس، فقام بتحريكهم ضده وإن كان الوضع لا يحتاج لمحرك ضد ثوروس، فقد كان شخصية مكروهة^(٤)، ويضاف إلى تلك العوامل عداء قسطنطين بن روبين^(٥) أمير جرجر^(٦) لثوروس، والذي قام

(١) مجهول، كتاب حملة الملك ريتشارد إلى أراضى القدس المقدسة، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣١، ط. دمشق، ١٩٩٥م، ص ٢٠.

(٢) تورس أو ثوروس:- هو أحد رجال فيلاريتوس زعيم جماعات الأرمن، حكم مدينة الرها بالنيابة عن الإمبراطورية البيزنطية، وفي عام ١٠٩٥م/٤٨٨هـ استقل بالمدينة، وارتضى بوجود قلعة الرها تحت حماية السلاجقة، وبعد طردهم قام بتقوية حصونه وقلاعه، وعمل على تقوية جيش مدينته، غير أنه سرعان ما أصبح غير مرغوب في إمارته، بسبب ضخامة الضرائب التي قام بفرضها على سكان المدينة، انظر:-

The Crusades An Encyclopedia, ed. Alan V. Murray, ٤ vols, Oxford, ٢٠٠٦, pp ١١٨٥-١١٨٦.

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ٢، صص ١٤٦-١٤٧.

(٣) روايات ميخائيل السورى، ص ١٨٥.

(٤) محمود الروبض، محمد سالم الطراونة، " دور الأرمن في تأسيس إمارتي الرها وأنطاكية الصليبيتين (٤٩٠-٤٩١هـ / ١٠٩٧ - ١٠٩٨م) "، حوليات آداب عين شمس، المجلد: ٣٠، يولييه - سبتمبر ٢٠٠٢م، ص ١٩٤.

(٥) قسطنطين بن روبين:- كما تدعوه الحوليات الأرمنية، وهو ابن روبين ملك الأرمن، فقد كان حاكم ناجحا لإمارته، وكان أميراً شجاعاً وذو نخوة، وكان مقر إقامته بمقاطعته يحكم من خلالها أملاكه، وقد خاض في سبيل الحفاظ على إمارته العديد من الحروب، واستولى على كثير من الحصون والقلاع المختلفة المواقع، بل وصلت قوته إلى هزيمته للجيوش البيزنطية وأخذ العديد من الأسرى، ثم دخل في تحالفات مع الصليبيين ضد السلاجقة، وقد عمل على إعادة إعمار إمارته وإصلاح ما أخربه حروبه المستمرة، وتوفي عام ١١٠٠م/٤٩٤هـ، انظر:-

Vahrm's, Chronicle of The Armenian Kingdom in Cilicia during The Time of The=Crusades, Trans: Charles Fried, "Neumann", London, ١٨٣١, p.p ٢٨-٢٩.

بتدبير مؤامرة ترمي إلى عزله، وعلى الرغم من علم بلدوين بتلك المؤامرة، غير أنه لم يحرك ساكنًا، ولم يقدم المساعدة لثوروس عندما هاجمه الثوار وفتكوا به في ٧ مارس ١٠٩٨م/٢ ربيع الآخر ٤٩١هـ، فقد حاول ثوروس الهرب من الثوار، إلا أن سهامهم نالت منه^(٢)، ورواية أخرى تقول إنهم سحلوا جثمانه في الشوارع وقطعوا رأسه^(٣)، إلا أننا لا يمكن أن نبرأ بلدوين تمامًا من تهمة المشاركة ولو بنصيب محدود في تحريض الثوار، أو على الأقل من تهمة التفريط في حياة ثوروس، وعدم القيام بواجبه كاملاً في حمايته، وبعد ذلك تولى هو حكم الإمارة^(٤).

وعلى الرغم من اختلاف الروايات التاريخية حول مقتل ثوروس حاكم الرها، إلا أنها أجمعت على أن بلدوين كان له نصيب كبير في تلك الجريمة، بل أنه كان المحرض الأول لها، خاصة بعدما جعله ثوروس خليفة له في الحكم، بل إن بلدوين هو القاتل الحقيقي لثوروس، وذلك طمعاً منه في الفوز بحكم الرها، وتأسيس إمارة صليبية بها، وذلك على الرغم من عدم اشتراك بلدوين في مهاجمة ثوروس، إلا أنه لم يقم بتحذيره أو الدفاع عنه في الوقت الذي علم فيه بتدبير مؤامرة لقتله. أما عن جرائم القتل التي كانت تتم بدافع التبعية، فمنها ما حدث عندما تولى برترام Bertrand of Tripoli (١١٠٩-١١١٢م/٥٠٢-٥٠٥هـ)^(٥) حكم إمارة طرابلس، و عمل على تأكيد تبعيته للملك بيت المقدس، وفي الوقت نفسه تناسى وعوده العريضة للإمبراطور

(١) مدينة جرجر أو كركر:- وهى عبارة عن حصن كبير تقع بالقرب من ملطية بينها وبين آمد، ويقع بالقرب منها حصن الران، وكركر أيضاً حصن بين سميساط وحصن زياد، انظر:- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط. بيروت ١٩٧٩م، ج٤، ص ٤٥٢-٤٥٣.

(٢) ولیم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص٢٦٣.

(٣) علية الجنزوري، إمارة الرها، ص ٦٩، انظر الملحق ص٢٠٨.

(٤) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٥٠، ١٤٩، الباز العريني، الشرق الأوسط، ص ٢٣٠، محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في الشرق والغرب، دار الغرب الإسلامي، ط. الدار البيضاء، ١٩٨٢م، ص٥٦، ٥٧.

(٥) برترام: هو الابن الأكبر لريموند دى سنجل، كونت تولوز، فقد ترك والده جميع ممتلكاته فى تولوز للمشاركة فى الحملة الصليبية الأولى، وعندما توفى ريموند ورث برتراند ملكه عندما قدم إلى مدينة طورطوسة بمصاحبة الأسطول الجنوى عام ١١٠٩م/٥٠٣هـ وطالب بحقوقه فى أملاك أبيه فى إمارة طرابلس، فأخذ نصف أملاكه منحة من الملك =الصليبي بلدوين الأول ملك مملكة بيت المقدس، وامتدت سيطرته لحدود جبال لبنان، وجبال النيسرية، وتوفى فى يناير عام ١١١٢م/٥٠٦هـ وتولى بعده ابنه بونز حكم إمارة طرابلس، للمزيد عنه أنظر:

Alan, The Crusades An Encyclopedia, p١٦٥.

البيزنطي ألكسيوس كومنين Alexius Comnena^(١) (١٠٨٠-١١١٨ م / ٤٧٢-٥١١ هـ) عندما كان في ضيافته بالقسطنطينية. فيينا تولى برترام حكم طرابلس، استولى وليم جوردان William of Jordan^(٢) على أنطربوس^(٣) وعرة^(٤)، وبذلك يكون قد تقطع أوصال الإقليم الواحد، مع ما نتج عنه من حزازات بين الجانبين، يضاف إلى ذلك اختلاف اتجاه الحكام وتوزيع ولائهما توزيعاً متضاداً، فيينا اعترف برترام أمير طرابلس بالتبعية للملك بيت المقدس، إذا بوليم جوردان صاحب أنطربوس وعرة، يقدم ولاءه لأمير أنطاكية، وقد كانت جميع تلك الظواهر

(١) ألكسيوس الأول كومنين: ولد حوالي عام ١٠٥٧ م / ٤٤٩ هـ، وهو الابن الثالث لرجل نبيل يدعى جون كومنين وزوجته أنا دالاسين Ana Dalassene، وقد خدم في الجيش البيزنطي كجنرال تحت حكم الإمبراطور ميخائيل السابع دوكاس Micael VII Docas (١٠٧١-١٠٧٨ م / ٤٦٤-٤٧١ هـ)، وتقفور الثالث يوتانياتس Nicephor III Potaniates (١٠٧٨-١٠٨١ م / ٤٧١-٤٧٤ هـ)، وبعد ذلك قام بثورة عليه وتولى الحكم في عام ١٠٨١ م / ٤٧٤ هـ كما تلقى دعم أسرة دوكاس حيث تزوج من إيريني دوكاس Irene Doukanian عام ١٠٧٨ م / ٤٧١ هـ، وقام بتطوير نظام الحكم في الإمبراطورية، وقام بتركيز القوى في يد العائلات الأرستقراطية التي تنتمي له بصلة قرابة، وكافاهم على دعمهم له، وقد توفي في ١٥ أغسطس ١١١٨ م / ٥١٢ هـ، للمزيد من التفاصيل عن حياته، انظر:

Alan, The Crusades An Encyclopedia, p.p ٤٥-٤٦, Oman, The Byzantine Empire, London, ١٨٩٢, pp ٢٥٦-٢٦٩, Edward Foord, The Byzantine Empire, London, ١٩١١, p.p ٣٣١-٣٤٤.

(٢) وليم جوردان:- هو ابن عم ريموند صنجيل، ووريثه في ممتلكاته ببلاد الشام، فقد سحب ريموند خلال أحداث الحملة الصليبية الأولى، وظل متواجداً معه حتى مقتله في حصار مدينة طرابلس عام ١١٠٥ م / ٤٩٩ هـ، وتم إرسال ابن ريموند ألفونسو جوردان إلى إمارة أبيه صنجيل بالغرب الأوربي، وورث وليم أملاك ريموند ببلاد الشام، غير أن وليم جوردان دخل في صراع آخر مع برتراند، الذي إمتلك القوة والمال، والذي وصل للساحل الشامي عام ١١٠٩ م / ٥٠٣ هـ، وطلب وليم جوردان الدعم من تنكرد أمير طرابلس، وتدخل الملك بلدوين الأول ملك مملكة بيت المقدس الصليبية لفض ذلك النزاع الذي إشتد بين الطرفين، وأعطى أنطربوس وعرة لوليم جوردان، وأقطع برتراند بعض الأقاليم الأخرى، للمزيد من التفاصيل، انظر:-

Richard (J), Le Conte de Tripoli Sous La Dynastie Toulousaine, Paris, ١٩٤٥, p.٦١-٦٥, Alan, The Crusades, An Encyclopedia, p ١٢٧٩,

السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ط. الإسكندرية، ١٩٦٦ م، ص ١٤٦-١٤١.

(٣) أنطربوس:- وهي بلدة تقع على سواحل بحر الشام، وهي من أعمال دمشق من البلاد الساحلية، وأول أعمال مدينة حمص، وتعد أيضاً من أعمال مدينة طرابلس المطلة على البحر في شرقي عرة وبينهما ثمانية فراسخ، وتمتلك المدينة برجين شديدي الحصانة مثل القلعة، انظر:- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٧٠.

(٤) عرة:- وهي بلدة تقع شرقي مدينة طرابلس وبينهما أربعة فراسخ، وهي آخر أعمال دمشق، وتقع في سفح جبل، بينها وبين البحر نحو ميل، ويقع على جبلها قلعة حصينة تابعة لها، وتعد من العواصم تقع بين ريفية وطرابلس، انظر:- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٠٩.

وغيرها لا تبشر بخير، وأنذرت بالصدام بين الرجلين، غير أن القدر لم يمهل وليم جوردان، فقد تم اغتياله، واختلقت المصادر في ذكر طريقة قتله، فقيل إنه قتل بسهم أطلق بالمصادفة ودون تدبير^(١)، بيد أحد رجاله في ظروف غامضة وذلك في عام ١١٠٩ م، ٥٥٣ هـ، وقد أشارت إليها المصادر الصليبية إشارة مقتضبة غير واضحة^(٢).

وقد عدت جريمة قتل وليم جوردان من الجرائم التي لم يوجد لها تفسير، وخاصة في فترة صراعه مع برترام حول أمر التبعية، ومما زاد من غموض تلك الجريمة، أن المصادر الصليبية لم تمدنا بالمعلومات الكافية عن تلك الجريمة، غير أن ذلك لا ينفي التهمة عن برترام كلياً، فمن مصلحته التخلص من وليم جوردان، حتى يستولي على أملاكه، وتكتمل سيطرته على إمارة طرابلس، وحتى لا ينازعه أحد في ملكه.

ويضاف إلى ذلك، أن العلاقة بين مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبية ببلاد الشام لم تأخذ شكلها النهائي من حيث تبعية الإمارات للمملكة، مما أدى إلى توزيع ولاء صغار الأمراء الصليبيين بين كل من حكام الإمارات الصليبية وبين ملك مملكة بيت المقدس، فأدى ذلك إلى حدوث صدامات فيما بينهم، وبالتالي حدوث خلل في الجانب السياسي.

ومن حوادث القتل السياسي الشهيرة، جريمة قتل ميلون دي بلانسي Milon de Plancy (١١٧٤ م/٥٦٩ هـ)^(٣)، فقد تم اختيار ميلون وصياً للعرش على الملك الصليبي القاصر بلدوين

(١) هامش رقم ٢، السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ط. الإسكندرية، ١٩٦٦ م، ص.ص ١٤١-١٤٦، سعيد عاشور، الحركة الصليبية ج ١، ص ٣٠، أنظر الملحق ص ٢٠٩.

(٢) السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ط. الإسكندرية، ١٩٦٦ م، ص.ص ١٤١-١٤٦، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٣٠٢، أنظر الملحق ص.

(٣) ميلون دي بلانسي:- هو من مواليد شمباتيا بفرنسا، وذهب إلى بلاد الشام عام ١١٦٠ م/٥٥٤ هـ، واشترك في حملات الملك الصليبي عموري الأول على مصر، وفي عام ١١٧٣ م/٥٦٨ هـ، تزوج من ستيغاني أرملة همفري الثالث أمير طورون، وفي ١١ يوليو ١١٧٤ م/ ١٠ ذى الحجة ٥٦٩ هـ، توفي الملك عموري الأول، وخلفه ابنه بلدوين الرابع حيث كان طفلاً وعين ميلون وائصاً عليه، مما جعله محط أحقاد الآخرين من الأمراء، وقد قام بقيادة الأسطول الصليبي الذي بعث به وليام الثاني من صقلية لمحاصرة مدينة الإسكندرية، غير أن منصب الوصي على العرش جعله يدخل في صراعات شرسة مع بقية أمراء البيت الصليبي، للمزيد من التفاصيل انظر:-

وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج ٤، ص ١٧٩.

Bernard Hamilton, " Miles of Plancy and the fief of Beirut ", in *The Horns of Hattin*, Benjamin Z. Kedar (ed.), Jerusalem, ١٩٩٢, p. ١٣٦-٤٦.

الرابع ١١٧٤م/٥٦٩هـ، وعندما تولى المنصب أظهر ازدراءه لبارونات المملكة حتى لمن علاه قدرًا منهم ولم يقيم لهم وزنًا^(١)، ونتيجة لذلك تعرض ميلون لمناوأة الحزب المعارض، ونشأت عداوة خطيرة بين هذا النبيل وبين بعض بارونات المملكة، ورفضوا التعاون معه ولم يجتمعوا به واحتقره الجميع^(٢)، فقد كان رجلاً متعطرًا، وعندما أراد التغلب على غيرة الأمراء الآخرين منه، رجع إلى نكرة من غمار الناس يدعى روهارد حارس قلعة القدس، وتظاهر بأنه يمثل لتوجيهات هذا الرجل التافهة^(٣)، واستأثر بالسلطة والإشراف على شئون المملكة تمامًا^(٤)، ثم لم يلبث أن ظهر معارض قوي لميلون وهو ريموند الثالث أمير طرابلس، والذي كان أسيرًا لدى نور الدين محمود من سنة ١١٦٤م/٥٥٩هـ، وحتى عام ١١٧٢م/٥٦٧هـ، ثم تم الإفراج عنه، واستغل محبة الأمراء له في المطالبة بأحقية في الوصاية على ملك بيت المقدس بلدوين الرابع^(٥).

ونتيجة لسياسة ميلون الخاطئة، حيث كان يقوم بتصرف شئون المملكة حسب هواه، كما أنه كان يوزع الإنعامات وفق ما شاء، مما أثار بذلك سخط الكثيرين عليه ونقمتهم له، حتى وصلت الأمور إلى طريق مسدود^(٦). نتيجة لذلك تأمر البعض سرًا للقضاء عليه، وعندما علم بتلك المؤامرة لم يهتم واستمر في تصرفاته الطائشة، وفي أحد الأيام وبينما هو يسير في أحد شوارع مدينة عكا الصليبية، طعنه شخص مجهول طعنة نافذة أودت بحياته وذلك في خريف عام ١١٧٤م/٥٧٠هـ، وقد اختلفت الآراء في سبب مقتله، فهناك رأي يقول إنه قتل بسبب ولائه الشديد للملك بلدوين الرابع، ورأي آخر يقول إنه قتل بسبب أنه كان يرتب في السر الخطوات للاستيلاء على زمام السلطة الملكية، حتى أشيع أنه أرسل إلى أقربائه في فرنسا لكي يحضروا إلى

(١) وليم الصوري، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٧٩

Natasha Hodgson, Women, Crusading And the Holy Land in Historical Narrative, Woodbridge, ٢٠٠٧, p٧٨.

(٢) عبد الحفيظ محمد، مشكلات الوراثة، ص ١٠١.

(٣) وليم الصوري، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٧٩.

(٤) سعيد السيد علي فرغلي، آل كورتناي ودورهم في الصراع الإسلامي الصليبي، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٢م، ص ١٩٤.

(٥) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ٢، ص ٥٨٠.

(٦) وليم الصوري، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٨٠.

مملكة بيت المقدس الصليبية، حتى يكونوا عوناً له في تنفيذ رغباته^(١).

وبتحليل تلك الجريمة، يرجح أن سبب مقتل ميلون هو استشارته بالسلطة، وسوء استخدامهما، وفيما يبدو أن منصب الوصي على عرش مملكة بيت المقدس الصليبية، كان يغري الأمراء الصليبيين بفعل أي شيء من أجل الفوز بهذا المنصب، حتى ولو كان ذلك الشيء هو ارتكاب جريمة القتل لإزاحة المنافسين لهم عن الساحة، ويضاف إلى ذلك مساعدة ميلون لقاتليه في تنفيذ جريمتهم، من خلال عدم اتخاذهم لنفسه حراسة تحميه من غدر أعدائه، فربما تصور أنه لن يستطيع أي من معارضي إصابته بأي أذى.

وبمقتل ميلون قام ريموند الثالث بالوصاية على مملكة بيت المقدس الصليبية وملكها الصغير^(٢)، غير أن قضية مقتل ميلون لم تنته عند هذا الحد، فلقد سارعت ستيفاني Stephanie وريثة وادي عربية Iduinee^(٣)، وأرملة ميلون دي بلانسي، باتهام ريموند الثالث Raymond III of Tripoli (١١٨٧م/٥٨٢هـ)^(٤)، بالوقوف وراء اغتيال زوجها، ومع أن هذا الاتهام مبني

(١) ولیم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج٤، ص ١٨٠، عبد الحفيظ محمد، مشكلات الوراثة، ص ١٠، انظر الملحق.

(٢) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص ٥٨٠.

(٣) وادی عربية:- أو عرابة بفتح أوله وتشديد ثانيه، وهى من أعمال عكا بالساحل الشامى، ياقوت الحموى، معجم البلدان، ط. بيروت ١٩٧٩م، ج٤، ص ٩٢.

(٤) ريموند الثالث:- هو أمير إمارة طرابلس وطبرية، ونائب الملك الصليبي لفترتين (١١٧٦-١١٧٤م/٥٦٩-٥٧١هـ) ومن (١١٨٥-١١٨٦م/٥٨٠-٥٨١هـ)، وهو ابن لريموند الثاني أمير طرابلس وهويدرنا أخت الملكة مليزندا ملكة مملكة بيت المقدس الصليبية، وقد تولى الحكم فى إمارة طرابلس عام ١١٥٥م/٥٤٩هـ ثم وقع فى أسر نورالدين محمود عام ١١٦٤م/٥٥٩هـ عندما كان يهاجم مدينة أرتاح، وظل فى الأسر مدة ثمان سنوات، فى حين كانت إمارته واقعة تحت سيطرة الملك الصليبي عموري الأول، وبعد أن تم إطلاق سراحه فى أوانل عام ١١٧٤م/٥٦٩هـ تزوج من إسشيفا Eschiva، أرملة والتر أوف سانت أويمر Walter of Saint Omer، وفى ربيع عام ١١٨٠م/٥٧٥هـ توجه كل من ريموند الثالث بصحبته بهيموند الثالث أمير أنطاكية بجيوشهما نحو =مملكة بيت المقدس من أجل تدعيم الملك الصليبي بلدوين الرابع، وتوفي عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ للمزيد من التفاصيل عن حياته، انظر:-=

Baldwin, Raymond III of Tripoli and The Fall of Jerusalem (١١٤٠-١١٨٧), Princeton: Princeton University Press, ١٩٣٦, p٥٤. Hamilton, Bernard, The Leper King and His Heirs: Baldwin IV and The Crusader Kingdom of Jerusalem, Cambridge, ٢٠٠٠, p٦٤.

على العداوة المستمرة التي كانت قائمة بين الرجلين، إلا أن هناك احتمال آخر وهو ذهاب ميلون ضحية عدم الاعتراف بالجميل ونتيجة لغضب سادة بيروت عليه، فعندما كان ميلون أسيراً قام الأمراء ببيع إقطاعياتهم من أجل إطلاق سراحه، ويبدو أن ميلون جرياً على عادته في التكبر ونكران الجميل والغرور لم يأبه بهم ولا بصنيعهم له، مما دفعهم للانتقام منه^(١). ومن الجدير بالذكر أن عدم وجود دليل مادي يدين أحد بقتل ميلون، أدى إلى عدم معرفة قاتله، بالإضافة إلى إلحاق تهمة قتله بمعارضيه دون بينة.

وقد شهد القرن الثالث عشر الميلادي - السابع الهجري، من جرائم القتل، حيث تدهورت وانعدمت العدالة، فقد كانت دائماً بجانب الأقوى، لذا فقد انتشر الظلم في غياب الحق والعدالة، وسيطرة رجال الكنيسة ورجال الدين، وتبعيتهم للبابا الذي كان يأمر بفرض الضرائب الباهظة التي كانت تعود للكنيسة في نهاية الأمر، وشهدت تلك الفترة انتشار الفساد والقهر^(٢)، ويتضح من ذلك أن تلك الأوضاع التي مرت بها الإمارات الصليبية ببلاد الشام، كانت نتيجة حتمية لانحيار الأوضاع السياسية بداخل تلك الإمارات، وضعف قبضة السلطة المركزية.

ومن أشهر تلك الجرائم ما حدث عام ١٢١٩م/٦١٥هـ، للأميرة ستيفاني ابنة ليو الأول الأرمني Leo I of Armenia (١١٩٨-١٢١٩م/٥٩٤-٦١٦هـ)^(٣)، فقد تزوجها جون أوف

(١) محمد مهنيوب، الاغتيالات، ص ١٨٨.

(٢) Annales des Terre Sainte, ١٠٩٥-١٢٩١, Edited By: Gaston Raymoud, Paris, ١٨٨٤, p٤٤٥.

(٣) ليو الأول الأرمني: نجح ليو الأول الأرمني كأحد أمراء أخيه روبين الثالث الذي كان قائداً عاماً على كاليكيا الأرمنية، وقد نجح في حماية بلاده من اعتداءات السلاجقة المستمرة، وقد استطاع مد نفوذ إمارته غرباً فيما وراء سلوقية، وشمالاً فيما وراء بوابات كاليكيا، وقد اهتم بتعمير إمارته، وأقام بها العديد من المشروعات، وقد قام بمفاوضة الإمبراطور فردريك بربروسا، إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، من أجل أن يقوم بتتويجه رسمياً على بلاده، أثناء عبور فردريك بربروسا كاليكيا، غير أن مشروعه باء بالفشل نتيجة وفاة فردريك أثناء عبوره أحد انهار كاليكيا عام ١١٩٠م/٥٨٦هـ وذلك أثناء مشاركته بالحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢م/٥٨٥-٥٨٨هـ)، وقد قام ليو بإرسال فرق عسكرية شاركت في حصار مدينة عكا خلال أحداث الحملة الصليبية الثالثة، وذلك من أجل مشاركة إخوانه الصليبيين على الرغم من الخلافات التي وقعت بينه وبين أمير أنطاكيا وجماعة الداوية، وفي ٦ يناير ١١٩٨م/٢٧ صفر ٥٩٤هـ تم تتويجه ملكاً في طرسوس بواسطة الأرمن الكاثوليك في حضور بطاركة السريان الأرثوذكس، ومبعوث البابوية، ومستشار الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الثالث أنجيلوس، للمزيد من التفاصيل، انظر:-.

برين John of Brienne عام ١٢١٤م/٦١٠هـ، وكان عنده ابنة تدعى يولاند، وكان جون هو الوصي عليها حتى تبلغ السن القانونية لتولي العرش، غير أن ستيفاني أثبتت أنها زوجة أب سيئة، فقد عاملت الطفلة يولاند بقسوة، بل وحاولت وضع السم لها للتخلص منها، وعندما علم جون ذلك أخذ يبرح ستيفاني ضرباً لمحاولتها قتل ابنته حتى ماتت على أثر ذلك^(١).

ويرجح مما قام به جون مع زوجته ستيفاني أنه كان شديد القسوة، نظرًا لكبر سنه مقارنة بزوجه صغيرة السن، ويظهر مدى تعلق جون بابنته يولاند، حتى أنه لم يتحمل معاملة زوجته القاسية لها، فأوسعها ضرباً حتى الموت، ولم يضع في حساباته أي اعتبار لما قد يجره ذلك من خلافات خارجية بين المملكة الصليبية والأرمن.

وكما قتل ريموند بن بوهمند الرابع أمير طرابلس، ننبه في البداية إلى أن سياسة بوهمند بعدما تسلم حكم الإمارة كانت تخرج إلى السلم والهدوء، غير أن حادث مقتل ولده كان له تأثير في تعكير صفو حياته، فلقد أقدمت جماعة الحشاشين على اغتيال ريموند بن بوهمند الرابع وذلك عام ١٢١٣م/٦١٠هـ، في كاتدرائية العذراء المباركة بأنطربوس^(٢)، وبذلك اتخذت الحرب الدائرة بين الصليبيين والإسماعيلية منعطفًا خطيرًا بعد تلك الجريمة^(٣)، وعلى الرغم من أن المصادر لم تشر إلى السبب الرئيسي وراء تلك الجريمة، إلا أنه يبدو أن جماعة الإسماعيلية وراء تلك الحادثة^(٤)، لما كان بينهم وبين بوهمند الرابع من عداوة واضحة^(٥)، وتجدد الإشارة إلى أن الإسماعيلية قد لوحوا للإسماعيلية بإعفائهم من الجزية المفروضة عليهم في مقابل قتل ريموند بن بوهمند الرابع^(٦)، وعلى الرغم من ذلك فقد أثر بوهمند أن ينتقم من الحشاشين، وألا يسعى للنيل ممن حرضهم على ما فعلوه وبخاصة أنه لم يكن لديه أي دليل يؤكد شكه فيهم^(٧).

Alan, Encyclopedia, p٧٢٢, Nersessian, The Kingdom of Cilician Armenia, in Setton, Vol. ٢, London, ١٩٦٩. p.p ٦٤٤-٦٥١.

(١) رنسيمن، الحملات الصليبية، ج ٣، ص ١٨٠، انظر الملحق ص ٢١١.

(٢) أولفر أوف بادربورن، الاستيلاء على دمياط، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٤، ط. دمشق، ١٩٩٨م، ص ٦٩، نهى فتحي، إمارة طرابلس، ص ٧٢.

(٣) محمد مهيبوب، الاغتيالات، ص ٢٠٠، عثمان عبد الحميد، الإسماعيليون في بلاد الشام، ص ١٧٦.

(٤) أسامة زكي، الصليبيون وإسماعيلية الشام، ص ٢٣٦، رنسيمن، المرجع السابق، ص ١٨٤.

(٥) نهى فتحي، إمارة طرابلس، ص ٧٢.

(٦) نهى فتحي، المرجع السابق، ص ٧٣، انظر الملحق ص ٢١٢.

(٧) نهى فتحي، المرجع السابق، ص ٧٣، انظر الملحق، ص

ومن الملاحظ أن الصراع تطور بشكل واضح بين الفرق الدينية الصليبية وأمرء الصليبيين، فقد حاولت تلك الفرق الاستقلال بشئونها عن غيرها من القوى السياسية، بل وتطور الوضع بها إلى الخروج على تعاليمها واستخدام العنف في البطش بخصومها، حتى لو أدى إلى ارتكابهم الجرائم، ولو باستخدام عناصر الحشاشين في البطش بأعدائهم حتى ينفوا التهمة عنهم، ويضاف إلى ذلك قوة المال حيث كان لها تأثير كبير على العناصر المتنازعة داخل المجتمع الصليبي.

كما نكب بوهمند في ابن له آخر مات مسموماً بسبب الخلافات السياسية، ففي خريف عام ١٢٢٥م/٦٢٢هـ، أضطر بوهمند الرابع أمير طرابلس (سلطان سلاجقة الروم) إلى مصالحة علاء الدين كيقيباذ (١٢١٩م-١٢٣٧م/٦١٥-٦٣٤هـ) بعد طول عدااء^(١)، الذي كان يتحين الفرص للتوسع على حساب جيرانه الأرمن- واتفق معه على مهاجمة الأرمن، فبدأ كيقيباذ في غزو قليقية معتدياً على كل سكان السهل، واستولى على أربعة حصون، رغم حصول قسطنطين^(٢) ملك الأرمن على مساعدة الإسمبترية والتيتون، فأرسل قسطنطين إلى بوهمند كي يأتي لأخذ ابنه من

Joseph Francais Michaud, History of The Crusades, New York, ١٨٥٥, p1٩٠.

(١) علاء الدين كيقيباذ:- هو ابن السلطان كيخسرو الأول، وتولى بعد وفاة أخيه كيكافس الأول (١٢١١-١٢١٩م/٦٠٨-٦١٦هـ)، وقد امتاز عهده بالرفاهية وزيادة العمران وتطور التجارة وتنمية الصناعة وتقديم الزراعة، فاستطاع أن يجعل من مملكته أغنى الممالك، وكان ذلك بسبب سياسته العسكرية الراجحة ودبلوماسيته المتفوقة، فقد مد حدود مملكته حتى الشاطئ الجنوبي للأناضول، حتى الساحل المواجه لجزيرة قبرص، وأقام مقره الرئيسي في موضع اسمه العلايا، وقد اهتم بقوته البحرية، حيث أنشأ أسطولاً قوياً، هاجم به كريما ١٢٢٥م/٦٢٢هـ في الوقت نفسه الذي أرسل فيه جيشاً لأرمينيا في الشرق، انظر:

مجهول، أخبار سلاجقة الروم، من مؤلفات القرن السابع الهجري، ترجمة: محمد السعيد جمال الدين، المركز القومي للترجمة، ط. القاهرة، ٢٠٠٧م، ص.ص ٢- ٢٤٥، زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، ط. القاهرة، ب.ت، ص. ١٢٠، يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ت. عدنان محمود سلمان، المجلد الأول، مؤسسة فيصل للتمويل، استنبول، ١٩٨٨م، ص.٧٢.

(٢) قسطنطين:- بعد اغتيال آتان Atan تم تعيين قسطنطين نائباً للملك في مايو عام ١٢١٩م/٦١٦هـ، ثم بتتويج ابنة آتان إيزابيل ملكة على أرمينيا، والتي كانت وريثته الوحيدة، وعند زواج قسطنطين من العائلة المالكة، اعترف به البارونات ملكاً شرعياً على البلاد، وأقسموا له يمين الولاء والطاعة، غير أنه سرعان ما دبّت الاضطرابات في أنحاء مملكته، فقد دخل في صراعات مستمرة مع سلاجقة الروم بأسيا الصغرى، ومع الصليبيين بإمارة أنطاكية، وتوفي قسطنطين عام ١٢٢٣م/٦٢٠هـ، وخلفه ابنه هيثوم في وراثة العرش، للمزيد من التفاصيل انظر:-

Vahrm's, Chronicle of The Armenian Kingdom in Cilicia during The Time of The Crusades, Trans: Charles Fried, "Neumann", London, ١٨٣١, p.p ٤٦-٤٧.

قلعة العمودين^(١)، وعندما وصل بوهيمند إلى تل حمدون أبلغه الرسل بأنه لا جدوى من ذلك، فقد أمر قسطنطين بدس السم لفيليب بن بوهمند الذي مات بعد ذلك بقليل^(٢). وتجدد الإشارة إلى أنه كان لتضارب المصالح الصليبية الأرمينية أثره في المجتمع الصليبي، فقد أثر العلاقات بين الطرفين، حتى اضطر كل من الطرفين أن يستخدم سلاح القتل للتخلص من الطرف الآخر حفاظاً على مصالحه.

وفي عام ١٢٤٤م/٦٤٢هـ، كان لمعركة غزة الثانية أثر كبير على المجتمع الصليبي، فعندما تمكن الخوارزميون من استعادة بيت المقدس من الصليبيين، أدى ذلك إلى غضب البابا في روما على ملك الصليبيين كونراد ابن فردريك الثاني وذلك لفشله في الحفاظ على مملكة بيت المقدس، لذلك أرسل البابا إليه جماعة كي يغتالوه نتيجة لتخاذله، غير أن الملك الصليبي عرف الأمر، واحتاط لذلك فأجلس مكانه شخصاً آخر فاغتالوه، وتمكن الملك الصليبي من اعتقالهم وصلبهم جزاء عملهم الإجرامي^(٣).

وكان للأحداث التي نتجت عن معركة غزة آثار خطيرة على المجتمع الصليبي، ومنها استرداد المسلمين لبيت المقدس مرة أخرى، مما أدى إلى سلوك البابوية مسلك المجرمين في التعامل مع تلك النتائج الخطيرة، وهو الإقدام على قتل ملك الصليبيين نتيجة لما ضاع منه. أما فيما يتعلق بتفشي القتل في المجتمع الكنسي، فيلاحظ أن توجهات رجل الدين اختلفت تماماً عن هدفهم الأصلي وهو وعظ الصليبيين أثناء رحلة حجهم، إلا أننا نجد البابا يتآمر على قتل أحد الأمراء من أجل الفوز بمنصب دنيوي، ومن أجل فرض السلطة الكنسية على المجتمع الصليبي، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على انحراف تام عن الأهداف الأساسية لرجل الدين كما يعد خروجاً عن المسار المحدد له.

ومثال ذلك ما حدث مع بلدوين أمير الرها، عندما تحالف كل من الأمير تنكريد ومبعوث البابوية دايمبرت من أجل منع بلدوين من الوصول إلى مدينة بيت المقدس، من أجل إعتلاء

(١) قلعة العمودين أو العمادية:- هي قلعة تقع على ثلاث مراحل من الموصل من الشرق والشمال، وهي جبل من الصخر في الوطاة، وتحته مياه جارية، وهي في جهة الشمال من أربل، انظر:- أبو الفداء، تقويم البلدان، تحقيق رينود، ماك كوكين ديسلان، ط. باريس ١٨٤٠م، ص ٣٥٠.

(٢) حسين عطية، إمارة أنطاكية، ص ٣٢١، انظر الملحق، ص ٢١٠.

(٣) سعدون عباس نصرالله، رحيل الصليبيون عن الشرق في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، ط. بيروت، ١٩٩٥م، ص ١٣.

العرش، وذلك بعد وفاة أخيه جودفري، غير أن بلدوين أستطاع الحرب من الكمائن التي نصبها له أعداؤه، ووصل سالمًا إلى مدينة بيت المقدس، معتلياً عرش المملكة^(١)، ويدل ذلك على محاولات الكنيسة المبكرة فرض سيطرتها وسلطانها على العلمانيين من جهة، ومن جهة أخرى التحكم في ذلك المجتمع الوليد بطريقة غير شرعية.

ومن النماذج الأخرى لتدخل رجال الدين في الشؤون السياسية، وما نتج عنها من كارثة نتيجة لهذا التدخل، ما حدث بين كل من البطريرك ستيفن الشارترى (١١٢٨-١١٣٠م/٥٢١-٥٢٤هـ)^(٢)، والملك الصليبي بلدوين الثاني (١١١٨-١١٣١م/٥١٢-٥٢٥هـ)، فقد جاء الراهب ستيفن إلى مدينة بيت المقدس حاجًا، وبقي بها حتى يؤذن له بالعودة مرة أخرى، وفي تلك الأثناء اجتمع رجال الدين بمملكة بيت المقدس لاختيار بطريرك جديد للمدينة، بعد وفاة البطريرك جورموند Germond (١١١٨-١١٢٨م/٥١٢-٥٢٢هـ)^(٣)، ووقع اختيارهم على البطريرك ستيفن، وبعد تنصيبه بطريركًا أخذ يثير المشاكل في وجه الملك بلدوين الثاني^(٤)، وفي الوقت نفسه رفض الملك بلدوين الثاني ادعاءات ستيفن من أجل التنازل عن كل من مدينتي يافا وبيت المقدس والموافقة على تبعيتها لكرسي البطريركية، وهكذا تم إحياء النزاع القديم بين رجال

(١) Ralph Bailey Yewdale, Bohemond I Prince of Antioch, Princeton, ١٩١٧, p٩٣.

(٢) ستيفن الشارترى:- كان فارسًا ثم فيسكونيًا في مدينة شارتر بفرنسا، ثم التحق بخدمة الكنيسة بنفس المدينة، ثم ارتحل إلى الأراضي المقدسة حيث تم انتخابه بطريركًا لمملكة بيت المقدس من ١١٢٨-١١٣٠م/٥٢٢-٥٢٤هـ، وقد كان أحد أسباب تقوية النفوذ الكنسي داخل المملكة الصليبية ببلاد الشام، ونتيجة لذلك دخل في صراع شرس مع الملك الصليبي بلدوين الثاني، وقد كان له دور في تنظيم نشأة جماعة الداوية، للمزيد عنه، انظر:-

Hamilton, The Latin church in the crusader states, Landon, ١٩٨٠, Alan Murray, The Crusades, An Encyclopedia, p١١٢٣.

(٣) جورموند:- من أصل فرنسي، حضر إلى الأراضي المقدسة قادمًا من مدينة بيكني Piquigny الواقعة في أسقفية أمينيز Amiens، حيث تولى بطريركية مملكة بيت المقدس خلفًا لآرنولف عام ١١١٨م/٥١٢هـ، وقد كان رجلًا معروفًا بالاستقامة، حسبما وصفه ولیم الصوري، وقد استطاع أن يوفق أوضاع الكنيسة والمملكة الصليبية باقتدار أثناء فترة أسر الملك الصليبي بلدوين الثاني، وظل في منصب البطريركية حتى عام ١١٢٨م/٥٢٢هـ، للمزيد عنه، انظر:-

ولیم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٤٤، سعيد عبد الله البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩-١٢٩١م/٤٩٢-٦٩٠هـ)، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص.ص ١٤٠-١٤١، هامش (٢).

(٤) ولیم الصوري، المصدر السابق، ج٣، ص ٦٧.

السلك الكهنوتي والعلمانيين^(١)، ذلك الصراع الذي لم يحمده إلا وفاة ستيفن العاجلة في أوائل سنة ١١٣٠م/٥٢٤هـ، حيث يرجع أن البطريك ستيفن مات مسموماً وذلك تلبية للرجبة الملكية في وأد التطلعات الكهنوتية في مهدها، قبل أن تخرج عن السيطرة^(٢)، ومما يقوي احتمال تورط الملك في قتل ستيفن هو الحديث الأخير الذي دار بين الاثنين عندما زار الملك بلدوين الثاني ستيفن وهو على فراش الموت وسأله عن حاله، فأخبره ستيفن (إننى الآن يا مولاي في الحالة التي تتمناها لي)، وهو ما يقوي من تورط الملك بلدوين الثاني في تلك الجريمة^(٣).

وقد انعكس هذا الصراع الغربي على الأوضاع في الشرق اللاتيني Levant، وهو ما ظهر جلياً في الصراع بين البابوية والسلطة العلمانية الذي كان على أشده في تلك الفترة، وقد ظهر ذلك بشكل واضح في الصراع بين بطاركة بيت المقدس وبين الملوك الصليبيين، فقد أراد البطاركة إخضاع السلطة العلمانية للسلطة الدينية، ونتج عن ذلك صراعات طويلة بين الطرفين، وأدى إلى ارتكاب العديد من الجرائم في سبيل تحقيق الأهداف الخاصة بكل جانب، خاصة عندما أراد رجال الدين التدخل في معترك الحياة السياسية، ومثال ذلك الصراع الذي قام بين كل من الملك بلدوين الأول ودايمبرت، وبين ستيفن الشارترى والملك بلدوين الثاني.

ولم تقف جرائم قتل رجال الدين عند ذلك الحد، بل امتدت للإمارات الصليبية الأخرى، ومنها ما حدث مع رادولف أو رالف أوف دمفرون Ralph of Domfront^(٤) (١١٤٦م/٥٤١هـ)، بطريك إمارة أنطاكية، حيث اشتد الصراع بينه وبين ريموند الثاني Raymond II (١١٣٧-١١٥٢م/٥٣١-٥٤٧هـ)^(٥) أمير أنطاكية، وظهر رالف كمنافس

(١) إبراهيم سعيد فيمحمود، يافا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي (١٠٩٩-١٢٩١م/٤٩٢-٦٩٠ هـ)، ط. الإسكندرية، ١٩٩١م، ١٣٠.

(٢) وليم الصوري، المصدر السابق، ج٣، ص٦٨، محمد عبد الله محمد مهيوب المقدم، الاغتيالات، ص٢٠٩
(٣) وليم الصوري، المصدر السابق، ج٣، ص٦٨، سرور عبد المنعم، السياسة الداخلية والخارجية، ص٢١، انظر الملحق ص ٢١١.

(٤) رالف:- ولد رالف بمدينة دمفرون بنورماندى جنوب فرنسا، حيث كان فارساً ثم انضم بعد ذلك للسلك الكهنوتي، ثم ذهب إلى بلاد الشام حيث تم انتخابه بطريكاً لأنطاكية خلفاً لبرنارد أوف فالنس، وسرعان ما دخل رالف في صراع مع ريموند أمير أنطاكية، انظر:-

Hamilton, (Bernard), "Ralph of Domfront, Patriarch of Antioch (١١٤٠-١١٣٥)", in; Nottingham Medieval Studies , No.٢٨, (١٩٨٤), p.p(١٠٢١).

(٥) ريموند الثاني:- هو ابن بونز أمير طرابلس، وكليكا أوف فرانس أرملة تتركيد أمير أنطاكية، ووصل ريموند للحكم بعد مقتل والده عام ١١٣٧م/٥٣٢هـ، ثم تزوج من هويدرينا Hodierna أخت الملكة مليزندا Melisenda

لريموند في ذلك الصراع، غير أن ريموند استطاع استمالة بعض الأمراء بالإضافة إلى رجال الدين إلى جانبه، وتقدموا جميعاً بشكوى جماعية إلى البابا في روما، يشكون فيها سوء تصرف رادولف، مما أدى إلى اضطرار رادولف إلى السفر إلى روما من أجل الدفاع عن نفسه أمام البابوية، وعندما أنهى مهمته في روما وعند عودته إلى إمارة أنطاكية مرة أخرى، وجد أعداءه من رجال الدين والأمراء في تزايد مستمر، مما أدى إلى تفاقم الأوضاع في أنطاكية، فقامت البابوية بإرسال أحد مندوبيها إلى أنطاكية للتحقيق في الأحداث التي تدور هناك، فعقد ذلك المندوب مجمعاً في كنيسة القديس بطرس بأنطاكية في ٣٠ نوفمبر ١١٣٩م / ٧ ربيع الآخر ٥٣٤هـ، حضره حشد كبير من رجال الدين من مختلف الإمارات الصليبية، وانتهى ذلك المجمع بإدانة رادولف وعزله عن منصبه، ولم يلبث أن قتل مسموماً عام ١١٤٣م / ٥٣٧هـ^(١)، ويرجح أن ريموند وراء تلك الجريمة، ولكن بشكل غير مباشر، مستخدماً في ذلك رجال الدين المناوئين لـالف، حتى لا ينازعه خصم في إمارته، وربما أراد من تقديم شكواه للبابا في روما أن يبرئ نفسه مما هو مقدم عليه بقتله لغريمه رادولف.

أما بالنسبة للنظام الكنسي الموجود بالإمارات الصليبية، فقد كان عامراً بالفساد، وتبدلت أهدافه الدينية إلى أهداف دنيوية، مما دفع برجال الدين إلى ارتكاب الجرائم للحفاظ على المكانة التي وصلوا إليها، ومنها على سبيل المثال ما حدث لأحد كرادلة البابا هونوريوس الثاني Honorius II (١١٢٤-١١٣٠م / ٥١٧-٥٢٤هـ)، الذي قام بإرساله إلى الإمارات الصليبية ببلاد الشام. للنظر في أحوال الكنائس بها، غير أن هذا الكاردينال ما لبث أن وصل إلى مملكة بيت المقدس، وباشر مهامه في البحث والتفتيش على الكنائس، حتى أدركته المنية فجأة، وقد أشيع أنه قتل بالسم، مما أدى إلى غضب البابا في روما، فقام بإرسال أحد مندوبيه الأربعة الكبار، فعزل البطريرك الأنطاكي، وأقام بطريركاً آخر عوضاً عنه^(٢).

ملكة بيت المقدس، والتي أنجبت له ريموند الثالث Raymond III، ووقع في أسر زنكي، ثم أطلق سراحه، حيث دخل في صراع مع ألفونسو أوف جوردان Alphonse of Jordan، وقد كان لريموند علاقات مع فرسان الإسطبارية حيث منحهم قلعة الكرك، وقد كان من نتائج الصراع مع ألفونسو، عدم يتعاون ريموند مع قادة الحملة الصليبية الثانية في الهجوم على مدينة دمشق، وتوفي ريموند الثاني عام ١١٥٢م / ٥٤٧هـ، لمزيد من التفاصيل انظر:-

Richard (J), Le Conte de Tripoli Sous La Dynastie Toulousaine, Paris, ١٩٤٥, p.٧١-١١.

(١) ولیم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص.ص ١٩٣-١٩٧، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص.٤٢٤، انظر الملحق ٢١٥.

(٢) روايات ميخائيل السوري الكبير، ضمن: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق

وهكذا يتضح لنا من تلك الجريمة أن الفساد انتشر في النظام الكنسي في الإمارات الصليبية، مما حدا بالبطاركة إلى التخلص من مبعوثي البابوية حتى لا يكشف الفساد الذي هم عليه، مما أثار غضب البابا عليهم، وقام بإرسال رجل آخر لم يستطيعوا التعرض له، مما كان له أكبر الأثر في صدور قرارات حرمان ضد الصليبيين في الساحل الشامي، ويضاف إلى ذلك تبدل طبيعة الدور الديني لرجال الدين الصليبيين، وانشغالهم بالأمر الدنيوية، ومحاولة فرض السيطرة الكنسية على السلطة السياسية، مما كان له أكبر الأثر في تورطهم في ارتكاب الجرائم مثلهم في ذلك مثل بقية أفراد المجتمع الصليبي.

وتكملة لمسيرة الفساد الكنسي ما حدث مع وليم الصوري^(١) William of Tyre رئيس أساقفة مدينة صور، في الصراع بينه وبين البطريرك هرقل^(٢). فعندما تولى هرقل بطريركية بيت

وترجمة: سهيل ذكار، الجزء الخامس، دمشق، ١٩٩٥م، ص ١٦٥، انظر الملحق ٢١٥.

(١) وليم الصوري: هو المؤرخ الرسمي لمملكة بيت المقدس الصليبية في القسم الأول من القرن ١٢م/١٢هـ، ولد في بيت المقدس حوالي عام ١١٢٧م/٥٢١هـ من أبوين فرنسيين، وقد تلقى وليم الصوري المؤرخ تعليمه الأول في إحدى المدارس التابعة للأديرة، وفيما بعد سافر إلى الغرب الأوربي خاصة فرنسا وبولونيا حيث تتلمذ هناك = على مراكز العلم خلال نهضة القرن ١٢م/١٢هـ لمدة عشرين عامًا فيما بين عامي ١١٤٦-١١٦٥م/٥٤١-٥٦١هـ، وعندما عاد أدرجه إلى بيت المقدس خلال عهد الملك عموري الأول (١١٦٣-١١٧٤م/٥٥٩-٥٧٠هـ)، جعله مؤدبًا لابنه بلدوين الرابع، وطلب منه كتابة تاريخ المملكة الصليبية، وبالفعل ألف تاريخ الأعمال، وتاريخ الأمراء الشرقيين، والأخير مفقود، للمزيد من التفاصيل انظر:

Edbury and Rowe, William of Tyre Historian of the Latin East, Cambridge, ١٩٨٨, Krey, " William of Tyre The making of an Historian in the Middle Ages", S, Vol. XVI, ١٩٤١, PP١٤٩-١٦٦, Davis, " William of Tyre", in Barker (ed), Relations between East and West in The Middle Ages, Edinburgh, ١٩٧٣, PP٦٤-٧٧, Robert Crawford, William of Tyre and Maronites, Speculum, Vol.٣٠, No.٢, (Apr١٩٥٥), PP٢٢٢-٢٢٨, جمال الزنكي، " المؤرخ وليم الصوري في ميزان النقد التاريخي"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد: ٨٥، السنة ٢٢، ٢٠٠٤م، ص ٤١-٤٧، سمائي، المؤرخون في العصور الوسطى، ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة، ١٩٨٠م، ص ١٨٦-١٨٧، عمر كمال توفيق، " المؤرخ وليم الصوري"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، م (٢١)، عام ١٩٦٧م، محمد مؤنس عوض، وليم الصوري مؤرخًا للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية في المرحلة من ١١٢٧-١١٥٠م/٥٣٢-٥٤٥هـ سلسلة دراسات شرق أوسطية، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، ط. القاهرة، ١٩٩٥م.

(٢) البطريرك هرقل: هو في الأصل شخصية دينية فرنسية، ولدت في مقاطعة أفريجين Auvergne في جنوبي فرنسا، وقدم إلى بيت المقدس وصار قسيساً، وتولى منصب رئيس شمامسة بيت المقدس خلال المدة من ١١٦٩-

المقدس، إذا به يعلن فجأة ودون سابق إنذار توقيع قرار الحرمان ضد وليم الصوري رئيس أساقفة صور دون محاكمة ودون أي حق له، مما يخالف سنن العدالة^(١). وعندما استشعر وليم الصوري بالظلم، لجأ إلى البابا في روما لحسم قضيته، وأن يظل في وظيفته، وقد كللت مجهوداته بالنجاح^(٢). وفي أثناء ذلك كان البطريك هرقل قد قام بتكليف أحد الأطباء بمراقبة وليم رئيس أساقفة صور أثناء رحلته إلى روما، وذلك لوضع السم له مقابل مبلغ من المال، واستجاب الطبيب لتلك الرشوة المالية، ورافق وليم إلى مرسيليا ثم إلى جيفودان Gevaudan مسقط رأسه حيث توفي عام ١١٨٦م/٥٨١هـ، ولما بلغ هرقل خبر الوفاة كر عائداً إلى مملكة بيت المقدس^(٣). ومن الملاحظ أن الصراع بين رجال الدين داخل المجتمع الصليبي كان على أشده، مما أدى إلى اتخاذ أطرافه أساليب لا تتناسب مع مكانتهم داخل المجتمع الصليبي لحسم القضايا لصالحهم، وتطور ذلك الأمر إلى حد استخدام القتل كوسيلة من وسائل حسم الصراع للفوز بمنصب كنسي.

١١٧٥م/٥٦٥-٥٧١هـ وفي أعقاب هرنسيوس رئيس أساقفة قيسارية عام ١١٧٥م/٥٧١هـ تم انتخابه من فوره لكي يتولى المنصب الشاغر، وقد مثل المملكة الصليبية خارجياً حيث توجه عام ١١٧٨م/٥٧٤هـ مع وفد من رؤساء الأساقفة ورؤساء الكنائس والأديرة إلى روما، وفي أعقاب وفاة عموري أنسلم بطريك بيت المقدس عام ١١٨٠م/٥٧٦هـ تم انتخاب هرقل لكي يخلفه في منصبه، انظر:

سعيد عبد الله البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩-١٢٩١م/٤٩٢-٦٩٠هـ)، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية، ١٩٩٠م، حاشية (١)، ص ٢٨٠، مارشال بلدوين، اضمحلال وسقوط بيت المقدس ١١٧٤-١١٨٩م/٥٧٠-٥٨٥هـ ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية، تحرير: سعيد البيشاوي ومحمد مؤنس، ص ٢٨٥، حاشية (١٧)،

Kedar, " The Patriarch Eraclius", in Kedar (B.Z), Mayer, and Smail (R.C), ed. Outremer Studies in the Crusading kingdom of Jerusalem, Jerusalem, ١٩٨٢, PP ١٧٧-٢٠٤, Regan, Saladin and the Fall of Jerusalem, London, ١٩٨٧, P٥٥, Matthew Spinka, Latin Church of the Early Crusade, Church History, Vol.٨, No.٢, (Jun ١٩٣٩), P.١٢٢.

(١) ذيل وليم الصوري، ص ٨٣.

(٢) Archer and Charles L. Kingsford, The Crusades, The Story of The Latin Kingdom of Jerusalem, New York, p ٢٧٠, Walter Besant, Jerusalem, The= City of Herod and Saladin, London, ١٨٧١, p٢٦٧.

(٣) ذيل وليم الصوري، ص ٨٣.

ويلاحظ أيضًا من تلك الجريمة ترابط كل من جريمتي الرشوة والقتل، فقد تم استخدام الأولى كوسيلة لتنفيذ الثانية، مما يدل على تزامن وقوع الجرائم المختلفة داخل الكيان الصليبي في وقت واحد، بل وتداخلها في بعض الأحيان كما في تلك الجريمة.

وقد تنوعت وسائل القتل لدى الصليبيين، فهناك القتل بالسم، أو بالخنجر إلى غير ذلك، ومن أمثلة القتل بالسم ما حدث للملك الصليبي بلدوين الثالث، فعندما كان في أنطاكية في آخر زيارة له، أراد أن يأخذ دواء كان معتادًا أن يأخذه معه قبل حلول فصل الشتاء، لذلك حصل على حبات دواء من طبيب سرياني يدعى باراك Barak وهو الطبيب الخاص بالأمير ريموند الثالث أمير طرابلس، وذكر ولیم الصوري بأنه كانت هناك شائعات بأن حبات الدواء كانت مسمومة، وربما كانت تلك هي الحقيقة، لأنه تم تجربة باقى تلك الحبات بوضعها لأحد الكلاب، فمات ذلك الكلب بعد عدة أيام، وبمجرد أن تناول الملك بلدوين الدواء أصيب بحمى شديدة، وعندما أخذت حالته تتدهور، ترك مدينة أنطاكية إلى طرابلس ومكث هناك عدة شهور ساءت فيها حالته الصحية، وعندما شعر بدنو أجله طلب أن يحمل إلى بيروت وتوفي هناك في ١٠ فبراير ١١٦٢ م/ ٢ ذي الحجة ٥٥٧هـ، في سن الثالثة والثلاثين، وذلك بعد موت أمه الملكة مليزندا بعدة شهور فقد ماتت الملكة في ١١ سبتمبر ١١٦١ م/ ٢٠ رمضان ٥٥٦هـ، ويرجح أن الملك بلدوين الثالث مات مسمومًا على يد حزب أمه الملكة مليزندا الذي كان على رأسه ابنها عموري، لأن الملك بلدوين الثالث لم يقيم بتصفية حساباته مع كل أنصار مليزندا، وكان الملك يراعى شعور أمه رغم إبعادها عن الحكم، ولذلك يبدو أنه بعد موت مليزندا خاف أنصارها من انتقام بلدوين الثالث منهم، فدبروا موته بهذه الطريقة، إذ لم يبق في الحكم بعدها سوى ستة أشهر فقط^(١).

وتوضح لنا تلك الحادثة أن الأمراء الذين كانوا ناقلين على الملك الصليبي، ولم يكن بمقدورهم الوقوف في مواجهته مباشرة أو معارضته، كانوا يستخدمون السموم في التخلص من أعدائهم، فمنها سهولة وضعها للخصم المنافس لهم، ومنها أنهم يستطيعون نفي التهمة عنهم، وهو ما كان يحدث بالفعل.

وبتحليل تلك الحادثة، نجد أن الحالات المرضية الناتجة عن الإصابة بالتسمم قد تزايدت بشكل واضح داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، وبالتالي يمكن إدراك أن أنواع السموم

(١) عبد الحفيظ محمد علي، مشكلات الوراثة في مملكة بيت المقدس وأثرها على تاريخ الحركة الصليبية (١١٣-١١٨٧م)، دار النهضة العربية، ط١ القاهرة، ١٩٨٤م، ص.ص ٧٣، ٧٢، انظر الملحق، ص ٢١٣.

المختلفة قد استعملت من أجل الفتك بالقيادات السياسية الصليبية المتصارعة والمتنافسة، وقد وقف الطب الصليبي عاجزاً عن علاجها على نحو أدى إلى وفاة المتسمم في النهاية دون أن تقدم له أية وسيلة لإنقاذ حياته من الهلاك باستثناء بعض الحالات الخاصة، والواقع أن معرفة الصليبيين بأنواع السموم كانت جيدة، بل إنهم استعملوا تلك السموم في الفتك بالحيوانات المفترسة التي وجدوا صعوبة في اصطيادها مثل الفهود وغيرها^(١).

وقد تقدمت صناعة السموم داخل المجتمع الصليبي، فوجد بالقرب من مدينة أريحا حقل صغير لتربية الثعابين والأفاعي من أجل استخراج السموم، وقد كان يتم في هذا الحقل اصطياد جميع أنواع الثعابين والأفاعي السامة، وذلك من أجل تربيتها ثم بعد ذلك تباع في المدن ويقوم بشرائها من هم متخصصون في صناعة أنواع العلاجات المختلفة من الثعابين وكذلك أنواع السموم المختلفة^(٢).

وخلال تلك الأحداث أحاط ملوك الصليبيين أنفسهم بسياج أمني محكم، يتكون من عدد كبير من الحراس المدججين بأنواع الأسلحة المختلفة، حتى صار من الصعب النيل منهم، لذلك ظهرت طرق وأساليب متعددة لخرق هذا الجدار الأمني بغرض التنكيل بهم، منها دس السم لقتل الخصم، وقد صارت هذه الطريقة شائعة آنذاك. وعلى الرغم من أن ملوك الصليبيين احتاطوا لأنفسهم لئلا يقعوا ضحية لذلك، قام الخصوم بدس السم في الأطعمة والأشربة المعدة لهم، لذلك خضعت تلك المأكولات والمشروبات لرقابة أمنية مشددة وفحص دقيق من الأطباء الأمناء^(٣).

وعرف المجتمع الصليبي جميع أنواع السموم، فهناك السموم النباتية والتي تمثلت في نبات الخشخاش والأفيون، والسموم الحيوانية والتي تم استخراجها من الخنفساء والضفدع البري والأفاعي السامة، ثم يلي ذلك السموم المعدنية والتي كان أشهرها الزرنيخ (كبريت الزرنيخ)، وقد اختلفت درجة سمية تلك الأنواع بحسب اختلاف نوعيتها ومقدار الجرعة التي كان يتم

(١) محمد مؤنس، "أضواء على الطب في المناطق الصليبية خلال المرحلة من ١٠٩٨ إلى ١١٧٤م/ ٤٩١-٥٧٠هـ"، ضمن كتاب (عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ١٢٥.

(٢) Anonymous , City Of Jerusalem (١٢٢٠ A.D) , Trans. by C.R.Conder , P.P.T.S. London ١٨٩٦, p٥٩.

(٣) نسرين الأربلي، التدابير الأمنية، ص.ص ١٣٣، ١٣٢.

دسها للشخص المطلوب القضاء عليه، وقد نتج عن حالات التسمم أعراض مختلفة مثل القيء والإسهال أو العطش الشديد، وظهور آلام شديدة على الشخص المصاب^(١).

وقد فشا استخدام السموم في جميع فئات المجتمع الصليبي من الأمراء العلمانيين إلى رجال الدين وانتهاءً بطبقة العامة، واستخدمت السموم ضمن الصراع على السلطة بين الأمراء العلمانيين، كما كانت السموم هي السلاح المفضل لرجال الدين في صراعاتهم التي لا تنتهي حول المناصب الدينية المرموقة^(٢)، غير أنه من المفترض أن هناك حالات للإصابة بالسمية لدى قطاعات من المجتمع الصليبي خارجة عن نطاق القيادات السياسية والدينية، لم تشر إليها المصادر التاريخية الصليبية وتجاهلتها، ومن زاوية أخرى يلاحظ من خلال نصوص المصادر التاريخية الصليبية التي وصلت إلينا أن حالات التسمم المذكورة كانت فردية، ولم تكن هناك حالة واحدة تسم بالطابع الجماعي طوال فترة تواجدهم ببلاد الشام، وبالتالي فضحايا تلك الحالات كانوا متناثرين وموزعين على مرحلة زمنية ممتدة، ولم يكونوا مركزين في مرحلة واحدة^(٣)، وقد أشار إليها جاك دفيتري كظاهرة متفشية^(٤).

وقد انتشرت حالات الإصابة والقتل عن طريق السم بشكل كبير بين فئات العامة في القرن الثالث عشر، وخاصة في النصف الثاني منه، ونخص بالذكر مدينة عكا حيث كانت تشهد جرائم قتل بالسم بمعدل مرتفع يومياً، فكان الزوج يقتل زوجته إذا فقد رضاها، وكانت الزوجة تقتل زوجها بالسم لكي تتزوج من غيره، وبذلك انعدمت الثقة تماماً بين فئات المجتمع، وجاء ذلك دليلاً على التفكك الأسري على الرغم من أن الأسرة ذاتها نواة المجتمع، والذي ساعد على انتشار القتل عن طريق السم، هو وجود تجار لتلك السلعة، كانوا يبيعون تلك السموم والمواد القاتلة الأخرى، بل وصل الأمر للتطور في صنع تلك السموم أن صانعي تلك المواد القاتلة، كانوا يربون في بيوتهم بعض الحيوانات، وكان يصنع من روئها نوعاً من السموم، وكل من أراد التخلص من عدوه كان يجد كل ما يشتهي لقتله، بحيث يتألم لمدة سنة إذا أراد القاتل ذلك، أو لمدة شهر أو لمدة

(١) محمد مؤنس، أضواء على الطب، ص ١٢٥.

(٢) مهيبوب، الاغتيالات في بلاد الشام، ص ٢٠٨.

(٣) محمد مؤنس، أضواء على الطب، ص ١٢٦.

(٤) Jacques de vitry, Ibid, p٨٧.

يوم، إذا ما أراد له موتاً عاجلاً^(١).

ويرجح أن الحرمان العاطفي كان له دوره في انتشار جريمة القتل بين الأزواج، فقد كانت المرأة تلجأ إلى قتل زوجها عندما كانت تعيش في مثل هذه الحالة، كما وأن الغيرة النسائية كان لها دورها في قتل المرأة زوجها إذا علمت أنه على علاقة بامرأة أخرى، وبذلك انتشر داخل المجتمع الصليبي كثرة العلاقات غير الشرعية، وعلى ضوء تلك العلاقة أيضاً كان الزوج يقوم بقتل زوجته عندما يعلم أنها على علاقة برجل غيره، وكانت تلك العلاقات غير السوية منتشرة بكثرة داخل المجتمع الصليبي وذلك بسبب توافد الحجاج بشكل مستمر على الأراضي المقدسة والمدن الشامية التي خضعت للسيطرة الصليبية. ويضاف إلى ذلك سوء الأوضاع الاقتصادية بالمدن الصليبية وانتشار البطالة^(٢)، كل تلك المظاهر كان لها دور في تفسخ العلاقة الأسرية، وزيادة معدل العنف بين الأزواج، ومنها اللجوء إلى للقتل كحل سريع لإنهاء المشاكل الاقتصادية.

وقد حدث تطور كبير في صناعة السموم بمدينة عكا الصليبية، فقد تفنن صانعو السموم في صناعة أنواع مختلفة ومتعددة منها، وقد راجت تلك السلعة بشكل كبير، ونتج عنها ارتفاع معدل جريمة القتل داخل المجتمع الصليبي، ومن ناحية أخرى زادت أرباح التجار من وراء المتاجرة فيها، وبعد أن كان الصليبيون يستخدمون تلك السموم بوضعها في السهام والسكاكين في فترة تواجدهم ببلاد الشام، للقضاء على أعدائهم المسلمين^(٣)، أصبحوا يقتلون بها بني جلدتهم.

ومن حوادث الاغتيال السياسي الغامضة التي ورد فيها السم كسبب، ما حدث عام ١١٤٨م/٥٤٢هـ، مع ألفونسو جوردان Alfonso Jordan كونت تولوز، وهو الابن الأكبر لريموند الصنجيلي الذي حارب في الحملة الصليبية الأولى، عندما رست سفينته في ميناء عكا، وبينما كان في طريقه إلى بيت المقدس لأداء واجب الشكر على نجاح رحلة حجه، توقف عند مدينة قيسارية الساحلية، حيث تم استدعاؤه إلى مدينة طرابلس، غير أنه سرعان ما داهمه مرض توفي على إثره، وترددت الشائعات بأنه مات مقتولا بالسم بيد ريموند أمير طرابلس^(٤).

(١) Jacques de Vitry, Letters, p٨٧.

(٢) The Monk Theodosios the Constantinopolitan, The Life of Leontios patriarch of Jerusalem, Trans.by: Dimitris Tsougarakis, New York, ١٩٩٣, p١٢٩

(٣) Piers Mitchell, Medicine in the Crusades: Warfare, Wounds, and The Medieval Surgeon, Cambridge, ٢٠٠٤, p١٥٥.

(٤) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٩١، انظر الملحق، ص ٢١٣.

ومن المرجح أن ألفونسو كان له أعداء كثيرون، على الرغم من أنه كان يعيش في إمارته في فرنسا، وعندما قدم إلى بلاد الشام استشعر بعض أمراء الصليبيين خطورة تواجد ألفونسو في بلاد الشام على مراكزهم السياسية، فتم التخلص منه بطريقة سريعة وهي وضع السم له، مما أدى إلى وفاته ومن ثم التخلص من منافس عنيد.

وفيا لمخصص دور المرأة في جريمة القتل، فقد كان للمرأة دور مهم في جريمة القتل، ومن أمثلة ذلك ما كان من نزاع زوجي وخلافات شديدة بين ريموند الثاني أمير طرابلس (١١٣٧-١١٥٢م/٥١٢-٥٤٧هـ)، وزوجته هوديرن Hodriene، الابنة الثالثة للملك الصليبي بلدوين الثاني، وأخت الملكة مليزندا، وقد بلغت العلاقة الزوجية بينهما درجة كبيرة من السوء وذلك في أوائل عام ١١٥٢م/٥٤٧هـ، مما استوجبت معه تدخل الملك الصليبي بلدوين الثالث وأمه الملكة مليزندا، بحكم الصلة العائلية لفض ذلك النزاع، وسافر بالفعل كل من الملك بلدوين والملكة مليزندا إلى إمارة طرابلس، غير أن نصائحهما لم تجدي نفعًا، وصحبت مليزندا أختها هوديرن إلى مدينة نابلس، بينما ظل الملك بلدوين الثالث بعض الوقت في طرابلس، ولم تكد كل من هوديرن ومليزندا بتباعدان كثيرًا عن مدينة طرابلس، حتى قتل ريموند الثاني بأيدي جماعة من الباطنية، وصورة قتله أنه أثناء عودته من المدخل الجنوبي لعاصمته وعند دخوله بوابة الولاية، هجم عليه جماعة من الفداوية وطعنوه بخناجرهم، فسقط على الأرض مفارقًا الحياة، ولقد حاول أحد الفرسان المرافقين له ويدعى رادولفوس دي مارلو Radulphus de Marlo الدفاع عنه، غير أنه لقي مصرعه هو الآخر، وحينذاك تعالت الأصوات والصياح فاندفع رجال الحامية بسلاحهم وتدفقوا في الشوارع يذبحون كل من يشاهدونه من المسلمين انتقامًا لمقتل سيدهم، وكان من ضمنهم جماعة الفداوية التي اغتالت ريموند، وبالرغم من أن هوديرن عادت بسرعة لتذرف الدمع على زوجها القتيل، إلا أن ذلك لم يعفها من بعض الاتهامات والشكوك في تأمرها على قتل زوجها^(١)، وهذا نوع من أنواع الإغتيال السياسي الذي نال من الطبقة السياسية

France, The Crusades and The Expansion of Catholic Christendom, ١٠٠٠-١٧١٤, New York, ٢٠٠٥, p1٣٧.

(١) Natasha Hodgson, Women, Crusading And the Holy Land, p١٤٠,

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص.ص ٥١٣، ٥١٢، أسامة زكي، الصليبيون وإسماعيلية الشام، ص ٢٢٤، عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ط. الإسكندرية، ١٩٦٦م، ص ٢٧٦، حامد زيان، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط. القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٩٩، انظر الملحق، ص.

للمجتمع الصليبي.

ولم تتوان القيادات الصليبية في الاتصال ولو سراً بعناصر الحشاشين للتخلص من أعدائهم، وذلك حتى يحافظوا على مظهرهم الاجتماعي ومكانتهم السياسية داخل المجتمع الصليبي، بل ولجوء الزوجة أيضاً إلى عمل اتصالات سرية مع القتلة من أجل التخلص من زوجها، ويضاف إلى ذلك ما نتج عن تلك الجريمة، وهى جريمة أكبر منها وأعني بذلك عملية القتل الجماعي والعشوائي للمسلمين داخل المدينة، وذلك بعد وقوع الحادثة مباشرة، وكان هدفهم قتل الجناة قبل هروبهم، ويضاف إلى ذلك الانتقام من المسلمين الموجودين داخل المدينة مع وجود مبرر قوي لذلك.

أما فيما يتعلق بالعقاب بالقتل بسبب الجرائم السياسية أو الخيانة، فهو ما سوف نطرحه في تلك الحادثة، فقد شب نزاع بين كل من الملك الصليبي بلدوين الثالث وجيرارد Gerard Grenier (١١٧١م/٥٦٦هـ) أمير صيدا^(١)، ووصل ذلك النزاع إلى درجة كبيرة من السوء بين الاثنين، فقد نما إلى علم الملك الصليبي أن جيرارد قد خرج عن طاعته، وأحضر عددًا من المراكب استعان في قيادتها ببعض القراصنة، وقام بعمليات سلب ونهب لسائر المراكب التي كانت تحمل الحجاج المسيحيين والقادمة إلى الأراضي المقدسة بهدف الحج والزيارة، مما أدى إلى استياء الحجاج المسيحيين من ذلك التصرف، وتقدموا بالعديد من الشكاوى إلى الملك الصليبي، غير أن جيرارد لم يرتدع، فقام الملك بلدوين الثالث بطرده من بارونيته وفقاً لقانون التبعية الإقطاعية، فاتجه جيرارد إلى أنطاكية متبعاً نفس أسلوب القرصنة، فطرده أيضاً أميرها، فلم يجد جيرارد أمامه سوى نور الدين محمود (١١٤٦-١١٧٤م/٥٤١-٥٧٠هـ)، فلجأ إليه، ورحب به نور الدين محمود خاصة بعدما وعده جيرارد بالتعاون معه ضد الصليبيين، واشترك جيرارد في معارك كثيرة بجانب المسلمين ضد الصليبيين، مما أثار غضب الملك بلدوين الثالث، فصمم على التخلص منه وبالفعل نجح في القبض عليه، حيث كبله بالأغلال واصطحبه معه إلى مملكة بيت المقدس في طريق عودته، وهناك تمت محاكمته وإدانته وحكم عليه بالموت حرقاً بالنار^(٢).

(١) صيدا:- مدينة وقلعة تقع على الساحل الجنوبي من لبنان، على رقعة متسعة من الأرض تمتد قليلاً داخل البحر، والمدينة مرفأً يحميه ريف صخري طبيعي، كما يحميه حصن بحري من الهجمات الخارجية القائمة من البحر، انظر:- مولر، القلاع، ص ٩٠.

(٢) أسامة زكي زيد، صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. الإسكندرية، ١٩٨٨م، ص ١٤٨، انظر الملحق، ص.

ومن تلك الحادثة يتضح حالة التعاون بين بعض العناصر الصليبية وبين المسلمين ضد الصليبيين، وأنه عندما كان يتم الإيقاع بتلك العناصر التي ساندت المسلمين، كانت تقام لهم محاكمة عاجلة، ويتم فيها تطبيق عقوبة القتل بطريقة وحشية، ومنها الحرق لإرهاب من تسول له نفسه التعاون مع المسلمين مرة أخرى.

ونستنتج من ذلك أيضًا أن عهد الملك بلدوين الثالث كان أكثر عهود المملكة الصليبية التي شهدت حالات قتل أو محاولات للقتل، ويرجع ذلك إلى الحرب الأهلية التي وقعت بين بلدوين الثالث من جهة وأمه الملكة ميليزندا وأخوه عموري من جهة أخرى، وما نتج عن تلك الحرب من حالة فوضى أمنية واضحة أدت إلى شيوع أسباب الجريمة داخل المجتمع الصليبي، وكثرت حالات التأثير الشخصي داخل المجتمع الصليبي، نتيجة شعور المجرم بصعوبة تعاقبه.

ويتضح من خلال سرد تلك الجرائم على مدى القرن الثاني عشر الميلادي، السادس الهجري، تطور جريمة القتل ودوافعها تطورًا كبيرًا، فمنذ بداية احتلال الصليبيين للمدن الساحلية الشامية، كان لديهم حماس كبير لقتل كل ما هو غير صليبي، بداية من قتل اليهود وحرقتهم بالنار، ثم إقامة المذابح للمسلمين بالمدينة الشامية، ثم قتل العناصر المسيحية الشامية والتي لم يفرقوا بينها وبين المسلمين، ويدل ذلك على مدى التعصب الأعمى الذي تملكهم، وتطورت جريمة القتل بشكل آخر داخل المجتمع الصليبي نفسه، فقد كان القتل يتم لأسباب سياسية ومنها الرغبة في الاستيلاء على منصب معين، أو التخلص من قائد بعينه، ثم انتقلت جريمة القتل داخل المجتمع الكنسي لتخرج رجال الدين عن وقارهم ودورهم المعروف في إرشاد الناس ونصحهم، وذلك من أجل الوصول لأعلى المناصب الكنسية وما يحققه ذلك من نفوذ وثروة كبيرة، وشيوع القتل أيضًا بين أفراد الطبقة الحاكمة من النبلاء والملوك الصليبيين بهدف إزاحة المنافسين لهم وتحقيق سيطرتهم الكاملة على رعيّتهم، ثم تطور ذلك الأمر إلى جريمة القتل الجماعي التي كانت تقع تحت ظروف معينة، ومنها الشك في الولاء كما في حالة كونراد مونت فرات مع أطبائه، بل إن الخلافات الزوجية كان لها دورها في ارتكاب جريمة القتل بين الطبقة الحاكمة.

أما عن جريمة القتل الجماعي فمنها ما قام به المركز كونراد أوف مونتفرت Conrad of Montfort^(١)، فقد حدث أن وقع المركز كونراد فريسة لمرض كان يعاوده من فترة لأخرى،

(١) كونراد أوف مونتفرت: هو ابن وليم الثالث مركز مونتفرت بشمال إيطاليا، حضر أخوه وليم طويل السيف

غير أن تلك المرة التي جاءت فيها نوبة المرض كانت أشد من سابقتها. ولما كان كونراد محاطاً بالأعداء من كل جانب، فقد ثارت شكوكه بكل من حوله، وتخيل أن الأطباء المعالجين قد دسوا السم له في الشراب، فأصدر قراراً رهيباً بحق هؤلاء الأطباء، وهو قتلهم جميعاً نتيجة لأمر لم يفعلوه، وبرغم من أن الدواء الذي أعطوه له كان فيه شفاؤه^(١).

وهكذا كان الشك بأي شخصية مهما كان منصبها كان يؤدي إلى مقتلها على الفور، وخاصة وقت الأزمات حتى أدى ذلك إلى انتشار عدم الشعور بالأمان من جانب العديد من الشخصيات. فقد كان من المتوقع قتلهم في وقت وبأى طريقة لمجرد الشك في سلوكهم. كما تبرز تلك الحادثة أن المركز لم يلتفت إلى أية قوانين لمعاقبة المتهمين، بل إنه أصدر الحكم على الفور وتم تنفيذه دون أي معارضة من أحد.

ومهما يكن من أمر، فقد قتل كونراد أوف مونتفات، بعد قليل أثناء الحملة الصليبية الثالثة، فملوك أوروبا الذين شاركوا في هذه الحملة الصليبية، حملوا معهم ضغائنهم وأحقادهم الشخصية وصراعاتهم العرقية إلى بلاد الشام^(٢)، فقد انقسم المعسكر الصليبي أثناء الحملة الصليبية الثالثة إلى فريقين، فريق يؤيد جاي لوزيجنان Guy of Lusignan^(٣)، يدعمه الملك

أكبر أبناء المركز إلى الشام في عام ١١٧٥م/٥٧٠هـ، وتزوج من سبيل شقيقة بلدوين الرابع وأنجب منها بلدوين الخامس، إلا أن وليم مات في عام ١١٧٧م/٥٧٢هـ، وذهب أخوه الثاني رينيه إلى بيزنطة ومات هناك، وقدم أبوه المركز العجوز إلى بلاد الشام في عام ١١٨٥م/٥٨٠هـ، بعد موت الملك بلدوين الرابع ليرعى حفيده بلدوين الخامس، وكان المركز من بين أسرى صلاح الدين في حطين، وذهب كونراد إلى القسطنطينية حيث ساعد الإمبراطور اسحق أنجليوس (١١٨٥-١١٩٥/٥٨٠-٥٩١هـ)، في القضاء على ثورة اندلعت ضده وتزوج = من ثيودورا شقيقة الإمبراطور البيزنطي الذي تشكك في نوايا كونراد فيما بعد وساءت العلاقات فيما بينهما، فحضر كونراد وبصحبه بطانته من الإيطاليين، ورسا في مرفأ عكا، وعلم أنها سقطت في أيدي صلاح الدين، فظهر بأنه تاجر من الغرب حتى تمكن من الإبحار إلى صور، وكانت والدته كونراد أختاً غير شقيقة لوالد الإمبراطور فريديك بربروسا، وكان أبوه المركز العجوز أختاً غير شقيق لأديلا والدته الملك لويس السابع، كما كان كونراد عما للملك بلدوين الخامس ملك بيت المقدس الطفل: للمزيد انظر:

Ernoul, Chronique d' Ernoul et de Bernard Le Tresier, ed., M.L. de Mas Latrie, Paris, ١٨٧١, pp. ١٨٠-١٨١.

حسين عطية، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص ٢٠١.

(١) مجهول، الحملة الصليبية الثالثة، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٨٨.

(٢) محمد مهيب، الاغتيالات، ص ١٩٠.

(٣) جاي لوزيجنان: نبيل من أصل فرنسي، تزوج من سبيل بنت الملك الصليبي عموري الأول، وصار ملكاً على

الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد^(١)، والفريق الآخر يؤيد كونراد أوف مونتفرات بزعامة فيليب أوغسطس^(٢)، ملك فرنسا لزعامة مملكة بيت المقدس الصليبية، وتم عقد مؤتمر بالفعل بين المتنازعين تقرر فيه تولي كونراد لعرش المملكة الصليبية، أما جاي لوزيجنان فقد باع له ريتشارد قلب الأسد جزيرة قبرص وذلك تعويضاً له عن ملكه الضائع في مملكة بيت المقدس^(٣). ومن المرجح أن الصراع على عرش مملكة بيت المقدس الصليبية كان على أشده بين أمراء

مملكة بيت المقدس الصليبية عام ١١٨٦م/٥٨٢هـ ووقع في الأسر يوم حطين، وبعد وفاة زوجته دخل في صراع على العرش مع كونراد مونتفرات، ثم تخلى عن عرش بيت المقدس في مقابل ملكيته لقبرص، للمزيد من التفاصيل عنه انظر:

مجهول، ذيل ولیم الصوري، ص.ص ٢٢٠-٢٢٥، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢٠،

Ernoult, Op. Cit, p ١٧٢-١٨٦, Cf. also, Mas Latrie, Historie de l'île de Chypre Sous le regne des princes de la maison de Lusignan, T.I, Paris, ١٨٦١, PP١-٤٢, Painter, The Houses of Lusignan and Chatellerault ١١٥٠-١٢٥٠, Speculum, Vol.٣٠, No.٣, (Jul.١٩٥٥), pp. ٣٧٤-٣٨٤, Id, The Lords of Lusignan in The Eleventh and Twelfth Centuries, Speculum, Vol.٣٢, No.١, (Jan.١٩٥٧), pp. ٢٧-٤٧.

(١) ريتشارد قلب الأسد: هو ابن الملك الإنجليزي هنري الثاني ووريثه في حكم إنجلترا، اعتلى عرش إنجلترا عام ١١٨٩م/٥٨٥هـ وما لبث أن خرج للمشاركة في الحملة الصليبية الثالثة، وبعد عودته من الشرق دخل في حرب طويلة مع فرنسا للمحافظة على أملاكه الأوربية، حتى توفي على أثر جرح بالغ، عام ١١٩٩م/٥٩٦هـ للمزيد عنه انظر:

أمبروز، صليبية ريتشارد قلب الأسد، ضمن الموسوعة الشامية، ج ٣٢، ترجمة: سهيل زكار، دمشق، ١٩٨٩م، تواريخ آل بلانتجن، ضمن الموسوعة الشامية، ج ٣٠، ترجمة: سهيل زكار، دمشق، ١٩٨٩م، ص ٢١٧-٢٨٠،

Gervas (The Monk of Canterbury), The Gesta Regum with its Continuation, ed, William Stubbs , R.S., vol.٧٣., pt.٢, London, ١٩٦٥, pp٨٦-٩١, Cf. also: Round (J.H), " Some English Crusaders of Richard I", in English Historical Review, vol. ١٨, no.٧١, (Jul., ١٩٠٣), pp. ٤٧٥-٧٨١, John Finlayson, "Richard, Coer de Lyon", Romance, History or Something in Between?, Studies in Philology, Vol.٨٧, No.٢(Spring ١٩٩٠).

(٢) فيليب الثاني أوغسطس: ابن لويس السابع ملك فرنسا وخليفته، ولد عام ١١٦٥م/٥٦١هـ وتولى الحكم عام ١١٨٠م/٥٧٦هـ، وشارك في الحملة الصليبية الثالثة، حكم لمدة طويلة وصلت إلى ٤٤ عامًا، إذ توفي عام ١٢٢٣م/٦٢٠هـ، بعد أن رسخ نفوذ ملوك فرنسا ووسع نفوذهم مستغلاً الحروب ضد الهراطقة المعروفة بالآلبيجينية بمباركة البابوية، ولم يتوفى حتى صارت فرنسا قوة عظمى في أوروبا، للمزيد عنه انظر:

Walker, On the increase of royal power in France under Philip Augustus, London, ١٨٨٨, p.p١-١٤٤; Hutton, Philip Augustus, London, ١٨٩٦, p.p١-٢٢٨.

(٣) محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٤٣، مولر فيز (فولفغانغ)، القلاع أيام الحروب الصليبية، ت. محمد وليد الجلال، مراجعة. سعيد طيان، ط. دمشق، ١٩٨٤م، ص ٢٤، انظر الملحق، ص ٢١٤-٢١٥.

المملكة، والذي كان ينذر بحدوث صدامات بين الصليبيين، ونظرًا لأهمية تدخل ملوك أوروبا لكي يتم حسمها، فقد أفرزت ما كان عند الصليبيين من حزازات وصراعات خطيرة فيما بينهم، كانت من العوامل الأساسية لتدهور وضعهم السياسي وطردهم من بلاد الشام بالكامل في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري.

وجدير بالذكر، أن أهم أسباب قدوم جاي لوزيجنان إلى بلاد الشام، ما قام به عام ١١٦٨ م/ ٥٦٣ هـ من مهاجمة حراسة ملكة إنجلترا وقتل قائد الحرس، فكان العقاب هو إرساله إلى بيت المقدس لكي يدخل في خدمة الملك الصليبي بلدوين الرابع^(١).

غير أنه في أبريل عام ١١٩٢ م، السادس عشر من ربيع الآخر عام ٥٨٨ هـ، تم اغتيال كونراد بالقرب من منزله^(٢)، وصورة مقتله كانت كالتالي، عندما كان كونراد في صور يوشك بالعودة إلى عسقلان لكي ينضم للجيش الصليبي هناك، إذا به يتلقى دعوة لتناول الغداء مع أسقف بوفيه^(٣)، وبينما كانت زوجته في الحمام وقد أشتد به الجوع، ذهب إلى الأسقف حتى تفرغ من اغتسالها، وبعد لقائه بالأسقف وأثناء عودته إلى داره، كان هناك رجلان من الحشاشين موجودين، وقد جلس كل منهما على جانب من الزقاق تجاه بعضهما البعض، فلما صار المركز بينهما انتصبا واقفين لمقابلته، وتقدم إليه أحدهما ويده ورقة كأنها يعرضها عليه، فمد المركز يده لأخذها فاستل الرجل خنجره وأغمده في صدر كونراد^(٤)، وقتل كونراد على الفور فقد كان الخنجر الذي طعن به مسمومًا، أما فيما يتعلق بالقاتلين^(٥)، فقد تم القبض على أحدهما فورًا وأطيحت رأسه، أما الثاني فقد لجأ إلى كنيسة من الكنائس مستجيرًا بها، إلا أن أهلها أخرجه وتم سجنه في وسط المدينة حتى فارق الحياة^(٦)، وربما أراد الصليبيون من سجنه إذلاله جزاء لما ارتكبه من جريمة، وأيضاً حتى يكون عبرة لغيره.

من الملاحظ أن اغتيال كونراد كان موضع جدل قديمًا وحديثًا، نظرًا لما أثارته تلك

(١) Corless Slack, Historical Dictionary of The Crusades, Oxford, ٢٠٠٣, p١٠٣.

(٢) ابن شداد (القاضي بهاء الدين ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤م)، النواذر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، ط، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٣١٠.

Conder, The Latin Kingdom of Jerusalem, ١٠٩٩ – ١٢٩١ A.D, London, ١٨٩٧, p٢٨٤.

(٣) مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج ٢، ص ١٦٣.

(٤) ذيل ولیم الصوري، ص ٢٢٦.

(٥) أسامة زكي زيد، الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية (القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط، الإسكندرية، ١٩٨٠م، ص ٢٢٨.

(٦) مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج ٢، ص ١٦٣، أبو شامة، الروضتين، ج ٢، المجلد ٤، ص ١٧٥.

الشخصية من مشاكل وأزمات خاصة داخل الكيان الصليبي، حتى امتدت أصابع الاتهام إلى العديد من من الشخصيات، وعلى الرغم من أن ريتشارد قلب الأسد، حضر المؤتمر الذي عقد من أجل الفصل في قضية ملك مملكة بيت المقدس، يرجح أنه كان غير راضٍ عما جرى في المؤتمر أو النتائج التي أفضى إليها من تولي كونراد عرش المملكة الصليبية واستبعاد جاي لوزيجنان عن بيت المقدس، مما أثار حفيظة ريتشارد فأراد الانتقام بقتل كونراد عن طريق الحشاشين، ويلاحظ أن كونراد كان له دور بارز في عملية اغتياله، فقد ساعد قاتليه على تنفيذ مهمتهم بكل سهولة، وذلك بعدم اتخاذ الاحتياطات الأمنية اللازمة، في الفترة التي كان أعداؤه في ازدياد بشكل مستمر، والكل يريد القضاء عليه، سواء أكان من الصليبيين بسبب مشكلة عرش مملكة بيت المقدس، أم من المسلمين بسبب حمايته لمدينة صور وامتناعها عليهم، أم من الحشاشين الذين أرادوا الانتقام لما حل بسفيتهم التي استولى عليها رجاله ورفضوا ردها.

وقد تعددت الآراء وتباينت حول أسباب مقتل كونراد في تلك الظروف وذلك التوقيت، فمن تلك الأقاويل أن الإسماعيلية أقدموا على قتل كونراد، عندما اعترض رجاله سفيتهم التي كانت تحمل تجارة لشيخ الجبل راشد الدين سنان^(١)، وكانت قد أخذت طريقًا تجاريًا في البحر المتوسط، فأسرها رجال كونراد بمن فيها، وعندما فشل راشد الدين سنان في مفاوضة كونراد على

(١) راشد الدين سنان: هو راشد الدين سنان بن سلمان محمد أبو الحسن البصري، مقدم الإسماعيلية النزارية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، خاصة في النصف الثاني من القرن ١٢م/٦هـ، وتحديداً خلال المرحلة من ١١٦٣ إلى ١١٩٣م/٥٥٨-٥٨٩هـ، وهو في الأصل من مدينة البصرة من قرية عرفت باسم عقر السدن، وقد سيطر على أتباعه سيطرة تامة، وقد وصف بأنه كان "بعيد الهامة عظيم المخاريق"، وكانت له قدرة كبيرة على مخادعة القلوب، ووصفته المصادر التاريخية السنية بأنه أبا ح لأتباعه المحرمات، وقد توفي عام ١١٩٣م، وبعد وفاته، اعتقد أتباعه في غيبته ورجعته، وهناك من قرر أنه في حصن الكهف- وهو من حصون الدعوة الإسماعيلية النزارية في بلاد الشام- يوجد الغار الذي اختفى فيه راشد الدين سنان، ويقال أنه مدفون فيه، وزعموا أنه غاب فيه ويظهر منه، للمزيد انظر:

ابن العميد، أخبار الأيوبيين، تحقيق: كلود كاهن، ١٩٥٥-١٩٥٧م، ص.ص ١٣٧-١٣٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط. = بيروت، ١٩٩٢م، ج ٦، ص ١١٧، شيخ الربوة الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تحقيق: مهران، ط. بطرسبرج، ١٨٦٥م، ص ٢٠٨، أسامة زكي زيد، الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية (القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. الإسكندرية، ١٩٨٠م، عارف تامر، سنان وصلاح الدين، ط. بيروت، ١٩٥٦م، عثمان عبد الحميد عشري، الإسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية ٤٩١-٦٩١هـ/١٠٩٧-١٢٩٠م، ط. الخرطوم، ١٩٨٣م، ص.ص ١-٢٣٠.

استعادة السفينة ورجاله الأسرى ورد أمواله، كان قرار سنان هو قتل كونراد جزاء لما اقترفه^(١). ورأي آخر يقول إن صلاح الدين كان وراء اغتيال كونراد، ذلك أن صلاح الدين راسل راشد الدين سنان لكي يقوم بقتل الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد، وإن قتل كونراد فله عشرة آلاف دينارًا، وعندما لم يتمكنوا من قتل الملك الإنجليزي قاموا بقتل كونراد وذلك حتى لا يخلو صلاح الدين لهم، ويبقى دائمًا في صراعات مع الجيوش الصليبية^(٢). ومن الجدير بالذكر أن ابن الأثير جعل صلاح الدين الأيوبي وراء جريمة قتل كونراد، وأنه وراء محاولة اغتيال الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد، ويرجح الباحث أن هذا الرأي غير مقبول، لأن الصراع كان على أشده بين كل من كونراد وبين ريتشارد قلب الأسد، مما يجعله المرشح الأول وراء اغتيال كونراد بأيدي الحشاشين.

أما الرأي الثالث وهو من أرجح الآراء، أن الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد وراء هذا الحادث، فربما قام ريتشارد بذلك حتى يصفو له الجو في الأراضي الشامية من جهة، ومن جهة أخرى لينفرد هو بزعامة الصليبيين في الأراضي المقدسة، وذلك بالتخلص من منافس خطير مثل كونراد^(٣)، أما الشق الثاني من هذا الرأي فهو أن الملك الإنجليزي ليس وراء هذا الحادث، وذلك للرسالة التي أرسلها راشد الدين سنان إلى الدوق ليوبولد صاحب النمسا، يشرح له فيها أن الملك ريتشارد ليس له علاقة بموضوع الاغتيال، وأنه هو المسئول عن هذا الاغتيال نتيجة لما قام به كونراد من مصادرة سفينته، بل ويقر راشد الدين في رسالته على مسئولية كونراد عن مقتل رينالد أمير صيدا^(٤)، وإن كان الحادث لا يخلو من شكوك حول تورط ريتشارد في الموضوع وإن لم يوجد دليل قوي ضده^(٥).

إن أمر تلك الرسالة التي بعث بها راشد الدين سنان إلى دوق النمسا لمحير بالفعل، فلماذا

(١) عثمان عبد الحميد عسري، المرجع السابق، ص ١٦٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه:- محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط. بيروت، ٢٠٠٣م، ج ١٠، ص ٢١٣.

(٣) العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبح، ط. القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٥٨٩، عثمان عبد الحميد، الإسماعيليون، ص ١٦٨.

(٤) مجهول، تواريخ أسرة بلانتغنت، ت. سبيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٠، ط. دمشق، ١٩٩٨م، ص ٢٦٦.

(٥) محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٤٣.

يرسل راشد الدين سنان تلك الرسالة إلى دوق النمسا في ذلك الوقت، ولماذا هو؟، وأيضا لماذا يدافع عن ريتشارد وينفي عنه مسئولية مقتل كونراد، بل ويكشف عن جريمة أخرى هي اغتيال كونراد لرينالد أمير صيدا، يرجح من وراء إرساله هذه الرسالة عدة أمور؛ أولا: أنه أراد أن يكتسب حليفاً جديداً ممثلاً في شخصية ليوبولد دوق النمسا وهو شخصية جديدة على مسرح الأحداث ببلاد الشام، ثانياً: أراد الاستفادة بافشاء الفرقة بين الصليبيين بتوضيح تلك المعلومات، وإبرازه دور كونراد في اغتيال رينالد أمير صيدا حتى يدخل الصليبيين في صراعات فيما بينهم بسبب تلك القضية، وتخف وطأتهم عليه.

وترجح بعض الدراسات التي تناولت حادثة اغتيال كونراد موننفرات، أن هنري كونت شامبانيا هو الذي دبر أمر اغتيال كونراد، وذلك من أجل الحصول على عرش مملكة بيت المقدس الصليبية، عن طريق الزواج من أرملة كونراد وإن لم يتوج - مثل كونراد - حتى وفاته، على الرغم مما فعله بكونراد^(١).

ومن جرائم القتل الجماعي التي تمت في القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، ما تم عام ١٢٣٣م / ٦٣١هـ، عندما أقدم قسطنطين ملك الأرمن وابنه هيثوم الأول على قتل عناصر من الداوية، فقد تشكك كل من قسطنطين وهيثوم في أن جماعة الداوية تدبر مؤامرة للإطاحة بهما من على عرش الأرمن، ولذلك قام قسطنطين باعتقال بعض أعضاء الجماعة وأمر بإحراقهم أحياء وشنق البعض الآخر منهم^(٢).

ومن الملاحظ أنه مع قدوم القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، انتشر الشك داخل المجتمع الصليبي وخاصة المؤسسة العسكرية وعلاقاتها الخارجية بالقوى المجاورة، وبالأخص بالأرمن، ويرجح أن سبب ذلك هو شعور الصليبيين بتدهور مجتمعاتهم من الجانب الداخلي والخارجي على حد سواء، وكان من نتيجة انتشار الشك في الولاء القيام بعمل تهوري وقاس، مثل القتل بالحرق وهي مية بشعة انتشر العمل بها لمجرد الشك في ولاء التابعين.

(١) Eracles, pp ١٩٥-١٩٨, Charles E. Nowell, The Old man of the Mountain, in: J.M. S, vol, ٢٢, p ٥٠٨,

وانظر: حسين عطية، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٠٥، حاشية رقم (١٨).

(٢) حسين محمد عطية، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (١١٧١-١٢٦٨م / ٥٦٧-٦٦٦هـ)، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية، ١٩٨٩م، ٣٥١.

وقد كان للعلاقات المتوترة بين الأمراء الصليبيين أكبر الأثر في تدهور الوضع الأمني في الإمارات والمدن الصليبية. وفي عام ١٢٥٨م/ ٦٥٥هـ اتسعت حدة الخلافات بين كل من بوهمند السادس أمير طرابلس وبين تابعه برتراند أمير جبيل، فلقد عمل هنري أمير ياكو Henry Ambriaco (١٢٥٢-١٢٦٢م/ ٦٥٠-٦٦٠هـ)^(١) على الاستقلال بمدينة جبيل بعيداً عن سلطة سيده بوهمند أمير طرابلس، بل لقد تطور الأمر إلى مهاجمة برتراند حاكم جبيل لسيده بوهمند في عقر داره بطرابلس^(٢).

وقام برتراند بتعبئة قواته لمهاجمة طرابلس، وبالفعل تقابل مع بوهمند خارج طرابلس وتمكن من هزيمته، بل وإصابته بجرح خطير، غير أن بوهمند تمكن من العودة بصعوبة إلى طرابلس بعد هزيمته أمام برتراند، وبعدما تعافى بوهمند من إصابته فكر جدياً في الانتقام من برتراند، فقام بعمل ترتيبات سرية من أجل القضاء على برتراند بالتعاون مع فلاحى القرى، من أجل أن يأتوه برأسه، وفي أحد الأيام وبينما كان برتراند خارجاً لتفقد قراه مصطحباً معه فارس صغير، وكان في بعض الطريق انحدار خطير ومن خلفه سور لأحد مزارع العنب، وعندما مر برتراند من تلك المنطقة وثب عليه حوالي اثني عشر نفرًا من الفلاحين وصوبوا سهامهم نحوه، فحاول الفرار غير أنه سقط عن جواده وأصابته السهام في جميع أنحاء جسده حتى سقط جثة هامدة، وقطعت رأسه ثم قتل الفارس الصغير الذي كان مصاحباً له، وأرسلت رأسا الاثنين إلى بوهمند في سلة مصنوعة من الأغصان، وقد ابتهج الأمير بوهمند لذلك كثيرًا وقام بإجزال العطاء لهم^(٣).

من الملاحظ أن العلاقات بين أمراء الصليبيين خلال القرن الثالث عشر الميلادي السابع الهجري، كانت مليئة بالتوتر والصراعات العنيفة، والتي تمثلت أسبابها في؛ دوافع خارجية ظهرت

(١) هنري أمير ياكو:- وقد تولى حكم مدينة جبيل، وكان يعد العدو اللدود لبوهمند السادس صاحب طرابلس، ومنذ اللحظة الأولى التي تولى فيها حكم تلك المدينة، أعلن انفصال تبعيته عن كونت طرابلس، واعتُرف بفضل الجنوية ومسانداهم، انظر:-

سامية عامر، الصليبيون في فلسطين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١٢٢.

(٢) رنسيان، الحملات الصليبية، ج ٣، ص ٣٣٨.

(٣) The Templar of Tyre, part III of the Deeds of the Cypriots, Trans by, Paul Crawford, Cornwall, ٢٠٠٣, p٣٢.

نهي فتحي، إمارة طرابلس، ص ٨٨، انظر الملحق، ص ٢١٥.

في ضغوط المسلمين من أجل استعادة أراضيهم المحتلة من قبل الصليبيين، ودوافع داخلية تمثلت في نوعية المهاجرين الجدد وما صاحبهم من مشاكل مختلفة عن المجتمع الصليبي في بلاد الشام^(١)، حتى لجأ الأمراء إلى أسلوب قتل أعدائهم عن طريق تابعيهم، بعدما عجزوا عن مواجهة أعدائهم أو قهرهم في ميدان المعارك والحرب المباشرة، وقد استخدموا في ذلك سلاح الرشوة الذي كان له سحر خاص في تطويع التابعين لخدمة سادتهم، بل وتطويع القتل المحترفين سواء أكانوا من الصليبيين أم من المسلمين لأداء أغراضهم، ويلاحظ أيضاً ترابط كل من جريمة الرشوة والقتل، حيث استخدمت الرشوة كثيراً من أجل القتل.

وفي خلال فترة الهدنة عام ١٢٨٢م/ ٦٨٠هـ، كان بوهمند السابع قد عقد العزم على الانتقام من جاي الثاني أمبريكاكو Guy II Embericao^(٢)، (١٢٧١-١٢٨٢م/ ٦٧٠-٦٨١هـ) حاكم جبيل، الذي ألحق به عار الهزيمة من قبل، في حين كانت انتصارات جاي المتوالية على قوات إمارة طرابلس قد شجعت على مهاجمة إمارة طرابلس، وعندما انتهت الهدنة التي كانت معقودة بين الطرفين، تحرك جاي في يناير عام ١٢٨٢م/ شوال ٦٨٠هـ، نحو طرابلس بهدف الاستيلاء عليها^(٣)، غير أن الخلافات دبّت بين كل من جاي والداوية، بسبب عدم وجود ثقة متبادلة بين الطرفين، مما أدى إلى لجوء جاي إلى برج الإسماعيلية لمساندته، إلا أن تلك الأنباء وصلت إلى بوهمند السابع الذي سارع بمحاصرتهم في ذلك البرج. وتدخلت الداوية لرفع الحصار عن جاي والإسماعيلية، مقابل استسلامهم المشروط بالمحافظة على حياتهم، غير أن بوهمند غدر بهم، وقام بسمل أعين رفاق جاي من الداوية، وكان عقابه لبقية أعدائه أن أرسلهم إلى مدينة نيفين في فبراير ١٢٨٠م/ ذي القعدة ٦٨٠هـ، وقام بدفن أجسادهم حتى الأعناق وهم أحياء ثم تركهم يموتون جوعاً^(٤).

(١) للمزيد من التفاصيل عن تكوين المجتمع الصليبي ومشاكله راجع الفصل الأول.

(٢) جاي الثاني أمبريكاكو:- هو ابن أخت لورد بيروت جون أوف أبلين الأصغر الذي توفي، ولذلك فقد إنحدر من عائلة أصلها من مدينة جنوة الإيطالية تدعى أمبريكاكو، وكان جده وليام أوف أمبريكاكو حاكم جبيل، وقد دخل جاي في صراعات مع بوهمند السابع أمير طرابلس، وقد قتل عام ١٢٨٢م/ ٦٨١هـ، للمزيد عنه انظر:-

The Templar of Tyre, Op.Cit p٧١.

(٣) نهى فتحي، إمارة طرابلس، ص ٩٨.

(٤) Les Gesta des Chiprois, ed. R.H.C. Doc Arm, t.II, Paris, ١٩٠٦, pp.٧٤٨-٧٥٠,

سامية عامر، الصليبيون في فلسطين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص

ومن الجدير بالذكر أنه على الرغم من أن جماعة الداوية، مثلها مثل بقية الجماعات الدينية الصليبية الأخرى، كان لها قوانينها الخاصة بها في معاقبة المخطئين داخل الجماعة، غير أنهم لم يستطيعوا الصمود في وجه بوهمند ولا منعه من معاقبة إخوانهم، ويضاف إلى ذلك انتشار نوع آخر من القتل وهو الدفن حتى الرقبة وترك المتهم بلا طعام ولا شراب حتى الموت، وأيضاً اتباع طريقة سمل الأعين مع المتآمرين، كل ذلك يدل على مدى بشاعة تلك الجريمة وتطورها خلال القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين، السادس والسابع الهجريين.

ولقد شهد عام ١٢٧٠م/٦٦٨هـ، ضربة موجعة للمجتمع الصليبي، فقد أراد السلطان بيبرس (١٢٦٠-١٢٧٧م/٦٥٩-٦٧٦هـ) أن يثير الفوضى داخل صفوف الصليبيين، وذلك بأن عقد اتفاقاً مع الحشاشين من أجل اغتيال فيليب مونتفرت Philip of Montfort^(١) أمير صور، فلقد شعر الحشاشون بالامتنان لبيبرس لأنه خلصهم من سيطرة فرسان الإسماعيلية، بغزواته التي قادها ضدهم، كما أنهم ازدروا بشدة المفاوضات الصليبية المغولية التي دمرت مقرهم الرئيسي- ببلاد فارس^(٢). وتقابلت رغبتهم تلك مع رغبة السلطان بيبرس الذي علم أن فيليب قام بإرسال خطابات ورسائل إلى ملوك أوروبا يحثهم فيها على القدوم إلى بلاد الشام، و لذلك أراد بيبرس التخلص منه بأقصى سرعة، فاستعان بيبرس بالحشاشين لتحقيق هدفه، وبالفعل أرسل الحشاشون اثنين من أتباعهم إلى مدينة صور، وقابلا فيليب مونتفرت هناك وطلبوا منه التنصر، وبالفعل وافق فيليب على طلبهم وقام بتعميدهم وأدخلهم في خدمته ووثق بهم، وقد علم بمخططهم أحد فرسان الصليبيين وكشف سرهم، غير أنهم استطاعوا رشوته بمائة بيزنط^(٣)،

١٣٥، إبراهيم خميس إبراهيم سلامة، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ص ٣٥٤، نهى فتحي، المرجع السابق، ص ٩٨ - ٩٩.

(١) فيليب مونتفرت: كان والده هو جاي مونتفرت، وأمه هيلفيس إبلين، تزوج من ماريّا الأرمينية ابنة ريموند روبين التي ورثت إقطاع تبنين، كان شديد الولاء لأخواله آل إبلين، ومن ثم تصدى لمحاولة فلانجيرى عام ١٢٤٣م/٦٤١هـ للقضاء على الأبلنيين في عكا، شارك في المعركة الحربية التي هزم فيها الجيش المصري الصليبيين عام ١٢٤٣م/٦٤١هـ، كما شارك في حملة لويس على مصر وفر من الأسر في دمياط، وشارك مشاركة فعالة في الأحداث السياسية وذاع تأييده المطلق للملك هيو الثالث زلميز من التفاصيل انظر:

The Templar of Tyre, part III, PP. ٦٠-٦٣

(٢) رنسيمان، الحملات الصليبية، ج ٢، ص ٣٨٦.

(٣) البيزنط أو البيزنط:- وعرف بالسولدنس، وهو نقد ذهبي أطلق عليه البيزنطيون اسم نومزما، والتي استمرت متداولة إلى أن أطلق عليها في الفترة الأخيرة للامبراطورية البيزنطية في أوروبا الغربية وفي القسم الشرقي لها

حيث ظل صامتاً، وفي يوم الأحد ١٧ أغسطس ١٢٧٠م / ٢٨ ذي الحجة ٦٦٨هـ، بينما كان فيليب واقفاً عند مدخل الكنيسة يتحدث مع أحد أتباعه، فلما انتهى فدخل عليه الكنيسة فوجداه هو وابنه جون أوف مونتفرت John of Montfort يقدمون القرابين وبصحبتهم فارس واحد يدعى وليم أوف بيكاجيني William of Picquigny، وبالفعل انتهز أحد الحشاشين الفرصة وانقض على فيليب وطعنه بالخنجر في صدره، ثم حاول قتل ابنه جون غير أن الحارس الخاص بجون استطاع القبض عليه، وتم قتل الحشاش الآخر، أما الحشاش الذي قتل فيليب فتم شنقه. وفيما يتعلق بالفارس الصليبي الخائن فتم التعرف عليه، فقبضوا عليه و عذبوه حتى مزقوا لسانه وقطعوا يده اليمنى ثم تم سحبه وشنقه في نهاية الأمر^(١).

ويلاحظ أن عمليات الحشاشين القاتلة لم تكن دائماً بجانب الصليبيين ضد المسلمين، بل تغير الوضع وامتدت تلك الاغتيالات لصالح المسلمين أيضاً، وذلك كنوع من أنواع رد الجميل لما فعله بيبرس من تحريرهم من السيطرة الصليبية، كما يلاحظ أيضاً أن القادة الصليبيين لم يتخذوا حذرهم بشكل كامل بالنسبة لسلامتهم الشخصية، معتمدين في ذلك على قوتهم الشخصية وغرورهم في نفس الوقت، على أساس أن المسلمين لن يستطيعوا النيل منهم، وهو ما أثبت عكس ذلك على مر تاريخهم ببلاد الشام.

وفي عام ١٢٧٢م / ٦٧٠هـ، عندما كان الأمير إدوارد Edward^(٢) الإنجليزي موجوداً في

اسم بيزنت:- انظر :- رأفت النبراوى، النقود الصليبية، هامش رقم (٢)، ص ٢٣، انظر الملحق، ص ٢١٥.

(١) The Templar of Tyre, Op. Cit p.p ٦٥، ٦٦.

(٢) الأمير إدوارد؛ هو ابن هنري الثالث ملك إنجلترا وولي عهده، ولد في (١٧ من يونيو ١٢٣٩م / ١٤ ذي القعدة ٦٣٦هـ)، قرر المشاركة في حملة لويس التاسع الصليبية على تونس عام ١٢٧٠م / ٦٦٩هـ، لكنه تأخر ووصل بعد قوات الأوان، لكنه قرر الوفاء بالنذر الصليبي الذي قطعه والده على نفسه ولم يستطع الوفاء به بسبب المشاكل السياسية التي تعاني منها بلاده، لكنه لم ينجز شيئاً، فغادر عكا بعد عقد هدنة مع المماليك في عام ١٢٧٢م / ٦٧١هـ ليجد نفسه وقد صار ملكاً على إنجلترا بعد وفاة والده، لكنه ظل مهتماً بالحركة الصليبية دون أن يستطيع تقديم شيء يذكر في ظل مشاكله الأوروبية وتدهور أحوال الصليبيين في بلاد الشام، حتى توفي عام ١٣٠٨م / ٧٠٨هـ، للمزيد عنه انظر:

The Templar of Tyre, PP٦٧-٦٩, Eracles, L'Histoire D'Eracles Empereur et La Conquete De La Terre d'Qutremere, R.H.C, Hist. Occidentaux, Tom. II, Paris, ١٨٤٩, pp. ٦١-٦٢, The Chronicle of Bury st. Edmunds, Trans. By: Antonia Gransden, London, ١٩٦٤, PP٤٦-٥٤,

أيضاً: زينب عبد المجيد عبد القوي، الإنجليز والحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،

مدينة عكا، كانت توجد نية للتخلص منه انتقاما لما قام به من مذبحه للتركمان أمام حصن كاكون^(١)، فقد قدم إلى مدينة عكا أحد الحشاشين مدعياً أنه يريد التنصر، ولم يناع الأمير إدوارد وأمر أن يبقى بين خواصه، بل وأقنعه ذلك الحشاش أنه يستطيع التجسس على المسلمين لصالح الصليبيين، وقام بذلك عدة مرات حتى أطمئن له الصليبيون، ووثق به اللورد إدوارد وسمح له بالتحدث نيابة عنه^(٢)، وفي يونيو ١٢٧٢م/ ذي القعدة ٦٧٠هـ، دخل الفداوي على إدوارد محاولاً قتله أثناء تسلمه أحد الخطابات منه، وكان الملك إدوارد حريصاً لإفقد استطاع مقاومته وإسقاط الخنجر من يده على الأرض ولكن بعدما أصيب بثلاث طعنات في ذراعه، ودار بينهما قتال شديد استطاع الملك إدوارد خلاله الإيقاع به على الأرض وقتله^(٣)، وقد بذلت زوجة الملك إدوارد إليانور كاستلا Eleanor of Castle جهداً كبيراً من أجل سلامة زوجها حتى تماثل للشفاء^(٤).

أما فيما يتعلق بعمليات القتل العشوائي والجماعي، فقد حدث بمدينة عكا عام ١٢٩٠م/٦٨٨هـ، التي كان التجار يأتون من دمشق بمتاجرهم إليها، وتحديدًا في أغسطس من ذلك العام، وصلت قافلة المحاريين المرتقة إلى ميناء عكا، ومن لحظة وصولهم إلى المدينة وضعوا السلطات الصليبية في موقف محرج، حيث كانوا فوضوين وسكاري فاسقين، ولم يستطع قادتهم السيطرة عليهم، وذلك لعجزهم عن دفع رواتبهم بانتظام، وقد بدأوا يهاجمون الفلاحين المسلمين المسلمين، واندلعت أعمال الشغب في كل مكان، واندفع غوغاء الصليبيين في شوارع مدينة عكا يقتلون كل مسلم يقابلونه، ولأنهم كانوا معتقدين أن كل من له لحية مسلم، فقد هلك مسيحيون محليون، وارتفعت بارونات المدينة لما حدث، فتدخلوا لإنقاذ المسلمين، وقبضوا على بعض زعماء المشاغبين، غير أن أنباء تلك المذبحة وصلت إلى السلطان الأشرف خليل بن قلاوون^(٥).

ط. القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٢٠٧-٢٣٨، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢٣٨.

(١) زينب عبد المجيد عبد القوي، المرجع السابق، ص ٢١٥.

(٢) The Templar of Tyre, Op.Cit, p٦٨.

(٣) أسامة زكي، الصليبيون، ص ٢٣٨.

(٤) جرجس فام ميخائيل، الأحوال السياسية لمملكة بيت المقدس لصليبية وعلاقاتها الخارجية (١١٩١-١٢٩١م/

٥٨١ - ٦٩٠ هـ)، رسالة دكتوراه، جامعة الزقازيق، ١٩٨٩م، ص ٢٣٩.

Prestwich, Edward I, London, ١٩٩٧, p٧٨.

(٥) هو خليل بن قلاوون الملقب بالسلطان الأشرف صلاح الدين، وهو ابن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي، جلس على تخت الملك بعد وفاة والده، ومن الثابت أن السلطان قلاوون كان لا يثق فيه، ولا يميل إليه

(١٢٩٠-١٢٩٣م/٦٨٩-٦٩٣ هـ) الذي غضب بشدة لما حدث، وأصر على تسليم المجرمين له لكي يعاقبهم بنفسه على فعلتهم، وعقد البارونات مجلسًا للتشاور فيما بينهم، حيث نشبت الخلافات وتناقضت الآراء حول تسليم المجرمين إلى السلطان أو لا^(١).

ومن المثير للانتباه هنا صمت المصادر الصليبية عن جرائم القتل التي كانت تتم داخل طبقة العامة الصليبية، واكتفائهم بترديد أن المجتمع الصليبي عامر بالمجرمين الذين كانوا السبب الرئيسي في انتشار الجرائم وتعددتها داخل المجتمع الصليبي، واهتموا فقط بالطبقة الحاكمة، ويرجع ذلك إلى أن أغلب الكتاب الصليبيين كانوا من المؤرخين الرسميين للسلطة الصليبية، فلم يهتموا بالحوادث اليومية لطبقة العامة، وأيضًا يرجح صمت هذه المصادر عن ذكر جرائم القتل إلى كثرة حدوثها ووقوعها داخل المجتمع الصليبي، مما جعلهم يعزفون عن ذكرها حتى يظهرون مميزات المجتمع الصليبي ويسترون عيوبه القاتلة.

ويتضح مما سبق أن جريمة القتل لم تكن شيء جديد على المجتمع الصليبي، ويرجع ذلك لتكوين المجتمع الصليبي ذاته والذي ضم بين عناصره العديد من القتلة الهاربين من أوروبا، فارين بجرائمهم من وجه العدالة، بهدف التوبة غير أنهم سرعان ما تناسوا هدفهم الأساسي من الرحلة، وعادوا لممارسة جرائمهم مرة أخرى في المجتمع الصليبي ببلاد الشام.

ويضاف إلى ذلك العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي مر بها الصليبيون ببلاد الشام، والتي اختلفت تمامًا عن واقع معيشتهم الأوروبية، مما كان له أكبر الأثر في تفشي جريمة القتل داخل المجتمع الصليبي.

وكان للخيانة الزوجية دور مهم في انتشار جريمة القتل بين طبقات المجتمع الصليبي، حيث

ولا يرضى عن تصرفاته، وأعتقد أنه غير كفء لتولى شئون الحكم، ورفض أن يوقع التقليد له بولاية العهد، غير أن ذلك لم يمنعه من تولي الملك، خاصة أن الموقف كان يتطلب سرعة تولي سلطان لقيادة البلاد، خوفًا من الأخطار الخارجية، وقد استكمل الأشرف مسيرة الجهاد ضد الصليبيين، حتى قام بتصفية آخر معاقلمهم في عام ١٢٩١م/ ٦٩٠ هـ، غير أن سوء العلاقة بينه وبين أمرائه أدى إلى مقتله في عام ١٢٩٣م/ ٦٩٣ هـ، ببيرس الدوداري المنصوري، التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق: عبد الحميد صالح صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، ط. بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٢٥، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج ٣١، تحقيق: السيد الباز العريني، ١٩٩٢م، ص ١٧٨، محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠م-١٥١٧م، دار النفائس، ط. بيروت، ١٩٩٧م، صص ٢٠١-٢١٠.

(١) رنسيمان، الحملات الصليبية، ج ٣، ص ٤٧٣.

تسارع كل من الأزواج والزوجات في التخلص من الآخر، حتى يخلو له الطريق أمام مصاحبة طرف آخر يقضي معه وقتاً من المتعة، حتى لو أدى ذلك الأمر إلى كوراث اجتماعية. كما تزايدت عمليات القتل بصورة كبيرة في القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، نتيجة لتدهور الوضع الأمني داخل الإمارات الصليبية، وكثرة الصراعات والحروب بين عناصر المجتمع الصليبي نفسه.

الفصل الثالث

جريمة الزنا

* تعريف الزنا ودوافعه.

* انتشار الزنا في طبقات المجتمع الصليبي العليا.

* تفشي جريمة الزنا داخل المجتمع الكنسي الصليبي.

* الزنا في الطبقات الدنيا.

يتناول هذا الفصل بالدراسة جريمة الزنا، ودوافع تلك الجريمة داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، وجرائم الزنا التي وقعت بين طبقات المجتمع المختلفة، ويضاف إلى ذلك جريمتا الدعارة والشذوذ الجنسي، وتأثير تلك الجرائم على مختلف طبقات المجتمع الصليبي.

وبداية القول يجب أن نعرف الزنا كما عرفه القانون الكنسي، فالزنا:- هو العيش كزوجين ويكون أحدهما أو كلاهما ناذرين للعفة^(١) - ولكنها لم يلتزما بقواعد نذر العفة - ، وليس بالضرورة أن يسكنا تحت سقف واحد باستمرار، بل تكفي أن تكون هناك علاقات جنسية متكررة مع ذات الشخص، أصبحت علنية وأحدثت فضيحة بين المؤمنين^(٢).

وقد عرفته المصادر الإسلامية بأنه: إيلاج الذكر بفرج محرم لعينه^(٣)، وعرفته المالكية بأنه: وطء مكلف فرج آدمي، لا ملك له فيه باتفاق تعمدًا^(٤)، وقد عرفه ابن رشد بأنه: هو كل وطء وقع على غير نكاح صحيح ولا شبهة نكاح ولا ملك يمين^(٥)، والمقصود بالوطء هنا: هو إيلاج فرج في فرج بقدر الحشفة بحيث يكون الذكر في الفرج كالليل في المكحلة والرشاء في البئر وإن لم تكن للذكر حشفة فبقدرها، ويعتبر الوطء زنا ولو كان هناك حائل بين الذكر والفرج ما دام هذا الحائل خفيفًا لا يمنع الحس واللذة^(٦)، ونخرج من هذا إلى

(١) ناذرين للعفة:- وهي أن يتخل الإنسان عن اللذات الجسدية حتى الجائزة منها ضمن الزواج، للمزيد عن نذر العفة، انظر:-

منتدى الشبكة المسيحية <http://fadilrammo.com/forum/showthread.php?p=51381>

(٢) مجموعة مؤلفين، شروحات مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، تقديم: الكاردينال البطريك مار إغناطيوس موسى الأول داود، منشورات المكتبة البولسية، ط. بيروت، ٢٠٠٥م، ص ١٥٩٤.

(٣) دندل جبر، الزنا، مكتبة المنار، ط. الزرقاء، الأردن، ١٩٨٧م، ص ١٣.

(٤) عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالشرعية الإسلامية، الجزء الأول، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨٦م، ج ٢، ص ٣٤٩.

(٥) ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار المعرفة بيروت، ١٩٨٢م، ج ٢، ص ٤٣٣، أحمد عبد المجيد محمد، أحكام ولد الزنا في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠٨، ص ١١.

(٦) دندل جبر، المرجع السابق، ص ١٤، عبد القادر عودة، المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٥٠.

أن الزنا هو إقامة علاقة جنسية غير شرعية بين الرجل والمرأة.

أما الدعارة: فقد تعددت تعريفاتها: فهي إما تسويق للزنا بغرض الكسب المادي، أو فعل فاحشة الزنا بشكل ذي طابع خاص، وهو إحداث فاحشة الزنا عن طريق قواد، وتصنيفها القانوني هو الاعتياد، أو هي خطيئة ضد العفة والمترافقة مع فضيحة علنية ودائمة مع أكثر من شخص، وتعتبر هذه بمثابة مخالفة ظاهرة للقانون ولذا تستوجب العقوبة^(٧).

ولذلك فقد وصف الجيل الأول من الصليبيين على لسان أحد المؤرخين وهو المستشار والتر walter the chancellor (١١١٤-١١٢٢م/٥٠٧-٥١٥هـ)^(٨) أنهم امتلكوا روح الدعارة بل وكانوا يسارعون إليها، بل إن الأزواج والزوجات اعتادوا على إشعال رغباتهم الجنسية المتبادلة من أجل الحصول على المال، بل ساد اعتقاد بينهم أن الانغماس في الممارسات الجنسية هو من أساس الحياة الفاضلة، فلقد قامت الزوجات بممارسة الزنا مع الأقارب وهو ما يعرف بزنا المحارم^(٩)، حتى اعتقد الصليبيون أن مجرد المشاركة في الجهد الصليبي من شأنه أن يغفر لهم خطاياهم، فانغمسوا في كثير من الانحرافات التي اعتادوا عليها، ومنها الخطايا الجنسية كارتكاب فاحشة الزنا أو اللواط^(١٠).

(٧) مجموعة مؤلفين، شروحات مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، ص ١٥٩٤.

(٨) كان والتر رئيساً لقضاء مدينة أنطاكية في الفترة من ١١١٤م/٥٠٧هـ حتى ١١٢٢م/٥١٥هـ، وأصبح المستشار الخاص لروجر أمير أنطاكية، وكان قد شاهد معركة ساحة الدم التي وقعت أحداثها عام ١١١٩م، وقد تلقى والتر تعليماً دينياً كما يدعي، وقد قام بتأليف كتابه عن الأنطاكيين، وكما أنه صاحب الأمير روجر في حروبه ضد المسلمين، ويرجح أنه من ضمن الصليبيين الذين أسروا في معركة ساحة الدم، للمزيد من التفاصيل انظر:-

Alan Murray, The Crusades, An Encyclopedia, Vol. I, California, 2006, p1239.

(9) Daniel (N), The Arabs and Mediaeval Europe, London, 1975, p202.

(١٠) حسين عطية، "مجلس نابلس ٢٣ يناير ١١٢٠م وأحوال مملكة بيت المقدس الصليبية"، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، المجلد الأول، الجزء الأول، ط. القاهرة، ٢٠٠٠-٢٠٠١م، ص ٤٦.

يتضح من ذلك أن تلك الصفات السيئة وتلك الجريمة البشعة التصقت بهم منذ بداية قدومهم إلى بلاد الشام، بداية من الحملات الشعبية والحملات المنظمة للفرسان، ومروراً بالحملات الصليبية المتتالية على بلاد الشام كما سيتناوله الفصل بالدراسة.

فقد كان لارتكاب جريمة الزنا والدعارة وشيوعها داخل المجتمع الصليبي دوافع وأسباب دفعته للانغماس في حياة الفساد، وانتشرت بين ابنائه روح الميوعة والانحلال الخلقي وتفتح أبواب الغواية التي جرت أبنائه نحو الرذيلة والانحطاط^(١)، ومنها أن المرأة الصليبية في بلاد الشام عاشت في حياة رغدة لم تعودها في موطنها الأصلي في أوروبا، وذلك مما دفعها إلى الإسراف المقنونة في التزين والمغالة في التبرج، غير مراعية أصول العادات الشرقية في هذا المجتمع، فأخرجها هذا التبرج عن الحياة الكريمة الشريفة، وأبعدها عن دائرة العفة والفضيلة، وانغمست في حياة الفسق والفجور، وتسلمت على الرجل الصليبي حتى أصبحت هي الأمر الناهي، ولم يعد للرجل من أمر، فاتبعت بذلك حياة الهوى والتبذل الرخيص، حتى ضج المؤرخون من تصرفاتهن البذيئة، ووجهوا لهن النقد اللاذع، ووصفهن بما يستحقوا من صفات غير كريمة^(٢).

ومن المرجح أن تلك الأوضاع الجديدة والظروف المعيشية المختلفة التي عاشت فيها المرأة الصليبية بعيداً عن موطنها الأصلي في أوروبا، دفعها لارتكاب تلك الفواحش سواء أكان ممثلاً الزنا أم الدعارة، والذي ساعدها على ذلك ضعف الرقابة عليها التي كانت ممثلة في الرجل؛ لأنه وقع تحت سيطرتها، ويضاف إلى ذلك اعتقادها أن ممارسة الزنا أو الدعارة مع الرجل إنما هو عمل يقربها إلى الله، وقد انتشرت تلك الجريمة على الرغم من رفض الكتاب المقدس لها، وتحريمه العلاقات الجنسية غير المشروعة مثل اللواط^(٣)، ويضاف إلى ذلك

(١) دندل جبر، الزنا، ص ٦٥.

(٢) أحمد الشامي، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، دار النهضة العربية، ط. القاهرة، ١٩٨٥م، ص. ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(٣) الكتاب المقدس، اللاويين، ٢٢/١٨، «لا تضاجع ذكراً مضاجعة امرأة، إنه رجس»، وأيضاً في=

ذلك ضعف القوانين أو عدم فعاليتها في إنزال العقوبة بمرتكبي تلك الجريمة، كل ذلك منحها قدرًا كبيرًا من الحرية لممارسة تلك الجريمة البشعة.

وقد رسم لنا ابن جبير^(١)، صورة لذلك التزين الصارخ للمرأة الصليبية عندما كان بمدينة صور، حيث حضر إحدى حفلات الزفاف التي كانت مقامة بالمدينة آنذاك، واصفًا إياها متعجبًا من مراسمها الغريبة، ومستاءً من آلات العزف والأبواق والمزامير التي كانوا يعزفون عليها، واصفًا لمراسم ذلك الزفاف وقواعده الغريبة، كما وصف ملابس العروس والنساء اللاتي حضرن ذلك الزفاف من الصليبيات مستعبدًا بالله من فتنة المنظر، الذي كان يدعو إلى الغواية^(٢).

يلاحظ من ذلك أن تلك المراسم التي شاهدها ابن جبير في مدينة صور،

= اللاوين (١٣/٢٠) يقول: وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسًا. أنهما يقتلان. دمهما عليهما".

(١) ابن جبير: هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكتاني الأندلسي، وأسرت في الأصل من مدينة شاطبة، وقد ولد في بلنسية، وذلك في عام ١١٤٥م/ ٥٤٠هـ وقد أهتم والده بتربيته، فدرس العلوم الدينية واللغوية، وظهرت موهبته الأدبية فقرض الشعر، ولع أسمه، ومن ثم اتخذه حاكم غرناطة أبو عثمان سعيد بن عبد المؤمن، رفيقًا له وجعله أحد كتاب ديوانه، ويذكر أن حاكم غرناطة اضطره إلى شرب الخمر، وكافاه على ذلك بأن أعطاه سبعة كؤوس مليئة بالدنانير، وقد عقد ابن جبير العزم على أن يقوم بالحج إلى بيت الله الحرام من أجل التكفير عن ذلك الإثم الكبير، ومن هنا نبتت في ذهنه فكرة الإرتحال إلى الشرق، وقام ابن جبير بثلاث رحلات إلى الشرق، إذ أنه غادر غرناطة في عام ١١٨٣م/ ٥٧٨هـ وركب البحر في سفينة وقصد الإسكندرية وتنقل في أنحاء مصر، ثم اتجه من عيذاب إلى الحجاز حيث قام بتأدية فريضة الحج، ومكث في الأرض المقدسة مدة ستة أشهر ثم أتجه إلى العراق، ثم إلى بلاد الشام حيث كان الصليبيون قد أخضعوا بعض المناطق هناك، ثم ركب البحر من عكا عائداً إلى بلاده، فوصل هناك في عام ١١٨٥م/ ٥٨١هـ، وتوفي عام ١٢١٩-١٢٢٠م/ ٦١٦-٦١٧هـ لمزيد من التفاصيل عن حياته. انظر كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ت. صلاح الدين هاشم، ج ١، الخرطوم، ١٩٦١، ص ٢٩٩-٣٠٢، شوقي ضيف، الرحلات، ط. القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٧٠-٩٤، أحمد رمضان، الرحلة، والرحالة المسلمون، ص ٣٢٣-٣٣٨، محمد مؤنس، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٢٨٣-٣٠٩.

(٢) ابن جبير، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، تحقيق: محمد زينهم، دار المعارف، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٢٤٢.

كانت غريبة على مجتمع بلاد الشام، وقد وصفها ابن جبير من باب الدهشة، وأيضًا من باب الاشمئزاز لما فيها من صور الغواية سواء من الرجال أم النساء، وخاصة ملابس النساء العارية التي كانت تدعو إلى فتنة الرجال.

كما أن المرأة الصليبية كانت تتمتع بالجرأة، ولم تكن لتلتزم بطاعة زوجها، وذلك نتيجة لأن العلاقة الزوجية التي جمعت بينهما كانت تشوبها في كثير من الأحيان عدم الوفاق، والذي نتج عن صغر وتباين أعمار الزوجين، حيث كان سن البلوغ عند الإناث حوالي الثانية عشرة، بينما كانت سن البلوغ عند الذكور سن الخامسة عشرة، وقد تكون تلك الخلافات نابعة في الأساس بسبب أن أغلب تلك الزيجات كانت قائمة على أطماع مادية، وكان من الطبيعي أن تتطور تلك الخلافات إلى الخيانة الزوجية من أحد الطرفين أو من كليهما على حد سواء، فلقد شاع ذلك الأمر بين الصليبيين^(١).

ومن تلك الزيجات غير المتكافئة، ما حدث عام ١٢٠٨م/ ٦٠٤هـ، فعندما بلغت ماري Maria of Jerusalem (١١٩٢-١٢١٢م/ ٥٨٨-٦٠٨هـ)، الوريثة الشرعية لمملكة بيت المقدس الصليبية سن الرشد، بدأت مشكلة البحث عن عريس مناسب لها من ناحية، ومن أجل تولي عرش المملكة وحماية مصالح الصليبيين ببلاد الشام من ناحية أخرى، فتنافس الأمراء فيما بينهم على الزواج منها، بما فيهم الواسي عليها حنا دي إبلين، فانعقد مجلس بعكا لمناقشة تلك المسألة، ونتج عن ذلك الاجتماع تفويض الملك الفرنسي فيليب أغسطس لحلها، فاختار الملك فيليب حنا دي برين الذي كان في الستين من عمره، والذي كان على مقدرة وكفاية سياسية تأهله لمراعاة مصالح الصليبيين ببلاد الشام، على الرغم من التفاوت الكبير في سن كل من ماري التي لم تبلغ العشرين بعد، وحنا دي برين الذي أتم العقد السادس من عمره، وفي عام

(1) Geoffrey De Vinsauf, Richard Of Holy Trinity , Itinerary Of Richard I and Others To The Holy Land, Trans. by A Classical Schola And A Gentheman Well – Read In Mediaeval History, Cambridge 2001, p4.

نهي فتحي الجوهري، إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص.ص ١٩٤، ١٩٣.

١٢١٠م/٦٠٦هـ، وصل حنا إلى عكا حيث سرعان ما تزوج من ماري، ثم تم تنويجه بعد ذلك ملكاً على مملكة بيت المقدس داخل كاتدرائية صور في أوائل أكتوبر من العام نفسه، غير أن الملكة ماري لم تلبث أن توفيت عام ١٢١٢م/٦٠٨هـ حزناً على شبابها الضائع من رجل في سن أجدادها، بعد أنجبت له طفلة تدعى إيزابيلا أو يولاندا^(١).

ويرجح أن كثرة الخلافات التي كانت تقع داخل الأسرة الصليبية، كانت من أهم أسباب لجوء الزوجات إلى خيانة أزواجهن كنوع من أنواع الانتقام منهم، وقد ساعدهم على ذلك سيطرتهم على أزواجهن من جهة، ومن جهة أخرى كان الرجل يهرب من سيطرة زوجته إلى امرأة أخرى حتى يمارس سيطرته عليها كرجل، وتمثل ذلك الهروب في الزنا بامرأة أخرى غير زوجته.

ومن المرجح أن حياة الدعة والتراخي التي عاشها الصليبيون ببلاد الشام، وخاصة طبقة النبلاء وكبار السادة الإقطاعيين منهم، وما سادها من جو دافئ وفراغ كبير، فأثاروا الراحة مع توافر ضروريات الحياة وكمالياتها، فقد سكنوا القصور الفخمة التي تألفت في العادة من طابقين في وسطها من الداخل نافورة تندفق منها المياه وكسيت نوافذها بالزجاج الملون وحليت أراضيها بالفسيفساء^(٢)، فربما ساعدت كل تلك الظروف على انتشار جريمة الزنا والدعارة فيما بينهم.

ويضاف إلى تلك العوامل، عامل مهم وهو ضعف الوازع الديني، فقد كان لضعف الوازع الديني في نفوس الصليبيين أثر كبير في نشر رذيلة الزنا والدعارة داخل المجتمع الصليبي، ذلك أن الصليبي الذي ضعف إيمانه وتقواه، كان لا يبالي بأية جريمة يرتكبها أو أي فعل يقوم به، وحجته في ذلك أن فريضة الحج إلى بيت المقدس ستزيل أي فعل آثم يقوم به مهما كان ذلك الجرم^(٣).

(1) Eracles, II, p306,

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ٢، ص. ص ٧٥٠-٧٥١.

(٢) أسامة سيد علي أحمد، الساحل الشامي في القرن الثاني عشر- الميلادي / السادس الهجري، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ط. القاهرة ١٩٩٢م، ص ٢١٤.

(٣) دندل جبر، الزنا، ص. ص ٧٢، ٧٣.

ومن الجدير بالذكر أن من أحد أهم أسباب قيام الحرب الصليبية إلى بلاد الشام بوجه عام، وإلى بيت المقدس بشكل خاص هو الدافع الديني، وهو تخليص مسيحيي الشرق من ظلم المسلمين - من وجهة نظر الصليبيين - ولذلك كانت مشاركتهم في الحملات الصليبية نوعاً من تطهير النفس من الشرور والآثام، غير أن الوضع اختلف في بلاد الشام، فعلى الرغم من أن الدافع الديني كان وراء قيام الحرب الصليبية، إلا أن ضعف حقيقة ذلك الوازع في نفوس الصليبيين، كان أحد أهم أسباب انتشار الزنا والدعارة داخل المجتمع الصليبي.

ومما ساعد في انتشار رذيلتي الزنا والدعارة كذلك شرب الخمر، فلقد أفرط الصليبيون في تناول الخمر^(١)، وساعد على ذلك انتشار صناعة الخمر والنبذ ببلاد الشام، حيث كان الصليبيون يتوسعون في زراعة الكروم، من أجل الإفادة منه في صناعة النبيذ الذي تميز بجودته، ومنه النبيذ البيروتي، وقد دخل هذا النبيذ في الشعائر الدينية^(٢)، حتى لقد شعر مؤلفو الحوليات الأوروبية فترة الحرب الصليبية، بالتحجل عندما كانوا يتحدثون عن الصليبيين الذين ذهبوا لنصرة إخوانهم في بلاد الشام، وتركوا زوجاتهم من أجل المسيح، ثم سرعان ما نسوا كل شيء من أجل أعمالهم السرية، والتي تمثلت في ملازمة العاهرات^(٣).

ويلاحظ أن كثرة شرب الصليبيين للخمر، أفقدتهم التحكم في تصرفاتهم وسلوكياتهم، مما كان له الأثر السيء في واقع حياتهم، حيث ساعد ذلك على ارتكابهم للجرائم والتي كان من ضمنها جريمة الزنا والدعارة تحت تأثير مفعول الخمر التي أكثروا من تناولها، وجعلهم ذلك يفقدون حياءهم ويرتكبون الموبقات دون حرص أو خوف من سوء عاقبة ما يفعلون.

(١) محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢٢٣.

(٢) ماضي عبدالله الرحان، بيروت تحت الحكم الصليبي وعلاقتها بالمسلمين (٥٠٤-٦٩٠هـ/١١١٠-١٢٩١م)، ط. الرياض، ١٩٨٦م، ص ٣٠١، أحمد عبدالله أحمد، التجارة في الساحل الشامي في القرنين ١٢-١٣م/٦-٧هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ١١٢.

(3) Joseph Francais Michaud, History of The Crusades, New York, 1855, vol.II,p26.

ومن العوامل الأخرى التي ساعدت في انتشار تلك الموبقات داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، الاختلاط الصريح بين الجنسين من الذكور والإناث، وانكشاف عورات النساء وخروجهن سافرات شبه عاريات في الأسواق والطرقات، وارتياذهن لتجمعات الرجال^(١)، وأيضاً اصطحاب الجيوش الصليبية للعاهرات أثناء زحفها من أوروبا إلى بلاد الشام للترفيه عن الجنود الصليبيين^(٢)، وكذلك كثرة عدد الشباب من العزاب الذين سافروا بعيداً عن بلادهم وهم في سن الزواج وبلا زوجات^(٣)، ويضاف إلى ذلك عامل الضعف التشريعي واختلاف العقوبة التي تنزل بمقترب هذه الجريمة بين الطبقات قد ساعد على انتشار هذه الجريمة^(٤) كل تلك العوامل والأسباب التي ساعدت على انتشار جريمتي الزنا والدعارة داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام.

أما بالنسبة لانتشار الزنا في طبقات المجتمع الصليبي العليا، فقد كان للطبقات العليا من المجتمع الصليبي ببلاد الشام - والتي اشتملت على الملوك وحكام الإمارات والنبل - نصيبهم في مشاركة حياة الفساد والمجون التي سادت طبقات المجتمع الصليبي المختلفة، وعلى الرغم من سمو مكانتهم الاجتماعية، إلا أنهم لم يصونوا تلك المكانة طويلاً، فسرعان ما كانوا يتناسون منزلتهم في المجتمع، ويسلكون سلوك المجرمين بأفعالهم الإجرامية الفاضحة. وأولى تلك الفضائح الأخلاقية والتي ارتبطت بملك من ملوك مملكة بيت المقدس الصليبية ببلاد الشام، هو الملك بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠-١١١٨م/٤٩٣-٥١١هـ)، وصفه بأنه لم يكن باستطاعته كبح

(١) دندل جبر، الزنا، ص ٧٦، إبراهيم بن حمود المشيقي، "دراسة مقارنة لمشاهدات الرحالة عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في مدينة صور أثناء الحروب الصليبية (١١٢٤م/٥١٨هـ-١٢٩١م/٦٩٠هـ)، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، العدد: ٢٤، ١٩٩٩م، ص ٥٥.

(2) Christopher Tyerman, The invention of the crusade, Toronto, 1998, p75.

(٣) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٣٨٩، علي السيد، المجتمع المسيحي، ص ١٢٠، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢١٣.

(٤) لمزيد من التفاصيل، انظر الفصل الخامس.

شهواته، فأنحدر وانغمس في الملذات الجسدية، دون أن يعف عن شيء منها، ولم يعلم بسوء تصرفاته سوى عدد قليل من المقربين له، وكذلك ما قام به الملك الصليبي بلدوين الأول وزوجته الأرمينية أردا Arda، الشرعية تزوجها عندما كان أميراً للرها، لكي يستميل العنصر الأرميني لجانبه، وعندما أصبح حاكماً لمملكة بيت المقدس الصليبية، لم يعد في حاجة فعلية لها، وكذا بعد أن فقد ذريته منها بموتهم في حادثة عمرهم، وكذلك بعد فقدها لثروتها الهائلة، حيث كان بلدوين في حاجة لدعم مادي قوي كي يقوي حكمه، ولذلك أراد التخلص منها، فاتفق مع أسقف بيت لحم لكي يتم الطلاق، فاتهمها بفضيحة أخلاقية، وهي أدعاؤه اغتصابها على يد بحارة السفينة التي كانت تستقلها خلال رحلتها من مدينة اللاذقية إلى يافا، وأنها ليست مثلاً للعفة، ومن أجل ذلك قام بتطليقها، وكان ذلك عام ١١١٠م/ ٥٠٤هـ، ولم تمكث أردا وقتاً طويلاً بعد طلاقها، فقد استأذنت بلدوين في الذهاب إلى القسطنطينية، من أجل زيارة ولديها هناك، وبعد سفرها وردت أخبار بسوء سمعتها، وعدم عفتها^(١)، وفيما يظن أن كلاً من بلدوين وأردا قد أخطأ بحق كل منهما للآخر، فبلدوين أخطأ بنزواته النسائية، وأردا أخطأت بعدم حفظ عفتها، على الرغم من أنها ملكة لبيت المقدس، ولذلك فما قامت به في القسطنطينية بعد ذلك، أثبت أن بلدوين كان له حق في تطليقها.

ويروي وليم الصوري William of Tyre (١١٣٠-١١٨٦م/ ٥٢٤-٥٨٢هـ)، عن مجون أمراء الصليبيين، روايات منها ما حدث أثناء حصارهم لمدينة حارم^(٢) Aregh، وفشل ذلك الحصار بقيادة الكونت فليب كونت

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج ٢، ص ١٩٥.

Zoe, The Crusades, p285, walter, Jerusalem, p234,

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٢٧١، أسامة زكي زيد، "ملكات بيت المقدس في القرن الثاني عشر- الميلادي - القرن السادس الهجري"، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، العدد الثامن، ١٩٩٥م، ص ٢٤، أحمد الشامي، تاريخ العلاقات، ص ١٠٤.

(٢) حارم: حصن حصين وكورة جليظة تجاة أنطاكية، وهي من أعمال حلب، وفيها أشجار كثيرة ومياه، وهي مدينة حصينة تتصب قلعتها فوق مرتفع صخري محمي من جميع جوانبه بقناة مائية شقت عميقاً في=

فلاندرز Philip Count of Flanders، فخلال عمليات الحصار للمدينة، كان الكونت وجنوده يتركون أعمال الحرب، ويذهبون إلى مدينة أنطاكية Antioch، من أجل الاستمتاع بحماماتها والتردد على ولائمها، وكان يصاحب ذلك إسرافهم في شرب الخمر، مما كان يدفعهم بطبيعة الحال لممارسة الرذيلة مهملين في ذلك حصار المدينة^(١).

ولعل هذا الحدث به نوع من الغرابة، فكيف يكون جيش محاصر لمدينة مهمة مثل حارم، ويترك قواد الجيش وجنوده حصار المدينة من أجل الاستجمام، وإشباع ملذاتهم الجسدية، فربما كان ذلك راجع لقسوة الظروف المناخية التي كانوا يحاصرون فيها المدينة، أو ربما لطول مدة بعدهم عن نسائهم لفترات طويلة، مما كان يدفعهم إلى ارتكاب الزنا وأعمال الفسق دون خجل أو مراعاة للتعاليم الدينية.

ويتكرر الموقف بصورة أخرى مع الأمير روجر Roger ورجاله عام ١١١٩م/٥١٢هـ، حيث تم هزيمتهم من قبل السلاجقة هزيمة قاسية، أرجع المؤرخون أسباب الهزيمة، إلى ما كان يصدر من الأمير وجنوده من أعمال غير أخلاقية، فقد ورد عن روجر وقوعه في الزنا مع أكثر من امرأة في الوقت الذي كان متزوجاً فيه^(٢)، ويرجح أن تلك الأعمال الهاجنة التي كانت تصدر عن روجر ورجاله، أنهكتهم بدنياً ومعنوياً، مما كان له أثره في عدم قدرتهم على مواجهة السلاجقة، وهزيمتهم تلك الهزيمة المنكرة منهم.

ويتوالى ذكر الأمراء الذين اتصفوا بالخلاعة والمجون في تصرفاتهم، ومنهم جوسلين الصغير Joscelin I of Courtenay (١١٣١م/٥٢٥هـ) حاكم إمارة الرها الصليبية، فعلى الرغم من أن صفاته الجسمانية لا توحى بالسامة،

=الصخر من الجهة الشمالية الشرقية، وتألفت قلعتها من سور حاجز مقوى بأبراج متينة، وهي على شكل مستطيل، انظر:

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط. بيروت ١٩٧٩م، المجلد الثاني، ص ٢٠٥، مولر فيز، القلاع، ص ٨٤.

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج ٤، ص ٢٢٤.

(٢) فوشيه الشارترى، الاستيطان الصليبي، ص ٢٤١.

فقد كان ممتلئ الأطراف، شديد السمرة، أسود الشعر، عريض الوجه، كثير الندوب بسبب إصابته بمرض الجدري، إلا أنه كان منقاداً لشهواته الجسدية، ومنكباً على شرب الخمر، وكان لا يتورع عن فعل أي شيء منافي للأخلاق، على الرغم من أنه كان متزوجاً^(١)، ويتضح من ذلك أن الوسامة وحدها لم تكن كافية لفعل الفاحشة، بل كان المرضى أيضاً لهم نصيب من المشاركة في فعل الفاحشة، فلم يتعظوا من مرضهم، أو هيئتهم المشوهة بسبب الأمراض، بل سارعوا إلى التدنس الأخلاقي، على الرغم من أن الكثير منهم كان متزوجاً.

ولم تسلم ملكات مملكة بيت المقدس الصليبية من ذلك الأمر، ومن أشهر تلك الفضائح الجنسية، ما حدث في عام ١١٣٢م/ ٥٢٦هـ، عندما نشبت ثورة هيو الثاني حاكم مدينة يافا على الملك الصليبي فولك أوف أنجوي Fulk of Anjou (١٠٩٠-١١٤٣م/ ٤٨٣-٥٣٧هـ)، فقد كان هيو على علاقة غرامية مع الملكة مليزندا Melisende^(٢)، ابنة الملك بلدوين الثاني وزوجة فولك، وكان سبب تلك العلاقة أن هيو كان متزوجاً من أرملة تكبره في السن، في حين كانت مليزندا صغيرة السن بالمقارنة بفولك زوجها، ولذلك لم تبادلها عاطفة الحب، فنشأت علاقة غرامية بين الاثنين وانتشرت الشائعات بذلك الأمر، فساء موقف هيو أمام الملك الصليبي، ففر باتجاه الفاطميين الذين رحبوا به وأغاروا على إقليمي يافا ووصلوا مشارف أرسوف^(٣)، فسارعت الجيوش الصليبية باحتلال يافا مرة أخرى، أما هيو الثاني فقد حكم عليه بالنفي لمدة ثلاث سنوات بسبب تمرده، ولكن قبل سفره تعرض للاغتيال على يد فارس مجهول^(٤)، وعندما علمت مليزندا بما حدث لهيو غضبت غضباً شديداً من فولك الذي عمل على استرضائها بشتى الطرق، حتى أصبحت هي الأمر الناهي في شئون المملكة، ويرجح أن هذه الثورة التي قام بها هيو كانت وثيقة

(١) ولیم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص ٩٥، السيد الباز العربي، الشرق الأدنى، ص ٢٤.

(2) Mayer, Studies in the History of Queen Melisende of Jerusalem, Dumbarton Oaks Papers, vol.26, 1972, p110.

(٣) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٤٣٢.

(٤) للمزيد من التفاصيل عن محاولة اغتيال هيو انظر الفصل الثاني.

الصلة بالصراع على السلطة، فسرب فولك تلك الشائعات حتى يتسنى له الاحتفاظ بالسلطة منفرداً^(١)، وواقع الأمر لا يمكن نفي تلك العلاقة بين الأثنين نظراً للمعطيات السابقة الذكر، فلقد تداخلت الشئون السياسية بالأمر العاطفية، وأصبحت الشائعات الجنسية سلاحاً قوياً في الصراع على السلطة بمملكة بيت المقدس الصليبية.

وكانت العلاقات الغرامية وسيلة من وسائل أسر القادة الصليبيين من قبل المسلمين، فما حدث لجوسلين صاحب البيرة^(٢)، وبهسنا^(٣)، والراوندان^(٤)، وعين تاب^(٥)، وعزاز، الذي أزعج المسلمين بغاراته المستمرة، فكمن له نور الدين محمود Nur al-Din (١١١٨-١١٧٤ م/ ٥١١-٥٦٩ هـ)^(٦)، مع مجموعة من جنوده فأسروه وهو يزني بامرأة^(٧). والشاهد من تلك الحادثة أن

(١) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٣٢، عبد الحفيظ محمد، مشكلات الوراثة، ص ٢٨، أمين معلوف، الحروب الصليبية، ص ١٥٤.

(٢) البيرة: بلدة قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهي قلعة حصينة، وقد حمل هذا الاسم أكثر من موقع، فهناك البيرة الواقعة على الضفة الشرقية لنهر الفرات على الطريق بين الرها وعينتاب، وهناك موقع آخر على شط الفرات من أعمال الجزيرة فوق جسر منبج، والموقع الثالث، البيرة في الأندلس، للمزيد انظر:

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٥٢٦، محمد مؤنس عوض، "أضواء على مستعمرة البيرة الصليبية"، مركز بحوث الشرق الأوسط، العدد العاشر، مارس ٢٠٠٢ م، ص ٦-٣٢، هنادى السيد، مملكة بيت المقدس، ص ١٦٣.

(٣) بهسنا: قلعة حصينة بالقرب من مرعش وسميساط، وهي من أعمال حلب:

ياقوت الحموي، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٥١٦.

(٤) الراوندان: قلعة حصينة، وكورة بالقرب من من نواحي حلب: ياقوت الحموي، نفسه، المجلد ٣، ص ١٩.

(٥) عين تاب: قلعة حصينة، بين حلب وأنطاكية، وهي من أعمال حلب: ياقوت الحموي، نفسه، ج ٤، ص ١٧٦.

(٦) للمزيد من التفاصيل عن نور الدين محمود، انظر:-

نيكيثا أليسييف، السلطان نور الدين محمود زنكي (٥١١-٥٦٩ هـ/ ١١١٨-١١٧٤ م)، ت. سليم قندلفت، مراجعة: علي القيم، ط. دمشق، ١٩٩٨ م.

(٧) الذهبي، دول الإسلام، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، دار صادر، ط. بيروت، ١٩٩٩ م، ص ٤٥.

جوسلين على الرغم من عداوته للمسلمين وكثرة إغاراته على أراضيهم، لم يكن ليأخذ حذره بالحراسة المسلحة لحمايته من الأسر.

وكانت الفضائح الجنسية سبباً من أسباب فشل إحدى الحملات الصليبية الكبرى، وذلك ما حدث خلال الحملة الصليبية الثانية، وأبطال تلك الفضيحة الملكة إيلينور أوف أكوتين Eleanor of Aquitaine (١١٢٢-١٢٠٤م / ٥١٦-٦٠٠هـ) زوجة لويس السابع Louis VII (١١٢٠-١١٨٠م / ٥١٤-٥٧٥هـ) ملك فرنسا، والطرف الثاني كان ريموند الثاني Raymond II (١١٣٧-١١٥٢م / ٥٣١-٥٤٧هـ) أمير أنطاكية، فعندما استقر الجيش الفرنسي بإمارة أنطاكية بشكل مؤقت، نشأت علاقة عاطفية بين كل من إيلانور وريموند، فقد كان كل منهما صغير السن مقارنة بالملك لويس السابع، وسرت الشائعات حول تلك العلاقة، وعلم بها الملك لويس السابع، فقرر الرحيل فجأة من المدينة حتى يتقذ شرفه ويقطع دابر الشائعات التي انتشرت على ألسنة الجنود، وأخذ إيلانور معه وهي مرغمة على الرحيل، وذهب إلى مدينة بيت المقدس دون أن ينتظر قدوم الإمبراطور الألماني كونراد الثاني بجيشه^(١)، وثمة وجه تشابه بين فضيحة كل من الملكة مليزندا مع هيو، و الملكة إيلانور مع ريموند، وهو صغر سن كل من الملكتين بالمقارنة بزواجهما فولك ولويس السابع.

وفيما يبدو أن إمارة أنطاكية كان نصيبها كبيراً من تلك الفضائح الجنسية المتعددة، فلقد دخل الأمير بوهمند الثالث Bohemund III (١١٦٣-١٢٠١/٥٥٨-٥٩٧هـ) أمير أنطاكية، في نزاع مع أحد أتباعه الإقطاعيين وجيرانه الأرمن بسبب تورطه الصريح بفضيحة جنسية، فقد كان بوهيمند

(1) King, E.J, The Knight Hospitallers in The Holy Land, London, 1931, p45, Peter W. Edbury, Looking back on the Second Crusade: Some Late Twelfth-Century English Perspectives, From: The Second Crusade and The Cistercians, Edited By: Michael Gervers, New York, 1992, p25.

شاكر مصطفى، صلاح الدين، الفارس المجاهد والملك الزاهد المفترى عليه، دار القلم، ط. دمشق، ١٩٩٨م، ص ٢٩.

متزوجًا من الأميرة البيزنطية الحسنة تيودورا كومنين، غير أنه لم يقتنع بها زوجة له، فدخل في علاقة غرامية مع امرأة أخرى تدعى أورجليز *orgueilleuse*، ولم يلبث أن طلق زوجته البيزنطية الحسنة تيودورا، عام ١١٦٨م/٥٦٣هـ، وأعلن زواجه من أورجليز، غير أنه لم يقنع بأورجليز أيضًا فهجرها في عام ١١٨٣م/٥٧٨هـ، ليقوم علاقة مع امرأة منحلة خلقًا تدعى سيبيل *Sibylle*، فقد اتخذها خليله له، يعاشرها معاشر الأزواج، وشاعت علاقته بها في أرجاء إمارته، فنصحته المقربون منه بضرورة تركها، وأن يعيد زوجته الشرعية تيودورا، غير أن بوهمند الثالث صم آذنيه عن سماع النصائح، ولم يأبه لقرارات الحرمان التي صدرت ضده نتيجة لعلاقته غير الشرعية بتلك المرأة، فسلطته تلك المرأة على البطارقة ورجال الدين بالإمارة، فقام بإيذائهم وتعدى على الكنائس والأديرة بالنهب والسرقة من أجل إرضائها، ونتيجة لذلك أصدر إيمري دي ليموج بطريك الإمارة، قرار الحرمان ضد بوهيمند، ووقعت حرب أهلية بالإمارة بسبب تلك المرأة^(١). وتبين تلك الحادثة أن بوهمند الثالث لم يحافظ على التقاليد والعادات المحترمة والمناسبة له كزعيم صليبي، ورضي أن تتحكم فيه امرأة بسبب عدم استطاعته كبح شهواته الجنسية، والنتيجة الأخطر لتلك العلاقة قيام حرب أهلية بإمارته نتيجة لنزواته، نتج عنها زعزعة مكانة الصليبيين بتلك المنطقة.

وكان لأحد رجال بيزنطة دور مهم في الفضائح الجنسية التي ألت بتلك الطبقة العليا، وتمثلت تلك الشخصية في أندرونيكوس كومنينوس، وهو أحد رجال الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين *Manuel I Komnenos* (١١٤٣-١١٨٠م/٥٣٧-٥٧٥هـ)، حيث عينه دوقًا جديدًا لأقليم كليكيا (١١٦٦-١١٦٧م/٥٦١-٥٦٢هـ)، وزوده بالمال من أجل محاربة أعدائه بالمنطقة، غير أن أندرونيكوس لم يكن رجل حرب، إذ دأب على قضاء جل وقته

(١) ولیم الصوري، الحروب الصليبية، ج ٤، ص. ٢٦٤، ٢٦٣، ميخائيل السرياني، الموسوعة الشامية، ج ٥، ص. ٢٨٥، مولر، القلاع، ص ٢١، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ٢، ص ٦٠٣، حسين عطية، إمارة أنطاكية، ص ١٩٨.

في مدينة أنطاكية، حيث أقام علاقة غرامية مع أميرتها فيليبيا شقيقة بوهيمند الثالث أمير أنطاكية، مما دفع مانويل إلى طرده، فتوجه بأمواله إلى مملكة بيت المقدس الصليبية، واستقبله الملك الصليبي عموري Amalric (١١٣٦-١١٧٤م/٥٣٠-٥٦٩هـ) ورحب به، فتقابل مع الملكة ثودورا، أرملة الملك الصليبي بلدوين الثالث^(١)، حيث أعجبت به كثيراً وطارحها الغرام، على الرغم من أنها كانا يعلمان عدم أحقيتهما قانوناً في إتمام زواجهما، وعندما توجه للإقامة ببيروت، توجهت الملكة إليه، حيث عاشت معه دون حجل أو حياء، وعندما علم الإمبراطور مانويل بما حدث، عمل على القبض على أندرونيكوس، غير أن ثودورا علمت بتلك المكيدة، فأخبرته بذلك، فتخلياً عما كان يملكه، وتوجهها إلى الحدود الإسلامية، حيث وصلا لمدينة دمشق Damascus، حيث أحسن نورالدين محمود استقبالهما، وأقطعهما قلعة قرب الحدود الفاصلة مع بيزنطة Byzantine قرب بافلاجونيا، واستغل الملك عموري ذلك، وأعلن عدم أحقية ثودورا لكونها آثمة نتيجة للضرر الذي ألحقته بالمملكة الصليبية^(٢). وتبرز تلك الواقعة أن بعض ملكات مملكة بيت المقدس الصليبية، لم يكن يحافظن على مكانتهن، وكن يسارعن وراء مغامراتهن العاطفية، حتى ولو خسروا مراكزهن نتيجة لتلك العلاقات الآثمة، كما يلاحظ وجود ثمة عامل آخر وهو صغر سن الملكات اللاتي سقطن في تلك الفضائح، يضاف إلى ذلك حالة الجفاء التي كانت بينهن وبين أزواجهن، كل ذلك ساعد على انتشار تلك العلاقات الآثمة بينهن.

(١) أسامة زكي زيد، ملكات بيت المقدس، ص ٤٦.

(٢) يوحنا كيناموس، أعمال يوحنا ومانويل كومينوس، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ

الحروب الصليبية، ج ٢٩، ط. دمشق، ١٩٩٧م، ٢٤١.

Lynda Garland, Byzantine Empresses, Women and Power in Byzantium AD 527-1204, New York, 1999, p.p207-209.

إسحاق تاوئروس عبيد، روما وبيزنطة من قطيعة فوشوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين ٨٦٩-

١٢٠٤م، دار المعارف، ط. القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٢٢٧، أسامة زكي، ملكات بيت المقدس، ص. ص ٤٦-

٤٧، نزيه شحاته، بيروت، ص. ص ١١١-١١٢.

وقد كان اختيار حنا دي برين John of Briene (١٢٣٧م/٦٣٤هـ)، ملكاً على مملكة بيت المقدس الصليبية، باعثاً لخفية الأمل، حيث كان حنا يبلغ من العمر ستين عاماً وكان مفلساً، حيث كان قبل توليه العرش، من أتباع ملك فرنسا، وأشيع عنه أنه اختير ملكاً على مملكة بيت المقدس الصليبية، نتيجة لعلاقة غرامية جمعت بينه وبين الكونتيسة بلانش أوف شامباني، وتم فضح تلك العلاقة في البلاط الفرنسي^(١)، فربما كانت المسارعة بخروجه من البلاط الفرنسي، حتى لا ينتشر أمر علاقاته النسائية المتعددة من جانب، ومن جانب آخر حتى لا يلحق العار بالبلاط الفرنسي.

وتواصل الفضائح الجنسية في الطبقة الحاكمة في المجتمع الصليبي، ففي عام ١٢٦٧م/٦٦٥هـ توفي ملك قبرص هيو الثاني Hugh II (١٢٥٣-١٢٦٧م/٦٥١-٦٦٥هـ)، الذي ترك زوجته الصغيرة إيزابيلا ابنة جون الثاني الأبليني Isabella of Iblin أرملة عذراء، ثم تزوجت من بعد ذلك بأحد النبلاء الإنجليز ويدعى هاموا حيث كان أحد المصاحبين لحملة الأمير إدوارد الإنجليزي، ثم سرعان ما توفي، فارتبطت بعلاقة جنسية غير شرعية مع جوليان أمير صيدا، مما أدى إلى غضب البابوية وإصدارها مرسوماً بابوياً بضرورة زواجها، ومع تصاعد وتيرة الأحداث، قام هيو بنقل إيزابيلا بالقوة إلى قبرص كي يزوجه بأحد نبلاء المملكة هناك^(٢)، وبذلك تكون الفضائح الجنسية للطبقة العليا للمجتمع الصليبي قد انتشرت بين أفرادها، ولكن بنسب متفاوتة، وفي ظروف مختلفة.

وفيما يتعلق بالمجتمع الكنسي وعلاقته بالزنا والدعارة، فإن هذه الطبقة لم تكن بعيدة عما كان يحدث داخل المجتمع الصليبي، فالمفترض في تلك الطبقة أنها كانت في يدها إصلاح المجتمع الصليبي دينياً وأخلاقياً، من خلال مؤسساتها الدينية التي تمثلت في الكنائس والأديرة المختلفة التي انتشرت في

(١) رانسيمان، الحملات الصليبية، ج ٣، ص ١٧٨.

(2) David Nicolle, The Crusade, p73,

رانسيمان، المرجع السابق، ج ٣، ص ٣٩٥، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ١٣٩.

المدن الصليبية ببلاد الشام، وعلى الرغم من قلة عدد رجال الدين بالمقارنة بعناصر المجتمع الصليبي الأخرى المختلفة، إلا أنه وجدت إشارات مصدرية عن جرائم بعض رجال الدين، ومنها ما يتعلق بهذا الفصل وهي جرائم الزنا والدعارة، كما سيتضح.

فعندما حاصرت الجيوش الصليبية الأولى مدينة أنطاكية، لم يتورع أحد رجال الدين المصاحين للجيوش الصليبية عن الإقدام على جريمة الزنا، فإنه خلال إحدى ليالي حصار الصليبيين للمدينة وأثناء مرور دورية للجيش بالقرب من أحد أسوار المدينة، تم القبض على رجل دين متلبس بجريمة الزنا مع إحدى النساء، وأدين الاثنان بجريمة الزنا فوسما بالحديد المحمي، وطيف بهما في كل أنحاء المعسكر الصليبي عقابًا لهما على جريمتيهما، وقد شاهد هذه الجريمة أحد أبناء فيروز حاكم المدينة^(١). ويرجح أن الحملة الصليبية الأولى، رافقها بعض رجال الدين غير المؤهلين أخلاقياً ودينياً، ويبدو أنهم كانوا من الطائفة التي كانت مغضوباً عليها من البابوية، وإلا ما كانوا ليرتكبوا مثل تلك الجرائم اللاأخلاقية.

وبمرور الوقت وتطور الأحداث، لم يسلم بطاركة مملكة بيت المقدس الصليبية نفسها من تهمة الاشتراك في جريمتي الزنا والدعارة، ومنهم أرنولف Arnulf (١١١٢-١١١٨ م / ٥٠٥-٥١١ هـ) بطريرك المملكة، فقد كان شخصية غير محبوبة من قبل الآخرين، فقد صب وافر اتهامه على عائلته الخاصة، مستخدماً في ذلك ثروات الكنيسة المالية، حتى تم اتهامه بوجود محظيات في بيته، حيث كان يداعب النساء أثناء الرحلة إلى بيت المقدس، مما جعله موضوعاً للكثير من قصص الفاحشة^(٢)، ويدل ذلك على عدم احترام

(1) The Caxton Eracles, Vol. I, in: A Middle English Chronicle of the first crusade, edited and with an introduction by: Dana Cushing, Toronto, 2001, p427.

حسين عطية، طبائع الفرنج، ص ٢٥.

(٢) ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ت. إنجليزية: جون هيوم جيل - لوريتال جيل، ت. عربية: حسين محمد عطية، ط. الإسكندرية، ١٩٩٠ م، ص. ص ٢٥٩، ٢٥٨.

أرنولف لمكانته الكنسية، ووقاره واحترامه كرجل دين.

وصورة أخرى من صور الفساد الكنسي الأخلاقي الذي انتشر داخل المجتمع الصليبي، وهو أحد رجال الدين الصليبيين الذي لم يكن لديه سعة من المال وكان يعيش في بيت صغير المساحة، بالإضافة إلى ذلك أنه كان متزوجاً وعاجزاً جنسياً، فقد كان زوجاً اسماً فقط ولم يكن يعلم عن زوجته شيئاً فيما تصنعه، فاستغلت الزوجة تلك الظروف، وامتهنت الدعارة حتى خرجت عن سيطرته كرجل، وعندما افتضح أمرها بعد مرور ثلاث سنوات من زواجه منها، قام بالانفصال عنها^(١)، ويدل ذلك على تدهور أوضاع رجال الدين حتى في حياتهم الشخصية، وسيطرة النساء عليهم، مما أدى إلى فقدان سطوتهم الدينية.

ومن أبرز الأمثلة على رجال الدين الفاسدين، البطريك هرقل، بطريك مملكة بيت المقدس الصليبية، الذي اشتهر بعلاقاته النسائية المتعددة مع أكثر من امرأة، فقد كان هرقل رجلاً عديم الحياء وليس له من العلم إلا النزر اليسير، ويضاف إلى ذلك أنه كان رجلاً منحلاً خلقياً، منكباً على ملذاته الجسدية، وعبداً لشهواته، وكانت أشهر علاقاته الجنسية مع أجنس Agnes of Courtenay Baldwin IV أم الملك الصليبي بلدوين الرابع (١١٨٥م/٥٨١هـ)^(٢)، أم الملك الصليبي بلدوين الرابع Baldwin IV

Hamilton, The Latin church in the crusader states, Landon, 1980, p63.

(1)The Monk Theodosios the Constantinopolitan, The Life of Leontios patriarch of Jerusalem, Trans.by: Dimitris Tsougarakis, New York, 1993, p129.

(٢) أجنس:- هي ابنة جوسلين الثاني أمير الرها، وأرملة رينالد حاكم مرعش، والزوجة الأولى للملك الصليبي عموري، فقد تزوجت من عموري أمير يافا حوالي عام ١١٥٧م/٥٥١هـ، وقد أنجب منها عموري طفلين هما: بلدوين الرابع وسيلبا، وقد عارض البطريك فولشر- إتمام هذا الزواج، بسبب أن العروس كانت تمت لعموري بصلة قرابة من الدرجة الرابعة، وهو ما نهت عنه الكنيسة اللاتينية، وسرعان ما أن طلقها عموري بسبب ضغط رجال الدين والمعارضة التي قامت ضد هذا الزواج، ولم يتم تنويجه إلا بعد أن طلقها بالفعل، وانسحبت من الحياة العامة، ولم تظهر على مسرح الأحداث مرة أخرى إلا بعد تولي ابنها بلدوين الرابع العرش عام ١١٧٤م/٥٦٩هـ، ودخلت في صراعات مريبة حول الوصاية على عرش ابنها مع بقية أمراء المملكة الصليبية، وتوفيت عام ١١٨٥م/٥٨٠هـ، لمزيد من التفاصيل انظر:-

= The Crusades an Encyclopedia, p.p 22-23,

(١١٥١-١١٨٦م/٥٤٥-٥٨٢هـ)^(١)، التي كانت شديدة الولع به وعاشقة له، فدفعها ميلها المفرط إليه أن تجعله رئيس شمامسة بيت المقدس، ثم بعد ذلك رئيسًا لأساقفة قيصرية، ثم جعلته بعد ذلك بطريركًا لمملكة بيت المقدس الصليبية^(٢)، وهكذا يتضح أن منصب بطريرك مملكة بيت المقدس، كان بدون معايير دينية ولا أخلاقية، على الرغم من خطورة هذا المنصب الدينية.

وبعد فترة من الزمن، اتخذ هرقل عشيقة أخرى له، وهي باسك دي ريفري Pasque de Riveri، وكانت زوجة لأحد التجار الصليبيين بمدينة نابلس، فقد كان يجبرها على البقاء معه لأيام طويلة وصلت أحيانًا خمسة عشر يومًا، وقد كان زوجها يعلم بتلك العلاقة المحرمة، غير أنه مع الأموال الجزيلة التي أغدقها عليه البطريرك أغمض عينيه تمامًا، وبعد وفاته اتخذ لها هرقل دارًا في مدينة القدس، حتى تبقى دائمًا بالقرب منه، ونتيجة لتلك العلاقة المستمرة أنجبت تلك المرأة فتاة صغيرة، وجاءه هذا الخبر وهو جالس مع بارونات المملكة بقصره^(٣). ويدل ذلك على أن بعض رجال الدين تمتعوا برخاء وافر

=أسامة زكي زيد، ملكات بيت المقدس، ص.ص ٤٧-٤٨.

(١) بلدوين الرابع:- والذي لقب بالملك المجذوم، نظرًا لإصابته بمرض الجذام، فقد ولد في بدايات صيف عام ١١٦١م/٥٥٦هـ، ابنا للملك عموري وزوجته الأولى أجنس، واعتبر كل من = بلدوين الرابع وأخته سبيلا الورثة الشرعيين للملك الصليبي عموري، وذلك بقرار من البابا ألكسندر الثالث، فعند وفاة عموري خلفه بلدوين وهو في سن الثالثة عشر. على عرش مملكة بيت المقدس الصليبية حيث تم تنصيبه في الخامس عشر. من شهر يونيه عام ١١٧٤م/٥٦٩هـ وتم تعيين ميلان أوف بلانسي. وافيًا على بلدوين، ثم ألت الوصاية من بعده إلى ابن عمه ريموند الثالث أمير طرابلس، حيث تم تعيينه نائبًا للملك، وبسبب صغر سنه، وقعت الاضطرابات في المملكة الصليبية مما زاد الصراع بين الأمراء، وتوفي الملك الصليبي بلدوين الرابع في السادس عشر من مايو عام ١١٨٥م/٥٨٠هـ، لمزيد من التفاصيل انظر:-

The Crusades an Encyclopedia, p.p 138-139.

(٢) ذيل وليم الصوري، ص ٨١.

(٣) مجهول، ذيل وليم الصوري، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة، ٢٠٠٢م، ص.ص ٨٢، ٨١،

Norman Daniel, The Arabs, p202, Christopher Tyerman, The Crusades, " A Very Short Introduction", Oxford, 2005, p117.

سعيد البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص ٣٧٩، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢١٩.

وحياة مادية منتعشة، حتى عاشوا في القصور متساويين في ذلك بالملوك والأمرء، ويضاف إلى ذلك أنه لم يكن هناك قانون رادع لأولئك الرجال عما كان يقترفوه من جرائم.

وبحلول القرن الثالث عشر الميلادي السابع الهجري، تفشى كل من الزنا والدعارة بين طبقة رجال الدين، حيث لم يخجل رجال الدين من الإنجاب من الزانيات والمحظيات، بل والأدهي من ذلك تجميع الأموال من أجل رفاهية هؤلاء الأبناء بلا خجل ولا إخفاء، كما انتشر الفساد في أديرة الرهبان والراهبات على حد سواء، حتى ارتبط بعض الرهبان والراهبات بعلاقات آثمة، حرمت على عامة المسيحيين، قام بها من كان يفترض فيهم النزاهة وحسن الخلق ونشر الفضلية بين الناس^(١).

ومع ازدياد الأوضاع الاجتماعية سوءًا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، لم يتورع رجال الدين عن تأجير منازلهم لمحترفي تلك المهنة المشينة، وصار الأمر متفشياً بشكل أقلق البابوية، مما جعل البابا أنوسنت الرابع يرسل في منتصف القرن خطاباً إلى رجال الدين الكاثوليك في عكا ينتقدهم بسبب تأجير أملاك الكنيسة للفاستدين أخلاقياً^(٢)، وبذلك يتضح أنه مع منتصف القرن الثالث عشر، لم يكن للبابوية من القدرة غير شجبة ما كان يقوم به رجال الدين من أفعال، ولم تكن لها سلطة فعلية عليهم مما أدى إلى عدم خوفهم، وازديادهم في جرائمهم الأثمة.

وبالمقارنة بين كل من الطبقة العليا وطبقة رجال الكنيسة بالنسبة لجريمتي الزنا والدعارة، نجد أن طبقة رجال الكنيسة كانت نسبة جريمة الزنا والدعارة بها أعلى بكثير من الطبقة العليا بالمجتمع الصليبي. ويرجع ذلك إلى كثرة عدد رجال الدين الصليبيين بالمقارنة بالملوك والأمراء الصليبيين، وأيضاً انتشار رجال الدين الصليبيين على رقعة جغرافية أوسع من نظيرتها الطبقة العليا، ويضاف إلى ذلك أن البعض من رجال الدين كانوا أكثر إجراماً وتحريضاً

(١) محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص.ص ٢١٠، ٢٠٩.

(٢) محمد فوزي، نفسه، ص ٢٢١.

لممارسة جريمتي الزنا والدعارة عن رجال الطبقة العليا، حيث كانوا يأجرون الكنائس «كانت عكا حافلة ببيوت الدعارة، ولما كان البغايا يستأجرون البيوت بأعلى أجر من سواهن، سارع ليس العلمانيين فقط بل وأفراد من رجال الدين أيضًا وبعض الرهبان بتأجير مقارهم لمن علنا وبالجمل»^(١)، لممارسة تلك الرذيلة مقابل رشوة مادية، وهناك سبب آخر وهو أن حالات الزنا والدعارة بين رجال الطبقة العليا كانت حالات فردية لم تأخذ شكل الظاهرة الكبيرة، أما رجال الدين فكانت حالات الزنا جماعية ومنتشرة في مختلف الأديرة والكنائس، وبين الرهبان والراهبات مما جعل البابوية في روما ترسل إنذارات متكررة بخصوص ذلك الأمر، وكانت تلك الحالات الإجرامية منتشرة بشكل كبير بين طبقة رجال الدين الصليبيين في القرن الثالث عشر الميلادي مقارنة بالقرن الثاني عشر، نظرًا لما حل بالإمارات الصليبية من ضعف وتفكك، وعدم وجود سلطة فعلية ولا رادع قوي لرجال الدين، مما جعلهم يقدمون بكل جرأة على أفعالهم الإجرامية دون الخوف من عقوبات رادعة لهم.

وبالنسبة لانتشار الزنا في طبقة العامة والمحاربين، فقد انتشرت جريمتي الزنا والدعارة داخل المجتمع الصليبي منذ اللحظات الأولى التي وطأت فيها أقدامهم بلاد الشام، ووضحت معالم تلك الجريمة خاصة عند حصار الصليبيين لمدينة أنطاكية، فإنه أثناء عمليات حصار الصليبيين للمدينة، وجد الصليبيون أنفسهم لا يقدرّون على إسقاط المدينة، وأرجعوا ذلك إلى كثرة إسرافهم في أعمال الزنا والدعارة، ولذلك عقدوا مجلسًا استشاريًا لبحث تلك الأزمة، وأجمعوا رأيهم على طرد جميع النساء المتزوجات وغير المتزوجات خارج المعسكر الصليبي، وذهبت تلك النساء للبحث عن معسكرات أخرى من أجل الإقامة بها^(٢).

(١) Jacques de Vitry, Lettres, p87.

(٢) فوشيه الشارترى، الاستيطان الصليبي، ص ١١١، بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ت. حسين عطية، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص. ص ٢٠٦، ٢٠٥، ميشيل بالار، الحملات الصليبية، ص ٦٦، أمين معلوف، الحروب الصليبية، ص ٤٦، سهير محمد، المرأة الصليبية في بلاد الشام (١٠٩٨-١٢٦٨م)، =

وبعد سقوطها بأيديهم انتشرت بين صفوف الجيوش الصليبية، جريمتا الزنا والدعارة، حتى أن الصليبيين أقدموا بعد إقامتهم المذابح لسكان المدينة، على اقتسام نساء المدينة من المسلمين، وفعلوا بهم الفاحشة تحت تهديد السلاح، ونفس المصير قد لاقته النساء المسيحيات من سكان تلك المدينة، حيث قمن ببيع أنفسهن إلى الصليبيين من أجل الحصول على طعام لهن، ونتج عن ذلك كثرة وجود النساء بمعسكرات الجيوش الصليبية^(١).

وتظهر تلك البدايات للوجود الصليبي ببلاد الشام، عن تخليهم من اللحظة الأولى عن المبادئ الأخلاقية، وأظهروا حقيقتهم الإجرامية التي لم يمحوها اشتراكهم في الجيوش الصليبية، التي كان هدفها الأساسي هو الحج إلى الأراضي المقدسة، فأقدموا على فعل الفواحش دون الخوف من سوء العاقبة، والتي أدركها المؤرخون العقلاء من الصليبيين المعاصرين.

ولقد عبر أحد المؤرخين الصليبيين وهو فوشيه الشارترى Fulcher of Chartres (١٠٥٩-١١٢٧م/٤٥١-٥٢١هـ)، عن أسفه لما كان يحل بالجيوش الصليبية من محن، وأرجع أسباب تلك المحن إلى تقاعس المقاتلين الصليبيين، وانشغالهم بارتكاب الزنا أو الدعارة دون خجل أو حياء، وأوضح أن نتيجة أعمالهم قامت الجيوش السلجوقية بقيادة كربوغا بحصار مدينة أنطاكية، فخارت الروح المعنوية للجيوش الصليبية، وأدركوا أنهم هالكون لا محالة^(٢).

ويرجح أن ما كتبه فوشيه الشارترى، كان أقل بكثير مما كان يحدث بالواقع، وأنه اختصر الكلمات لكي تعبر عن جزء من الرذائل التي كانت ترتكبها الجيوش الصليبية التي أقدمت على فعل كل قبيح، دون رادع لها إلا في حالة الكوراث فقط التي كانت تحل بهم، وفي خلال الحياة العادية لم يكن أحد

=رسالة دكتوراه، كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١٩.

(1) Zoe Oldenbourg, The Crusades, New York, 1967, p137.

حسن عبد الوهاب حسين، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، ط. الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص ١٤.

(٢) فوشيه الشارترى، الاستيطان الصليبي ص ١١١، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ١١٧.

ليعرض على تلك الأفعال.

وعلى الرغم من أن النساء -بمن فيهن من بنات الهوى- شاركت الرجال في الحملات الصليبية، بهدف خدمة الجيوش الصليبية المحاربة في بلاد الشام، إلا أن أغلب الإشارات التي أوردتها المصادر الصليبية المعاصرة لتلك الحملات، عالجت الاغواءات التي قدمتها تلك النسوة إلى المحاربين الصليبيين، وكان الأسف يبدو في كتاباتهم نتيجة للإذعان المحزن من جانب أولئك المحاربين لتلك الفئة من النساء^(١).

وفيما يبدو أن كلاً من الزنا والدعارة انتشرت داخل طبقة العامة والمحاربين انتشار النار في الهشيم، فلقد ساد الانحلال الخلقي بين طبقاته بدرجة كبيرة، ولم يكونوا يستحوا من القيام بممارسات جنسية شاذة فيما بينهم، وخاصة بين الصليبيين حديثي العهد ببلاد الشام، والذين كانوا يقدمون مع الحملات الصليبية المتكررة، ويرجح أن البابوية كانت هي المحرك الأساسي لتلك الفئة الفاسدة، للذهاب إلى بلاد الشام من أجل مساندة إخوانهم من جهة، ومن أجل تطهير أنفسهم من جهة أخرى، وأيضاً بهدف تطهير قارة أوروبا من تلك العناصر الفاسدة والعديمة الفائدة من جهة ثالثة^(٢).

وأغلب الظن أن ما أقدمت عليه البابوية من إرسال تلك العناصر الفاسدة إلى بلاد الشام، إنما كان من الأهداف غير المعلنة للحرب الصليبية، والتي أخفتها البابوية من أجل تطهير أوروبا من تلك العناصر من ناحية، والعمل على نهضة أوروبا من جهة أخرى.

وقد كانت تظهر بين الحين والآخر بدع مختلفة داخل ذلك المجتمع، ومنها ما حدث عام ١١٧١م/٥٦٦هـ، حيث ظهرت جماعة من الصليبيين غير معروفين في بعض المدن الصليبية الشمالية مثل طرابلس وأنطاكية وشككوا في قواعد العقيدة المسيحية، والأكثر من ذلك أنهم أشاعوا الفاحشة علانية بين أتباعهم، حيث أشاعوا النساء فيما بينهم، وبذلك لم يعد للرجل امرأة واحدة،

(١) حسين عطية، طبائع الفرنج، ص. ٢٧، ٢٦.

(٢) نهي فتحي، إمارة طرابلس، ص. ٢٠٧.

ولم تكتف المرأة برجل واحد، بل خالطت أكثر من رجل في وقت واحد، وعندما علمت البابوية بذلك عقدت مجمعا مسكونيا لمواجهة ذلك الأمر الذي تفشى بشكل خطير داخل المدن الصليبية^(١).

ومن المرجح أنه مع اختلاف تكوين المجتمع الصليبي من جنسيات وثقافات مختلفة من شتى أنحاء أوروبا، كان كل فريق قد قدم بما لديه من أفكار متباينة عن الفريق الآخر، ومنهم من كان يهرب من أوروبا بأفكاره التي كانت معارضة للعقيدة المسيحية، وإن كان بها بعض الشذوذ الفكري، مما كانت تدعو له من إباحية ونشر للردائل بدعوى أنها عقيدة جديدة، فكل ذلك جعل البابوية تسارع في القضاء عليها حتى لا تكون وصمة عار في جبين البابوية، وتكشف حقيقة ما كانت تصدرهم البابوية لبلاد الشام من أجل محاربة المسلمين.

وتبرز لنا مشاهدات الرحالة المسلمين للمدن الشامية التي خضعت للسيادة الصليبية، مدى الانحلال الخلقي الذي انتشر في تلك المدن، وعلى رأسهم مدينة عكا، فحينما زارها ابن جبير حوالي عام ١١٨٤م/ ٥٨٠هـ أي قبل معركة حطين، واصفا إياها بأنها مدينة مزدحمة جدًا، ممتلئة بالصليبيين من كافة الجهات، تضيق فيها مواطيء الأقدام، بالإضافة إلى أن عكا زفرة قدرة، مملوءة كلها رجسا وعذرة، لم يكن هذا الوصف إلا نتيجة لانتشار الزنا والدعارة بالمدينة انتشارا عاما^(٢).

ومن الجلي البين أن ابن جبير كان من الرحالة المسلمين المشهورين بالدقة في وصف المدن التي كان يمر بها وصفا دقيقا، وبما أنه كان في رحلة للحج ومر على مدينة عكا، استعفت نفسه وهو رجل تقي عن وصف ما رآه بمدينة عكا من انحلال واضح، كان ظاهرا للعيان ولأي غريب كان يزور المدينة أو كان يعبرها في طريقه لمكان آخر، حتى أجمل كل ما رآه من نجاسات في كلمتين أنها زفرة قدرة، مملوءة كلها رجسا وعذرة، وكفى بها كلمات عبرت عن الواقع.

(١) ميخائيل السرياني، روايات ميخائيل السورى الكبير، ضمن: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل ذكار، الجزء الخامس، دمشق، ١٩٩٥م، ص ٢٣٦.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص. ص ٢٤١، ٢٤٠، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢١٩.

وقد قدم أسامة بن منقذ^(١)، الذي كان على صلة وثيقة بالصلبيين، صورة أكثر واقعية عن هذا المجتمع غير المتجانس في تكوينه^(٢)، فعندما كان بمدينة نابلس استعجب من موقف رجل دخل بيته ووجد امرأته تحونه مع رجل آخر، فما كان منه إلا أن واجه الأمر بكل برود، وقام بتوبيخ هذا الرجل ببعض كلمات بسيطة، وطلب منه ألا يفعل ذلك مرة أخرى وإلا خاصمه^(٣).

وكانت تلك صورة من الحياة اليومية داخل المجتمع الصليبي، وعلى الرغم من ذلك وجد معارضون لذلك التصوير الذي أورده أسامة بن منقذ، معللين ذلك بالمبالغة الشديدة في مهاجمة الصليبيين، وأن صورة المجتمع الصليبي ليست بتلك القتامة، وأنه سوء تقدير من جانب أسامة بن منقذ^(٤).

(١) أسامة بن منقذ: ولد أسامة بن منقذ في سنة ١٠٩٥م/ السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٤٨٨هـ في شيزر حيث كانت أسرته تملك إمارة صغيرة، وفي سنة ١١٣٨م/ ٥٣٢هـ نفاه عمه عز الدين الذي كان يتولى الحكم، والذي رأى في شجاعة أسامة وطموحه خطرًا يهدده، فذهب أسامة إلى دمشق حيث استقبله الأتابك شهاب الدين محمود بن تاج الملك بن بوري إستقبالاً حسناً، وكانت لإسامة علاقات مع الصليبيين، فعقد صداقة مع فرسان المعبد، لأن أسرة بوري كانت ترتبط بمعاهدة صداقة مع مملكة بيت المقدس الصليبية، ثم تم إبعاده عن دمشق بسبب المؤامرات، فذهب إلى مصر. سنة ١١٤٤م/ ٥٣٨هـ، وهناك عاش عيشة هادئة، لا يشغل نفسه إلا بالصيد، ثم أشارك بعد ذلك في قتال الصليبيين بعسقلان، ولما سأم العيش بمصر، رحل إلى دمشق مرة أخرى، حيث ألت إلى ملك نور الدين محمود، وبعد ذلك بفترة دخل في خدمة صلاح الدين الأيوبي بدمشق، وظل بها حتى توفي عام ١١٨٨م/ ٥٨٤هـ، للمزيد من التفاصيل عن حياته انظر:

أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ط. القاهرة، ب.ت، ص. ص ٢٥١-٢٦٤، محمد مؤنس، الجغرافيون والرحالة المسلمون، ص. ص ٢٤٥-٢٦٤، أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر-الحروب الصليبية، ص. ص ١٧١-١٨٨، شوقي ضيف، الرحلات، ص. ص ٥٦-٦٠.

(٢) للمزيد من التفاصيل عن المجتمع الصليبي راجع الفصل الأول.

(٣) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص ١٦٦، جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ط. القاهرة، ١٩٦٣م، ٧٦، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢١٩.

(4) Gibb, Notes on the Arabic Materials for the History of the Early Crusades, Bulletin of the School of Oriental Studies, University of London, Vol. 7, No.4, 1935, p739,

إبراهيم القادري بوتشيش، "مجتمع الصليبيين في بلاد الشام من خلال الإسطوغرافيا الإسلامية المعاصرة للحروب الصليبية"، رؤية الآخر، التعارف والتعايش، مجلة التاريخ العربي، العدد: ١٧، ط. القاهرة، =

غير أن ذلك لا يمنع أن الغيرة الجنسية عند الصليبيين كانت منعقدة تمامًا، وعلى الرغم من أن المصادر العربية ندرت بها الإشارات عن المرأة الصليبية، إلا أن إشارات أسامة بن منقذ بينت جانبًا من الحياة الاجتماعية والعادات غير المألوفة عند المسلمين^(١)، وذلك أن الرجل عندما كان يمشي مع زوجته فيلقاه رجل آخر فينفرد بامرأته بعيدًا عنه ويتحدث معها، والزوج واقف ينتظرها بعيدًا، وإذا ما أطالت الحديث تركها وذهب بمفرده^(٢).

وتبرز لنا تلك المعلومات التي أوردها أسامة بن منقذ، أن المجتمع الصليبي لم تكن لديه غيرة جنسية، وأن وجود تلك العناصر الصليبية أعطاهم الفرصة، وخاصة النساء في القيام بأفعال وتصرفات كما يحلو لهم؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنهم يخدمون الرجال المحاربين، فكل ما يفعلونه سوف يغفره الله لهم، ومن أجل ذلك تفشت أعمال الزنا والدعارة بصورة غير مسبوقة داخل المجتمع الصليبي، وتطورت تلك الجريمة بشكل كبير، حتى أصبحت آفة من آفات ذلك المجتمع الهزيل.

وقد أكدت بعض الدراسات الحديثة، أن حرفة البغاء كانت منتشرة على نطاق واسع بمملكة بيت المقدس الصليبية، قبل فتح صلاح الدين لها، حتى أن كبرى العائلات كانت تدفع ببناتها إلى ممارسة هذه الحرفة البذيئة^(٣)، ولم يقتصر ذلك على مدينة بيت المقدس فقط، بل امتد الوضع إلى بقية الإمارات والمدن الصليبية الأخرى، حتى تساوى من امتهن تلك الحرفة من رجال الدين والعلمانيين على حد سواء، ولذلك ندر وجود امرأة محتشمة في الإمارات الصليبية^(٤)، ويبدو أنهم أقدموا على تلك المهنة لما كانت تدره عليهم من أموال

= ٢٠٠١م، ص ٣٠٥.

(١) محمد مؤنس، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٢٥١

(٢) أسامة بن منقذ، المصدر السابق، ص ١٦٥

(3) Zoe, The Crusades, 519,

محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢١٩، علي السيد، المجتمع الكنسي، ص ١١٩.

(4) Norman Daniel, The Arabs and Mediaeval Europe, London, 1975, p202.

وفي خلال الاستعدادات للحملة الصليبية الثالثة من قبل هنري الثاني ملك إنجلترا، قام بلدوين رئيس أساقفة كانتبري بالدعوة للحملة الصليبية في ويلز، وفي نفس الوقت تضمنت مراسيم جيندنجتون قيودًا صارمة تم القسم على مراعاتها، في محاولة لتحاشي المجون والاستهتار، ولم يسمح للنساء بمصاحبة الحملة الصليبية المعلنة، باستثناء الغسالات ذوات السمعة الطيبة^(١). وعلى الرغم من ذلك لم يستطع قادة الحملة من منع النساء من مرافقة الجنود أثناء سفرهم من مواطنهم إلى الأراضي المقدسة^(٢)، ويرجح أن تلك القرارات التي تم اتخاذها لمنع النساء من مصاحبة الجيوش الصليبية الداهية إلى بلاد الشام، لم تفعل على الإطلاق، بل كانت عبارة عن رد فعل سريع لحالة الغضب التي كانت عليها البابوية نتيجة لما كان سائدًا في مدن بلاد الشام التي خضعت للسيطرة الصليبية، وانتشرت فيها أعمال البغاء بكثرة خارجة عن السيطرة.

والمتبع لأحداث الحملة الصليبية الثالثة، يجد أنه أثناء عمليات حصار القوات الصليبية لمدينة عكا عام ١١٨٩م/٥٨٥هـ، والجيوش الصليبية المحاصرة للمدينة تعاني من تفاقم أخطار المجاعة، وانتشار الأمراض القاتلة فيما بين الجنود^(٣)، فإذا بسفينة كبيرة ترسو على ساحل المدينة، وبها حوالي ثلاثمائة امرأة من بنات الهوى، قدمن من جزر البحر المتوسط المختلفة مثل (قبرص - مرسلية)، وكان هدفهن المعلن إسعاد الأشقياء، وتسهيل أنفسهن للغرباء، بل لقد رأين أنهن يعملن هذا يتقربن من الله كثيرًا، والذي ساعدهم على تأدية تلك المهام الخطأئة، هو استعداد الجنود أنفسهم من الموسرين ماديًا^(٤)، ويرجح أن رجال الدين الصليبيين لم يستطيعوا السيطرة على تلك

(١) زينب عبد المجيد، الإنجليز، ص ١١٠.

(٢) رياض مصطفى شاهين، "هدنة الرملة والظروف المحيطة بها"، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع، العدد الأول، كلية الآداب، ط. غزة، ٢٠٠١م، ص ٣٦٨.

(3) Joseph Francais Michaud, History of The Crusades, New York, 1855, p483.

(٤) العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبح، ط. القاهرة، ١٩٦٥م،

الأمر داخل الجيوش الصليبية، فزادت وانتشرت بصورة كبيرة.

وقد عملت المدن والجزر الأوربية المطلة على البحر المتوسط على مد مدن الساحل الشامي، ومنها باقي مدن الظهير التي وقعت تحت السيطرة الصليبية، بتلك النساء سيئة السمعة، وعلى رأسهن مدينة مرسيليا، فقد صارت تلك المدينة مقصدًا لكل فاسد وفاسدة يريد الرحيل إلى الأراضي المقدسة، بدعوى تطهير أنفسهم من الذنوب والخطايا، وكان ذلك في الظاهر، وممارسة ما ألفوه من أعمال الدعارة سرًا، مما جعل حكومة مدينة مرسيليا تصدر أمرًا إلى قناصلها على متن السفن بمنع نقل المنحرفين والمنحرفات أخلاقيًا، وكذلك إلى المسؤولين عن إدارة الفنادق التابعة لقومون مرسيليا في مدن الساحل الشامي بعدم إيواء أولئك الفاسدين أخلاقيًا، غير أن هذه التعليقات كانت حبرًا على ورق^(١)، حيث يرجح أن الرشوة لعبت دورًا كبيرًا في عدم تطبيق تلك القرارات، وأعمت عيون قناصل المدن الأوربية عن تطبيق تلك القرارات، طالما كانوا يحصلون على تلك الأموال.

وبعد سقوط مدينة عكا بأيدي القوات الصليبية، امتلأت تلك المدينة بالمسرات، وتدفقت الخمور إلى أرجاء المدينة، وانتشرت الحانات والمنازل الخاصة بكافة أحياء المدينة، حيث احتفظت تلك المنازل والحانات بعدد كبير من البنات الشرقيات الراقصات، وأحيانًا كان أولئك الشرقيات من الإماء أو الجوارى، وانتشرت أعمال الدعارة بكافة أنحاء المدينة، وأصبحت تلك المهنة مكلفة للغاية، مما جعل رجال الدين من الصليبيين يؤجرون المنازل ودور العبادة لممارسة تلك الأعمال الشنيعة^(٢)، وفيما يبدو أن بعض نساء المسيحيين

ص ٣٤٧، أبو شامة الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط.

بيروت، ٢٠٠٢م، ج ٢، مجلد ٤، ص ٦٣، أحمد شامي، العلاقات بين الشرق والغرب، ٢٠٧،

Henry Stebbin, The History of Chivalry and The Crusades, Vol. II, London, 1830, p119.

(١) براور، الاستيطان الصليبي، ص ٢٤٠، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢٢١.

(٢) أمبروز، حملة الملك ريتشارد قلب الأسد، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٢، ط. دمشق، ١٩٩٥م، ص ٣٥٤، يوشع براور، عالم الصليبيين، ت. قاسم عبده قاسم و

الشرقيين قد أغرتهن تلك المباهج التي أقامها الصليبيون بالمدينة، لذلك سارعن بالمشاركة في تلك المفاسد، لعلمهن أنهن بعيدين عن يد القانون. ونتيجة لتلك الأفعال، ساد المهرج والمرج بالمدينة، وانتشرت الفوضى بين رجال الجيش، حيث انصرفت الجنود الصليبية إلى ارتياد تلك الحانات لقضاء أوقاتهم فيها، ومجالسة العاهرات، والانكباب على لعب الميسر^(١). ولذلك عندما أراد الملك ريتشارد الخروج من المدينة في يوم الخميس الثاني والعشرين من أغسطس، لم يصاحبه الجنود الفرنسيون وتذمروا عليه، فلم يكونوا يريدون ترك تلك الراحة والدعة طوال الشهر الذي قضوه بالمدينة، حيث اغتمسوا في حياة اللهو والفجور بالنساء دون رادع لهم^(٢)، ويوضح ذلك أن أعمال الدعارة التي مارسها الجنود الصليبيون كانت من أهم أسباب الخروج عن طاعة قوادهم.

وعندما تم استدعاء القوات الصليبية إلى مدينة صور لمواصلة الأعمال الحربية، كانت الجنود الفرنسية التي وصلت إلى المدينة، يفترض أنهم جاءوا للقيام بمهام عسكرية غير أنهم تخلوا عن هذا وسلموا أنفسهم للغانيات وللمتع الجسدية، وشرب الخمر، حتى أنهم كانوا لا يشاهدون إلا وهم في صحبة الراقصات اللاتي يطلعن في ملابسهن الخليعة المثيرة والدالة على حياة الإثم، بل وصل الأمر إلى فقد السيطرة على أولئك الجنود، فقد كانوا يذهبون إلى بيوت العاهرات، فإذا صادف وكن مشغولات، والأبواب مغلقة في وجوههم، كانوا يخلعونها، ويتلفظون بألفاظ بذيئة، حتى ينالوا ما يريدون^(٣)، ويلاحظ أن الجنود الفرنسيين كانوا أشد جرمًا عن بقية الجنود الآخرين، حيث لم يقيموا وزنًا

عبد خليفة حسن، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص ١١٥.

(١) مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج ١، ص ١٦٣.

(٢) مجهول، نفسه، ج ٢، ص ٥٨، رانسيمان، الحملات الصليبية، ج ٣، ص ٩٢.

(٣) مجهول، كتاب حملة الملك ريتشارد إلى أراضى القدس المقدسة، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣١، ط. دمشق، ١٩٩٥م، ص. ص ١٤٩، ١٤٨، مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج ٢، ص ١٥٣.

Wallace Fleming, The History of Tyre, New York, 1915, p110.

لقادتهم ولم يقدموا فروض الطاعة في سبيل تحقيق رغباتهم الجنسية والتخريبية. وتكملة لمسيرة الفساد التي شهدتها الحملة الصليبية الثالثة، فإنه خلال شهر أكتوبر من عام ١١٩١م/ ٥٨٧هـ، قام الملك ريتشارد بتجميع جميع الجيوش تحت سيطرته، وتوجه بهم صوب مدينة يافا من أجل إقامة الاستحكامات بها، وفي خلال تلك الأثناء حدث حالات هروب جماعي من الجيش الصليبي، وذهبوا إلى مدينة عكا من أجل ممارسة الرذيلة، وقدمت إليهم العديد من النساء من مدينة عكا لإشباع رغباتهم، وعندما أرسل لهم الملك جاي لوزيجنان Guy of Lusignan (١١٨٦-١١٩٢م/ ٥٨٢-٥٨٨هـ)، لكي يعودوا أدراجهم إلى المدينة مرة أخرى لم يطيعوا أوامره، مما اضطر الملك ريتشارد إلى الذهاب بنفسه إليهم حيث لم ينجح إلا في إقناع البعض منهم بالعودة معه، وظل باقي الجنود مقيمين بالمدينة^(١)، ولم لا وقد سحب الجنود النساء داخل المعسكر الصليبي، حيث عشن حياة الرفاهية، والتي تعدت في رفايتها، رفاية كبار رجال الملك^(٢)، وتلك كانت الحملة الصليبية الثالثة التي قادها أعظم ملوك أوروبا في تلك الفترة.

وبتتبع أحداث الحملة الصليبية الخامسة التي استولت على مدينة دمياط، نرى ما صورته لنا مؤرخ الحملة أولفر أوف بادربون، حالة الفساد والفسوق التي أصبح عليها الجنود الصليبيون، بعد استيلائهم على المدينة أبلغ تصوير، فقد قال: ما من أحد يمكنه أن يصف فساد جيشنا، بعدما أعطانا الرب مدينة دمياط، فقد بات الناس كسالى، مخنثين، تدنسوا بأعمال المهاجع والسكر والفسق والزنا والسرقة^(٣)، بل وصل الأمر بالصليبيين أن مارسوا الفحشاء مع نساء

(١) مجهول، حملة الملك ريتشارد، ج ٣١، ص ١٢٧، مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج ٢، ص ١٠١، نسيان، الحملات الصليبية، ج ٣، ص ٩٦،

Sidney Painter, The Third Crusade : Richard and Philip Augustus, in setton: The Later Crusades, 1189-1311, Vol.II, London, 1969, p.p 76,77.

إبراهيم سعيد فهمي محمود، يافا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي (١٠٩٩-١٢٩١م/ ٤٩٢-٦٩٠هـ) رسالة ماجستير، ط. الإسكندرية، ١٩٩١م، ١٧٨

(٢) حسين عطية، طبائع الفرنج، ص ٢٨.

(٣) أولفر أوف بادربون، الاستيلاء على دمياط، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب

المسلمين داخل الجوامع، وكانت تلك من أبشع جرائمهم، ويبدو أن حالة الفراغ العسكري التي عاش فيها الصليبيون بعد سقوط مدينة دمياط بأيديهم، قد دفعهم ذلك إلى حياة الفساد والفجور، حتى أنه بمجرد سقوط المدينة، انتشرت المواخير والعاهرات ولعب النرد داخل المعسكر الصليبي، بشكل جعل الكاردينال هنري دي ألبانو يصدر قرارًا بطرد العاهرات ومحترفي النرد^(١)، وبذلك لم يراع الصليبيون أي حرمة دينية، ولم يتورعوا عن مخالفة رجال الدين. وحتى أن بحارة السفن التي أقلت جنود تلك الحملة من جنوا إلى عكا، كانوا يزورون بنات الهوى في قاع السفينة من أجل ممارسة الرذيلة، وقد أثنى جاك دي فيتري على الكاردينال هنري دي ألبانو لقيامه بإغلاق المواخير التي أنشأت في المعسكر الصليبي بالقرب من دمياط، بعد أن قرر إبعاد العاهرات ومن يعاقرون الخمر من الصليبيين، ويرتادون الحانات^(٢)، ويبرز هنا الترابط القوي بين انتشار جريمتي الزنا والدعارة، وبين معاقرة الخمر، فمن كان يشرب الخمر، كان ملازمًا لبنات الهوى، حيث كانت الخمر تجعل الفرد غير مسيطر على نفسه، كما كانت تساعد في تأجيج الشهوة الجنسية.

وقد جاء وصف جاك دي فتري للمجتمع الصليبي غاية في الدقة، فقد وجد مجتمعًا صليبيًا غير مترابط، في طياته الكثير من التناقضات^(٣)، فقد وصف الصليبيين بافتقارهم للروح الصليبية واعتيادهم على حياة الكسل والترف والفساد، ولذلك اعتبرهم جماعة من الخونة الغشاشين الأفاقين، وذلك لتفشي الفجور والدعارة بينهم، وقد فسر جاك دي فتري ما وصل إليه المجتمع الصليبي نتيجة إلى ارتفاع معدل البطالة، وزيادة نسبة العاطلين داخل المجتمع الصليبي، مما أدى بدوره إلى انتشار بيوت الدعارة، حتى وصفهم بالنجاسة لقلة

الصليبية، ج ٣٤، ط. دمشق، ١٩٩٨م، ص ٨٣، حسين عطية، طبائع الفرنج، ص ٢٩.

(١) ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، ط. القاهرة، ١٩٧٢م، ٢٠٣، محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة، دار المعارف، ط. الاسكندرية، ١٩٨٥م، ص.ص ٢٠٧، ٢٨٣، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص.ص ٢٤٧، ٢٤٨.

(٢) حسين عطية، المرجع السابق، ص ٢٩.

(٣) محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة، ص ١٥٦.

الماء^(١) التي كانوا يستخدمونها، ونبه كذلك إلى خطورة انتشار الزنا بصورة فادحة داخل المجتمع الصليبي، ونتج عن ذلك كثرة الخلافات والمشاحنات فيما بينهم^(٢)، وقتل بعضهم بعضًا نتيجة لممارسة الزنا والدعارة، بل كان الكثير من الصليبيين يعيشون مع بعضهم بدون زواج رسمي، فعاشوا في حالة زنا دائم^(٣)، مما كان له أثره المباشر في تفكك الأسرة الصليبية.

ووصل الأمر إلى تدهور الأوضاع الأخلاقية بمملكة عكا الصليبية لدرجة خرجت عن السيطرة، فقد انتشرت بيوت الدعارة بالمدينة، وكانت البغايا يستأجرون البيوت بأعلى أجر من سواهن، ولم يكن يستأجرن البيوت من العلمانيين فقط، بل ومن رجال الدين أيضًا، حتى وصل الأمر إلى تأجير بعض الرهبان لبيوتهم علنًا من أجل ممارسة الدعارة بها^(٤)، وأخذت بعض الأحياء شهرة من خلال ممارسة الرذيلة، ومنها الحي الأحمر بمدينة عكا، الذي كان تدار فيه حرفة الدعارة بشكل منظم ومرتب، حتى اشتهر بتلك المهنة الرذيلة، فقصده الناس من كل مكان^(٥)، حيث انتشرت بذلك الحي الفنادق^(٦)، التي كانت قريبة من الميناء، حيث كانت هذه الفنادق مراكز لتجمع الحجاج،

(١) يرجع من قضية الماء، أن الصليبيين تأثروا بالمسلمين في مسألة النظافة الشخصية، حيث كانوا لا يستحمون بالماء إلا فيما ندر، ومع مرور الوقت، وطول فترة إقامة الصليبيين ببلاد الشام، ومعاشرتهم للمسلمين، أخذوا عنهم مسألة النظافة الشخصية بالماء، فكانوا يذهبون للحمامات من أجل الاستحمام، للمزيد من التفاصيل عن قضية النظافة الشخصية عند الصليبيين، انظر:-

أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص.ص ١٦٦-١٦٧.

(٢) جاك دي فيتري، تاريخ مملكة بيت المقدس، ص ٢٢٠.

(3) Jacques de Vitry, Letters de Jacques de Vitry, Eveque de Saint Jean d'Acre, (Par . R.B.C.Huygens), Leiden, 1960, p86.

(4) Ibid, p87.

(٥) محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢٤٩.

(6) Olivia Remie Constable, " Funduq, Fondaco And Khan , in The Wake Of Christian Commerce And Crusade ", in , The Crusades from the Prospective of Byzantium and the Muslim World , Angeliki E. Laiou And Roy Parviz Mottahdeh, Dumbarton Oaks 2001.

واستخدمت تلك الفنادق كبيوت للدعارة^(١)، وازداد الأمر سوءاً، عندما انتشرت حلقات البغاء في الأسواق، حيث كان محتسب المدينة يجمع الفواجر والغرباء في حلقاته الخاصة، وينادي على الواحدة حيث كان يتم المزايدة عليها، حتى إذا ارتضى لها سعراً، سلمها إلى صاحبها مع ختم المطران، حيث كان يصطحبها بعد ذلك للفندق، فإذا وجد صاحب الفندق، الرجل والمرأة بدون ختم المطران فرض عليه غرامة لذلك^(٢)، وهكذا فإن بريق المال - كان له مفعول السحر - على رجال الدين الصليبيين، حتى تخلو تماماً عن مبادئ وتعاليم المسيحية التي كان من المفترض أن يوعظوا بها داخل المجتمع الصليبي، وتردوا في تلك الخطيئة وسهلوها لطالبي المتعة الحرام، وبذلك أصبحت مهنة البغاء مهنة شبه رسمية داخل المجتمع الصليبي.

ومع مقدم الحملة الصليبية المعروفة بالسادسة، وعلى رأسها الإمبراطور فريديريك الثاني إمبراطور ألمانيا، تم استخدام العاهرات في الشئون السياسية، فلقد ردد البعض أن الملك الكامل من أجل أن يقيم تحالف مع الإمبراطور فريديريك، قام بإرسال بعض العاهرات إليه، من أجل استمالته، والتأثير عليه، حتى يفعل ما يريده الملك الكامل^(٣)، وهذا من وجهة النظر الصليبية تجاه حكام الإسلام، فالمملك الكامل له مواقف مشرفة في تاريخ الإسلام، وعمل مؤرخي الصليبيين على قلب الحقائق، كما في تلك الحادثة، فقد أراد فريديريك التقرب من الملك الكامل، وقد أوضحت تلك الحادثة إلى معرفة القادة المسلمين لنقاط ضعف القادة الصليبيين، وهي النساء.

وبقدوم آخر الحملات الصليبية الكبرى، المعروفة بالحملة الصليبية السابعة، وبالرغم من أن قائد هذه الحملة هو القديس لويس التاسع ملك

(١) يوشع براور، عالم الصليبيين، ص ١١٨.

(٢) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، الجزء الأول، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط. القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٢٥٩، نهي فتحي، إمارة طرابلس، ص ٢٠٦.

(3) Mathew of Paris, English History from the year 1235 to 1273, Trans, From The Latin By, J.A.Giles, London, 1853, vol.2,p4.

فرنسا، غير أنه على الرغم من تلك القداسة التي كانت تلازمه، لم يكن في مقدوره منع العاهرات من مرافقة جيوشه على متن السفن التي نزلت بمدينة دمياط المصرية، حيث كان الانحلال الخلقي وانتشار الزنا والدعارة بمعسكرات الجيش الصليبي بمدينة دمياط، كان من أهم عوامل فشل تلك الحملة، فقد أدى ذلك إلى ضعف الروح المعنوية للجنود، وانصرفهم إلى اللهو والفجور، وانهاك قواهم البدنية في غير محلها، نجد على الطرف الآخر المسلمين منهمكين في تجميع قواتهم وتنظيم صفوفهم لمواجهة الصليبيين^(١)، حتى أن جوانفيل مؤرخ الحملة، ومرافق القديس لويس، أظهر نقمه على ما كان يراه من تلك الأعمال المنحرفة من قبل جنود الحملة، حتى أنه كان يخشى على نفسه من اتهامه بالزنا؛ لأن مواخيرها كانت بالقرب من مخيم الملك لويس التاسع نفسه^(٢)، وبذلك يكون لجريمتي الزنا والدعارة العامل الأكبر في فشل آخر الحملات الصليبية الكبرى على الشرق الإسلامي بصفة عامة، وبلاد الشام بصفة خاصة.

ومما تقدم يتضح لنا انتشار جريمة الزنا على نطاق واسع بين مختلف طبقات المجتمع الصليبي ببلاد الشام على مدى القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين، السادس والسابع الهجريين، بلا استثناء، وبالرغم من ادعاء الصليبيين أنهم قد جاءوا إلى بلاد الشام لإنقاذ قبر المسيح، إلا أن تعاليم المسيح لم تقف حائلاً بينهم وبين جريمة الزنا، مما كان له أكبر الأثر على تدهور الروابط الأسرية داخل المجتمع الصليبي وإصابته بالوهن، وهو ما كان له دور كبير في تسهيل مهمة المسلمين في استرداد ما اغتصبه الصليبيون.

(١) سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص. ٣١٧، ٣١٦، حسين عطية، طابع الفرنج، ص ٣٠.

(٢) جوفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٦٨م، ص ٩٩، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢٢١.

الفصل الرابع

جريمة الرشوة

* تعريف جريمة الرشوة ودوافعها.

* الرشوة داخل الطبقة العليا.

* الرشوة في المؤسسة الكنسية.

يتناول هذا الفصل بالدراسة والتحليل، جريمة الرشوة وانتشارها داخل المجتمع الصليبي خلال القرنين ١٢-١٣م/٦-٧هـ، فقد كان لهذا المجتمع غير المتجانس العديد من السلبات التي تجمعت مع بداية تكوينه واستمرت تنخر في أوصاله، حتى كانت نهايته المتوقعة وهي الانهيار والطرده من بلاد الشام، فحمل هذا المجتمع العديد من المتناقضات الصريحة، فعلى الرغم من أنه كان في ظاهره يدعو للتوبة من الذنوب، وتخليص الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين، إلا أنه من داخله كان على النقيض من ذلك تمامًا^(١). فلقد انتشرت الجريمة بأنواعها المختلفة داخل جنبات هذا المجتمع، وأصبح الوضع الأخلاقي متدهورًا تمامًا، حتى بدأت الكتابات النقدية توجه للحركة الصليبية نفسها، وأصبح التساؤل عن مدى جدوى الذهاب للحج للأراضي المقدسة ملحقًا.

ومن أخطر الجرائم التي سادت داخل المجتمع الصليبي، جريمة الرشوة التي جلبت عليه العديد من المحن والهزائم.

وفيما يخص بتعريف الرشوة ودوافعها، فالرشوة كما عرفها القانون الكنسي:- هي الإرادة الحرة بشراء أشياء مقدسة كالحصول على الأسرار أو على منصب كنسي مقابل مبلغ من المال أو ما يعادله أو لقاء خدمة معينة^(٢)، فهي أفعال الوظيفة أو الخدمة، وهي تقتضي وجود شخصين أو أكثر يطلب أو يقبل جعلًا مقابل قيامه بعمل أو امتناعه عن عمل من أعمال وظيفته، ويسمى في تلك الحالة الذي أخذ المال مرتشيًا، ويسمى راشيًا إذا قبل أداء ما يطلبه المرتشي أو تقدم بعبء فقبله المرتشي، وعلى ذلك تكون الرشوة فعل يقوم به شخص أو مجموعة أشخاص ذوو صفة عامة عندما يتاجروا بوظائفهم، أو بمعنى آخر يستغل السلطات المخولة له بمقتضى هذه الوظيفة، وذلك حين يطلب لنفسه أو لغيره أو يقبل أو يأخذ وعدًا أو عطية لأداء عمل من أعمال وظيفته أو الامتناع عن ذلك العمل أو للإخلال بواجباته^(٣).

(1) Carleton & James, The Middle Ages, 395-1500, New York, 1928, p319.

(٢) مجموعة مؤلفين، شروحات مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، تقديم: مار إغناطيوس موسى الأول داود، منشورات المكتبة البولسية، ط. بيروت، ٢٠٠٥م، ص ١٦٠٠.

(٣) مصطفى مجدى هرجة، أحكام الرشوة في ضوء الفقه والقضاء، الإسكندرية، ١٩٩٠، ص ٣.

وقد عرفت باسم البذل والبرطلة - وذلك في العصر المملوكى المتأخر-، فعلى الرغم من أن لفظ بذل يعني لغوياً العطاء والكرم، إلا أن المقصود به في هذه المصادر هو الرشوة، وذلك على العكس تمامًا من اللفظ الثاني والذي يعني صراحة الرشوة^(١)، إذن فالرشوة جريمة منكرة عقلاً ووضْعاً، فعقلاً تشكل عملاً قبيحاً، فكل مقوماتها وعناصر وجودها تلحقها مخبئة ومفسدة آثمة فتوجب تجريمها، فالاسترشاء وهو طلب الرشوة، والارشاء هو إعطاؤها، والارتشاء هو أخذها، وكلها أمثال قبيحة ينكرها العقل؛ لأنها فساد لأجهزة الدولة، وإخلال بواجبات الوظيفة، وإفساد للروابط الإنسانية^(٢)، وبذلك تكون جريمة الرشوة، فعلاً منافياً للطبيعة البشرية، لأنها تحيد عن الحق، وتساعد في ظهور الجرائم الأخرى بجميع أشكالها، كما سيتضح من سياق الفصل.

وقد اشتهر داخل المجتمع المسيحي الأوربي مصطلح السيمونية، الذي كان يعنى شراء المناصب الدينية عن طريق الرشاوى، وترجع تلك التسمية نسبة إلى سيمون الساحر اليهودي الذي أراد شراء هبة القدرة على الإتيان بالمعجزات والخوارق من القديس بطرس، فكان رد القديس بطرس عليه «لتكن فضتك معك للهلاك، لأنك ظننت أن تقتني موهبة الله بدراهم»^(٣)، ومن هنا جاء مصطلح السيمونية.

وقد تعددت عوامل ظهور الرشوة في المجتمع الصليبي، فمنها العامل الاقتصادي والذي تمثل في ارتفاع نسبة البطالة أو عدم كفاية الدخل^(٤)، فقد انتشرت أعداد العاطلين عن العمل داخل المجتمع الصليبي، سواء كانوا من الصليبيين المحليين أم من

(١) أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص ١١.

(٢) حسين عبد الحميد أحمد، الجريمة، دراسة مقارنة في علم الاجتماع الجنائي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٥م، ص. ٣٨، ٣٩.

(٣) سفر أعمال الرسل، الإصحاح الثامن، ص ١٨-٢٠، نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، ج ١، ط. بيروت، ١٩٦٧م، ص ٥٠٢، حسن عبد الوهاب حسين، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، ط. الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص ٩٦.

(٤) عمر السعيد رمضان، دروس في علم الإجرام، دار النهضة العربية، ط. بيروت، ١٩٧٢م، ص ١٠٩.

الوافدين الجدد الذين لم تكن لهم أية حرفة خاصة بعد حروب صلاح الدين التي قلصت رقعة البلاد الخاضعة للصليبيين^(١). ويضاف إلى ذلك حلم الثراء الذي راود الكثير من الصليبيين سواء كانوا من الفرسان الذين حملوا معهم أخلاق الفروسية، أم من الفقراء الذين سعوا لتحقيق الثراء السريع بسبب أطعاهم الدنيوية، لذلك سعوا إلى تحقيق تلك الأطماع بشتى السبل والوسائل^(٢)، ومن ثم حاولت تلك العناصر إيجاد عمل لها بشتى الطرق، حتى لو كانت تلك الطرق غير مشروعة، ومنها الرشوة في سبيل الارتقاء بمكانتهم الاجتماعية.

وكان للعامل الاجتماعي دور مهم في انتشار الرشوة بين طبقات المجتمع الصليبي المختلفة، ويرجع ذلك إلى كون بعض أفراد الأسرة مجرمين أو مدمنين للخمر، ويضاف إلى ذلك عدم التجانس العائلي بين أفراد الأسرة الواحدة^(٣)، ولذلك اشتملت طبقات المجتمع الصليبي على ما يعرف باسم أشرار الغرب، وهم من أصحاب الجرائم وقطاع الطرق والصوص، فقد قدموا إلى بلاد الشام متظاهرين بالحج والتوبة، غير أنهم سرعان ما عادوا إلى ما كانوا عليه، بالإضافة إلى الوافدين وتقلب أعدادهم بين الزيادة والنقصان، مما أدى إلى ازدحام المدن الصليبية، كل ذلك ساعد على انتشار الرشوة فيما بينهم^(٤)، ونتج عن ذلك التزاحم تعدد الرغبات الإجرامية، مع تعدد القوانين المعطلة^(٥)، أدى إلى انتشار تلك الجريمة.

وبالنسبة لانتشار الرشوة داخل الطبقة العليا، فقد عانى المجتمع الصليبي من تفشي ظاهرة الرشوة، وهو أمر أشارت إليه المصادر التاريخية التي عاصرت تلك الفترة، على نحو عكس وجود تلك الجريمة التي كان لها تأثير كبير في هدم المؤسسة

(١) جاك دفيتري، تاريخ مملكة بيت المقدس، ص ٢٥١، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢١٧.

(٢) حسن عبد الوهاب حسين، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي، ص ٩٣.

(٣) عمر السعيد، دروس في علم الإجرام، ص ١٠٨.

(4) Michaud (J.F), History of The Crusades, New York, 1855, vol. II, p71.

عبدالله عبد الرحمن الربيعي، أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام، ط. الرياض، ١٩٩٤م، ص ٢٧، علي السيد، المجتمع المسيحي، ص ١٧.

(٥) لمزيد من التفاصيل، انظر الفصل الخامس المتعلق بالقوانين.

الصليبية من الداخل، وعلى الرغم من ذلك لم تمثل الرشوة حالات فردية محدودة الفعالية والتأثير، بل كانت ظاهرة اجتماعية خطيرة لا يستهان بها^(١).

وقد كانت بداية جريمة الرشوة مع تحرك جيوش الحملة الشعبية الصليبية تحت قيادة بطرس الناسك، فعندما تحركت تلك الجيوش نحو بلاد الشام، ارتكبت الكثير من المذابح ضد يهود أوروبا، وعندما وصلت تلك الجيوش إلى مدينة تريير Trier^(٢)، قام يهود المدينة برشوة بطرس الناسك حتى ينجوا بأنفسهم من المذابح التي تعرض لها إخوانهم اليهود في مختلف المدن الأوروبية مع تحرك الحملات الشعبية^(٣)، وبذلك كانت لدى الجموع الصليبية الرغبة في تقبل الرشوة قبل تكوين الكيان الصليبي ببلاد الشام.

وقد كان لأفراد الطبقة العليا داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، والتي ضمت كل من الملوك وحكام المدن الصليبية والنبلاء، دور بارز في انتشار جريمة الرشوة، وكانت بدايات تلك الجريمة، عندما وصلت حملة الأمراء إلى مدينة القسطنطينية Constantinople عام ١٠٩٦م/٤٨٩هـ، وبعد أن استقبلهم الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين Alexius I Comnenus (١٠٨١-١١١٨/٤٧٣-٥١١هـ)م، وحاول استغلال تلك الحشود التي تجمعت بعاصمته من أجل إعادة السيطرة البيزنطية على المدن الشامية، مستخدماً في ذلك الرشاوى، لاستمالة قادة الحملة الصليبية، ولذلك قابل الإمبراطور كل أمير على حدة، واستطاع استمالة بعض الأمراء منهم، فتأكدت له طاعة كل من جودفري وهيو Hugh I Count of Vermandois (١٠٥٣-١١٠١م/٤٤٥-٤٩٥هـ)^(٤)، كما استمال لجانبه أيضًا بوهيمند، كل ذلك من

(١) محمد مؤنس، الحروب الصليبية، ص ١٣٤.

(٢) تريير Trier: - تعد تلك المدينة من أقدم المدن الألمانية، تقع جنوب غرب ألمانيا ضمن مقاطعة راينلاند - بفالز التي عاصمتها مدينة ماينتز، فقد أسسها القيصر أوغسطس Augustus ، وذلك عام ١٦ ق.م، وكانت تريير حتى القرن الخامس الميلادي عاصمة الإمبراطورية الرومانية الغربية، وبعد انسحاب القوات الرومانية منها، أصبحت المدينة أحد أهم المراكز الدينية والدنيوية، وكان أساقفة المدينة في نفس الوقت أمراء مخولون من قبل القيصر، وكان صوته في المجالس النيابية مهماً عند اتخاذ القرارات السياسية، للمزيد من التفاصيل، انظر: -

<http://www.study-in-germany.de/arabic/4.545.3.4202.html>.

(3) Alan Murray, The Crusades, An Encyclopedia, Vol. I, California, 2006, p680.

(٤) هيو: - هو الابن الأصغر لهنري الأول ملك فرنسا، والأخ الأصغر لفيليب الأول ملك فرنسا، وقد عين أمير =

أجل رد الممتلكات البيزنطية في آسيا الصغرى وبلاد الشام، وعلى رأسها مدينة أنطاكية، غير أن الأمير تنكريد رفض رشوة الإمبراطور البيزنطي والانصياع لرغباته^(١)، وبذلك يكون الإمبراطور البيزنطي قد قرأ رغبات الأمراء الحقيقية، وهي السعي وراء الثروة والنفوذ، أكثر من رغبتهم الدينية المعلنة.

وعندما واصلت الحملة الصليبية الأولى تقدمها صوب بلاد الشام، وحاصرت قواتهم مدينة أنطاكية، ظهرت شجاعة حاكمها ياغي سيان في الدفاع عنها، فقد لاقى الجيش الصليبي المصاعب الكثيرة في ذلك الحصار، من نقص المؤن وتفشي الأمراض فيما بينهم، وظهور الأطماع الشخصية للقادة، وضعف الروح المعنوية للجنود^(٢)، وعندما طال أمد الحصار، وبدأت المؤن في النفاد، راسل بوهيمند أحد حراس أبراج المدينة، وكان من الأرمن يدعى فيروز أو زراد، وأقام معه صداقة، فكان فيروز يأتيه بأخبار المدينة من الداخل، فأغراه بوهيمند بالأموال والمكانة الرفيعة في مقابل تسهيل دخول الصليبيين لمدينة أنطاكية، وقد قبل فيروز هذا العرض لأنه كان يكن الحقد

=على فيرماندوس، وفي بدايات عام ١٠٩٦م/٤٨٩هـ تشاور كل من فيليب الأول وهو بشأن الحملة الصليبية الأولى بعد وصول أخبار خطاب البابا أوربان الثاني في كليرمونت إلى مدينة باريس، ولم يتمكن الملك فيليب من المشاركة في تلك الحملة، ولذلك قام بتجهيز هيو للمشاركة في تلك الحملة، وفي صيف عام ١٠٩٦م/٤٨٩هـ توجه هيو على رأس جيشه إلى إيطاليا ومنها عبر أوروبا حتى وصل إلى القسطنطينية، واجتمع بالإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الأول كومنين، ثم شارك هيو في اجتياز المقاطعات السلجوقية بآسيا الصغرى، حتى سقط أنطاكية بأيدي الصليبيين عام ١٠٩٨م/٤٩١هـ وبعد ذلك عاد هيو إلى القسطنطينية لطلب الإمدادات من الإمبراطور البيزنطي، غير أن ألكسيوس لم يعره انتباهًا، فعاد مرة أخرى إلى فرنسا، غير أن البابا باسكال الثاني قام بتهديده بالحرمان، فعاد مرة أخرى مشاركًا في =الحملة الصليبية عام ١١٠١م/٤٩٥هـ غير أنه أصيب في معركة مع السلاجقة في سبتمبر من العام نفسه، وتوفي في أكتوبر من العام نفسه بمدينة طرسوس متأثرًا بجراحه، انظر:-

http://en.wikipedia.org/wiki/Hugh_of_Vernandois.

(1) Ralph of Caen, The Gesta Tancredi of Ralph of Caen, Transl. Bernard Bachrach & David Bachrach, Hampshire, 2005, p32, Lilie (R.J), Byzantium and The Crusader States 1096-1204, Berlin, 1988, p9, Oman, The Byzantine Empire, London, 1892, 1908, p264, Dana, The Middle Ages, pp246, 247.

(٢) علي عبد السميع الجززوري، الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٢٥٦.

لسيده ياغي سيان، الذي فرض عليه غرامة مالية بسبب اختزانه للقمح^(١)، فأراد فيروز الانتقام من سيده فقبل رشوة بوهيمند وفتح أبواب البرج للصليبيين وتملك الصليبيون المدينة^(٢)، وبذلك يتضح أن لتلك الحادثة دورًا بارزًا في تاريخ الصليبيين بالمنطقة، ونستخلص منها عدة أمور، من ناحية لم تكن الحملة الصليبية قادرة على اقتحام مدينة أنطاكية، بسبب تفشي الأمراض والأوبئة بين صفوف الجيش، ومن ناحية أخرى استغلال بوهيمند لعنصر من غير المسلمين لكي يستطيع إسقاط المدينة لحسابه الشخصي، كل ذلك ينم عن مدى براعته في استغلال كافة الظروف لصالحه حتى يحسم أمر المدينة لكي تكون من نصيبه ولا ينازعه فيها أحد، مما يبرز دور الأطماع الشخصية الذي تعارض مع المصلحة العامة للصليبيين.

وأصبحت الرشوة من السمات المميزة للمجتمع الصليبي في طور تكوينه، فأصبحت الرشوة هي الطريق الوحيد للوصول إلى الوظائف المهمة في الدولة، بعد أن أصبحت الجدارة والكفاءة لا وجود لهما أمام طوفان الأموال المبذولة، الأمر الذي أدى في النهاية إلى انهيار ذلك المجتمع المتسرع، خاصة بعد أن امتدت الرشوة إلى كافة مجالات الوظائف الإدارية التي كانت بمثابة العمود الفقري لهذا المجتمع^(٣). وبعد استيلاء الصليبيين على مدينة أنطاكية، واصلت القوات الصليبية التقدم

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط. بيروت، ٢٠٠٣م، ج ٩، ص ١٤، ابن العديم، زبدة الخلب من تاريخ حلب، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط. بيروت ١٩٩٦م، ص ٢٣٩، بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ت. حسين عطية، الأسكندرية، ١٩٩٨م، ص ١٨١، مجهول، أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص ٦٦، ريمونداجيل، تاريخ الرحلة، ص ١٠٨، ولیم الصوري، الحروب الصليبية، ج ١، ص. ص ٣٣٥-٣٣٨،

Robert the monks history of the first crusade, p143, Dana, The Middle Ages, p248, Ralph Bailey Yewdale, Bohemond I Prince of Antioch, Princeton, 1917, p59, Cynthia, RichardI, p89.

محمد الرويض، محمد سالم الطراونة، " دور الأرمن في تأسيس إمارة الرها وأنطاكية الصليبيتين (٤٩٠-٤٩١هـ / ١٠٩٧-١٠٩٨م) "، حوليات آداب عين شمس، المجلد: ٣٠، يوليه - سبتمبر ٢٠٠٢م، ص ٢٠٠.

(٢) محمد الرويض، نفسه، ص ٢٠٠.

(٣) أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ٤٣.

جنوباً نحو بيت المقدس، وقد نشأت في أثناء ذلك منازعات بين القادة الصليبيين فيمن يكون قائد الحملة الصليبية نحو بيت المقدس^(١)، لذلك سارع الأمير ريموند سان جيل بعقد مؤتمر في منطقة الروج The Rog في الرابع من يناير ١٠٩٩م/ ١٠ صفر ٤٩٢هـ، ضم قادة الحملة وبقية النبلاء الآخرين، من أجل حثهم على اختياره كقائد عام لهم، مستخدمًا في ذلك الرشاوى المالية من أجل استمالتهم، مستغلًا في ذلك حاجتهم الشديدة للمال، فأعطى لجودفري مبلغ عشرة آلاف صولدي Solidi، بصفته أمير له شأن وكلمة مسموعة، وأعطى ستة آلاف صولدي إلى روبرت الفلاندرى، وخمسة آلاف إلى تنكريد بالإضافة إلى جوادين، أما بقية القادة الآخرين فأعطاهم مبالغ مناسبة، وكانت خطة ريموند هي استمالة هؤلاء القادة لطاعته، وقد قبل تلك الأموال كل من روبرت النورماندى وتنكريد واعترفوا له بالتبعية، غير أن القادة الآخرين رفضوا ذلك الأمر تمامًا^(٢)، وبذلك ظهرت نوايا القادة الصليبيين الحقيقية، وهي حب السيطرة والتملك، وتحقيق الأهداف الشخصية مستغلين في ذلك الرشوة، وقد تناسوا الأهداف المعلنة من حركة حجههم المزعومة والتي تتناقض مبادئها مع تلك الأطماع.

ولم يلبث جودفري طويلًا في حكم مملكة بيت المقدس، تحت لقب حامي القبر المقدس، فسرعان ما توفي في ٨ يوليو ١١٠٠م/ ٢٩ شعبان ٤٩٣هـ، فأبدى ريموند رغبته الملحة في أن يخلفه في الحكم، وكان يساند ريموند في رغباته هذه الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس، غير أن الأمور لم تسر كما أرادوا، إذ سارع بلدوين أمير الرها، شقيق جودفري الراحل، إلى مدينة بيت المقدس، وتمكن عن طريق الرشوة من أن يضع

(١) راييمونداجيل، تاريخ الفرنجة، ص ٢٢١،

John France, The Crusades, p84.

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ١٨٢.

(٢) راييمونداجيل، المصدر السابق، ص ١٩٠،

Steven Runciman, The First Crusade: Antioch to Ascalon, in Setton, Vol.I, London, 1969, p326, Zoe, The Crusades, p148,

سعيد عاشور، المرجع السابق، ج ١، ص ١٨٩، جوناثان رايلي سميث، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ١٩٩٩م، ص. ص ١٣٧، ١٣٨.

تاج مملكة بيت المقدس على رأسه في ٢٥ ديسمبر ١١٠٠م / ٢٢ صفر ٤٩٤هـ^(١). ودلالة تلك الواقعة أن بلدوين أراد أن يحظى بمنصب أرفع مما كان عليه، فلقب ملك مملكة بيت المقدس الصليبية، يجعل كافة الأمراء مدينين له بالولاء والطاعة، بدلاً من أن يكونوا أنداداً له، ومن ناحية أخرى، يكون بلدوين قد قضى على أحلام ومطامع كل من رايموند وألكسيوس كومنين في الفوز بعرش المملكة، ويكون الصليبيون بمنأى عن السيطرة البيزنطية التي سعى وراءها ألكسيوس كومنين بكل ما أوتي من قوة، غير أن الرشوة كان لها مفعول السحر في تغيير مسار الأحداث.

وعندما توفي بوهيمند أمير أنطاكية، وذلك في عام ١١١١م / ٥٠٤هـ، قام الإمبراطور ألكسيوس كومنين بالمطالبة بإمارة أنطاكية طبقاً للمعاهدة التي عقدها مع بوهيمند قبل وفاته، وذلك في عام ١١٠٨م / ٥٠١هـ، غير أن تنكريد رفض ذلك بشدة، فبعث ألكسيوس برسول خاص يدعى بوتوميتس Butumites، من أجل تقديم رشاوى مالية لكل من برترام والملك الصليبي بلدوين الأول، لكي يجاربوا تنكريد، فتمهل برترام في الرد على بوتوميتس، بينما رفض بلدوين ذلك العرض تماماً^(٢).

وخلال الصراع الذي كان دائراً بين كل من الملكة مليسندا والملك بلدوين الثالث على عرش المملكة، دأبت الملكة مليسندا Queen Melisende (١١٣١-١١٦١م / ٥٢٥-٥٥٦هـ)، على حجب الملك بلدوين الثالث بعيداً عن الأنظار، فلم تكن لتصدر وثائق مشتركة، وأصبح واضحاً من تصرفات الملكة ومن التحول التدريجي لوضع بلدوين الثالث في الوثائق الملكية، أن العلاقات قد ساءت بينها وبين ابنها، ولذلك سيطرت الملكة مليسندا على مناطق واسعة من المملكة واخضعتها لنفوذها، ولم يكن أمام بلدوين سوى السيطرة على الممتلكات الملكية على الساحل الشامي، وخاصة مدينتي عكا وصور، وفي عام ١١٤٩م / ٥٤٣هـ، حاولت مليسندا أن تجهض محاولات بلدوين تلك، فقامت بجذب هيئة فرسان الإسماعيلية إلى جانبها عن

(١) إسحاق عبيد، روما وبيزنطة، ص ١٢٩.

(2) Harlod S. Fink, The Foundation of the Latin States, 1099-1118, In setton, The first hundred years, vol. I, London, 1969, p.p 400-401.

طريق منحهم رشوة في صورة بعض الهبات في تلك المناطق^(١). وكان لتلك الرشوة تأثير مدمر على المجتمع الصليبي، فقد ساعدت على زيادة سعي نار الحرب الأهلية التي وقعت بين كل من بلدوين الثالث ومليسندا، وأضعفت عوامل تماسك ذلك المجتمع الداخلية بتورط كافة عناصره في هذا الصراع على السلطة.

وكما كان للرشوة دور بارز في فشل الحملة الصليبية الثانية، التي قدمت إلى بلاد الشام نتيجة سقوط إمارة الرها بأيدي عماد الدين زنكي في ٢٣ ديسمبر ١١٤٤م/ ٢٦ جمادى الآخرة ٥٣٩هـ^(٢)، وقادها كل من لويس السابع Louis VII ملك فرنسا، وكونراد الثالث Conrad III إمبراطور ألمانيا، وذلك في عام ١١٤٧م/ ٥٤١هـ^(٣)، فقد بشر بتلك الحملة القديس - على حسب معتقد الصليبيين - برنارد نتيجة لسقوط الرها، حيث ألهم حماسة ملوك أوروبا، من أجل الانتقام لما حل بالرها بخطابات حماسية ولقاءات متعددة^(٤)، وبالفعل تجمعت الجيوش الصليبية بقيادة كل من لويس السابع وكونراد الثالث بمملكة بيت المقدس، حيث اتفق كل من العاهلين مع الملك الصليبي بلدوين الثالث على الزحف نحو مدينة دمشق من أجل احتلالها، على الرغم من الحلف الذي كان معقود بين كل من أمير دمشق معين الدين أنر^(٥)، وبين الصليبيين على ألا

(1) Mayer, " Studies in The History of Queen Melisende of Jerusalem", Dumbarton Oaks Papers, Vol.26, 1972, P93.

عبد الحفيظ محمد علي، مشكلات الوراثة في مملكة بيت المقدس وأثرها على تاريخ الحركة الصليبية (١١٣-١١٨٧م)، دار النهضة العربية، ط. القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٤٧.

(٢) علية الجتوري، إمارة الرها، ص ٣١٠.

(٣) حولية متى الرهاوي، ضمن: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل ذكار، الجزء الخامس، دمشق، ١٩٩٥م، ص ٨٠.

David Nicolle, The Second Crusade, Disaster outside Damascus, Oxford, 2009, p15.

(4) Bernard of Clairvaux, Lectures on S. Bernard of Clairvaux, Trans by. Sparrow Simpson, London, 1895, p.p 161- 187, John Sommerfeldt, The Bernardine Reform and The Crusading Spirit, The Catholic Historical Review, Vol.86, No.4, (Oct.2000).

(٥) معين الدين أنر:- كان مدبراً لدول أولاد أستاذه طغتكين بدمشق، فقد كان عاقلاً، خيراً، حسن السيرة والديانة موصوفاً بالرأي والشجاعة، محباً للعلماء والمصلحاء، كثير الصدقة والبر، وتوفي عام ١١٤٩م/ ٥٤٤هـ :- =

يهاجموا دمشق نظير جزية سنوية يدفعها لهم^(١).

وبالفعل توجهت الجيوش الصليبية صوب مدينة دمشق، غير أن معين الدين أنر لم يحفل بها في بادئ الأمر، نظرًا لما رآه من تكبد الحملة لخسائر هائلة في منطقة آسيا الصغرى^(٢)، لكنه فوجيء بالصليبيين يعسكرون أمام باب الجابية غربي المدينة، وكانت منطقة بساتين ومياه، فكمن المسلمون للصليبيين بين الأشجار^(٣)، وزادت القوات الصليبية من تشديد الحصار على المدينة، وبدا من الشواهد أن دمشق سوف تقع بأيديهم لا محالة^(٤)، لم يدع أنر الوقت يمضي هباء، فقد قام بمناورة شديدة الذكاء، حيث عمل على بث الشقاق بين قادة الجيوش الصليبية من ناحية^(٥)، ومن ناحية أخرى استغل سلاح الرشوة، فقد نجح في الإيقاع بين قادة الصليبيين بتلك الرشاوى الهائلة، فقد توصل لاتفاق سري مع بعض عناصر الصليبيين المحليين^(٦)، وبعض قادة فرسان

=الصفدي، الوافي بالوفيات، ط. شتوتجارت، ١٩٩١م، ج ٧، ص ١٣٠٥.

(١) حسن عبد الوهاب حسين، " الرشوة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام منذ الحملة الصليبية وحتى سقوط بيت المقدس (١٠٩٥-١١٨٧م/٤٨٨-٥٨٣هـ)، ضمن مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، ط. الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص ١١٦، مصطفى وهبة، موجز تاريخ الحروب الصليبية، مكتبة الإيمان، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٣٢.

(٢) روجر أوف ويندوفر، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٩، ط. دمشق، ٢٠٠٠م، ص ١٦٦، حجازي عبد المنعم، السياسة الخارجية، ص ٥٩، مصطفى الحناوي، عصر الحروب الصليبية، ص ١٥٦.

(٣) روجر أوف ويندوفر، المصدر السابق، ص. ص ١٦٦-١٦٧، شاكر مصطفى، صلاح الدين، ص ٣٠.

(٤) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج ٣، ص ٣١٤.

(٥) متى الرهاوي، الموسوعة الشامية، ج ٥، ص ٨٠.

(٦) ميخائيل السرياني، الموسوعة الشامية، ج ٥، ص ١٨١، متى الرهاوي، المصدر السابق، ص ٨١،

Virginia G. Berry, The Second Crusade, In setton, The first hundred years, vol. I, London, 1969, p509, Stevenson W.B, The Crusaders in The East, Cambridge, 1907, p161, Stanley Lane Poole, Saladin and The Fall of The Kingdom of Jerusalem, London, 1898, p70, Jean Richard, The Eastern Chruchs, In:- The New Cambridge Medieval History, Vol. IV, C. 1024-C.1198, Part. I, Edited By:- David Luscombe =And Jonathan Riley Smith, Cambridge, 2004, p566,

الداوية والإستبارية^(١). وسرعان ما دب النزاع بين قادة الحملة، وقاموا بتغيير مكان الحصار، وأتجهوا صوب الجانب الآخر من المدينة، وتذرعوا بأن سبب تغيير وجهتهم هو أن الجانب الآخر خال من الأحرار التي تحميهم، وحتى يتمكنوا من إتمام عملية حصار المدينة، وبعد انتقاهم تعذر عملياً إتمام الحصار، فتم رفع الحصار وانسحبت الجيوش الصليبية من أمام المدينة، وفشلت بذلك الحملة الصليبية الثانية^(٢). ومما سبق يتضح أن المسلمين استطاعوا فهم طبيعة الصليبيين، واستغلوا الحزازات التي بين قادة الحملة الصليبية الثانية، بل وعرفوا نقاط ضعفهم والتي منها تقبلهم للرشوة، وبسببها فشلت الحملة الصليبية التي لو نجحت، لتغيرت مجرى الأحداث السياسية بالمنطقة بأكملها. ومن ناحية أخرى لم يأخذ القادة الصليبيين حذرهم بدرجة كافية من المسلمين، فلم يخفوا المشاكل التي كانت بينهم، واستخفوا بعملية حصار دمشق والتي إذا تمت بنجاح، لتغير مستقبل الصليبيين بالمنطقة، ومن ناحية ثالثة اتضح جشع الفرسان الرهبان سواء الإستبارية أو الداوية، والتي من المفترض أنها حامية للصليبيين، غير أن سعيهم الدائم لاقتناء الأموال، كان من الأسباب الرئيسية في فشل الحصار.

ونتيجة لما حدث للحملة الصليبية الثانية من إخفاق، بدأت التساؤلات بين الصليبيين أنفسهم ببلاد الشام، وإخوانهم في الغرب الأوربي، يستفسرون كيف أن حملة من أجل نصرة الدين المسيحي تصل إلى تلك الكارثة، بل والأكثر من ذلك هو مدى

=أمين معلوف، الحروب الصليبية، ص ١٩١.

(1) Sean Martin, The Knight Templar, Wales, 2004, p134, Peter W. Edbury, Looking back on the Second Crusade: Some Late Twelfth- Century English Perspectives, From: The Second Crusade and The Cistercians, Edited By: Michael Gervers, New York, 1992, www.deremilitari.org.

على السيد، المجتمع المسيحي، ص ١١٤.

(٢) متى الرهاوي، الموسوعة الشامية، ص ٨٠-٨١،

Gordon. H, "The Reigning Prices of Galilee", in The English Historical Review, Vol. 27, No. 107, Julie, 1912, p452.

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص. ص ٥٠١-٥٠٢.

جدوى المشروع الصليبي ذاته. وكلما زاد إخفاق الصليبيين ببلاد الشام، زادت أصوات المعارضة في الظهور، من ناحية تتساءل عن قيمة الحملات الصليبية ببلاد الشام، ومن ناحية أخرى تنادى بإيجاد بديل لها من خلال التوبة في أوروبا نفسها. وكان ذلك نتيجة لكثرة شراء العملاء من الصليبيين ولجوءهم لمصانعة إخوانهم^(١). وبذلك يكون ما حدث بأحداث الحملة الصليبية الثانية بمثابة صدمة للصليبيين ببلاد الشام، فقد انكشفت أطماع القادة الصليبيين أمام شعوبهم، بل تشككت تلك الشعوب في مدى إخلاص ساداتهم للقضية الصليبية، مما أدى لانهيار الروح المعنوية للمجتمع الصليبي.

هذا وقد تمكن الصليبيون في عام ١١٧٨م/٥٧٣هـ، من بناء حصن بيت الأحزان، وذلك لكي تقف في وجه توسعات صلاح الدين الأيوبي ببلاد الشام، وعهد الملك الصليبي بلدوين الرابع إلى فرسان الداوية للدفاع عنه، حتى يكون مقرًا لهم، ومركزًا لقطع الطريق على قوافل المسلمين. وعندما أدرك صلاح الدين خطورة هذا الحصن على القوة الإسلامية، عرض على فرسان الداوية هدم ذلك الحصن، فطلبوا منه أن يعطيهم تكاليف تشييده، فعرض عليهم صلاح الدين رشوة قوامها ستون ألف دينار مقابل هدمه، ثم زاد الرشوة حتى مائة ألف دينار، غير أن الداوية رفضتها أيضًا^(٢). وعلى الرغم من رفض فرسان الداوية لتلك الرشوة من قبل صلاح الدين، إلا أنهم كان لديهم استعداد قوي لقبول رشوته في حالة ما إذا كانت مناسبة لأطماحهم.

ولقد حاول صلاح الدين اغتنام جميع الفرص المتاحة أمامه لعرقلة القوى الصليبية ببلاد الشام، فلقد عمل على شراء العملاء بأنواع الرشاوى المختلفة حتى يأتوه بالمعلومات عن المجتمع الصليبي من الداخل، وبالفعل تمكن صلاح الدين من شراء عشيقة أمير أنطاكية بوهيمند الثالث وتدعى سبيل، فقد غمرها بالرشاوى التي كانت في شكل هدايا مختلفة ومتنوعة، فقابلته سبيل بسيل من المعلومات عن تحركات جيوش

(١) مولر فيز (فولفغانغ)، القلاع أيام الحروب الصليبية، ت. محمد وليد الجلال، مراجعة. سعيد طيان، ط. دمشق، ١٩٨٤م، ص ٢٤، محمد مؤنس، صلاح الدين، ص ٦٠.

(2) King, The Knight Hospitallers, p 109, Carol, The Crusades, p472,

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ٢، ص ٥٩٧.

بوهيمند وفضح أسرار إمارته^(١)، ويبدو أن بريق الهال كان له سحر خاص على عقول الصليبيين، حتى أنهم كان يضحون بمبادئهم حتى لو تعارضت مع مصالح المجتمع الصليبي، كما في حالة سبيل التي كان دورها مفيداً للمسلمين في صراعهم مع الصليبيين.

وفي إطار الصراع على عرش مملكة بيت المقدس الصليبية، احتدم الصراع بين كل من الملك الصليبي بلدوين الرابع المجذوم (١١٧٤-١١٨٥ م/٥٦٩-٥٨٠هـ)، وبين أخته سييلا زوجة جاي لوزيجنان، من أجل الفوز بمنصب ملك مملكة بيت المقدس، فقد كان بلدوين الرابع عند توليه عرش المملكة صغير السن ولا يملك من أمره شيئاً، فتم استدعاء رايموند الثالث أمير طرابلس لكي يكون وصياً على الملك الصغير بعد مقتل ميلون دى بلانسي، وتم اختيار جاي لوزيجنان وصياً على بلدوين، غير أن بلدوين سرعان ما توفي، فتم إخفاء وفاته حتى يتسنى لسييلا وزوجها جاي تجميع الأنصار حولهم من الأمراء وكل من فرسان الداوية وهرقل بطريك بيت المقدس، لكي يتم تنصيبه على عرش المملكة^(٢). وبهذا يتضح كيف أن الجبهة الصليبية الداخلية كانت مفككة، ولم يكن بها إجماع على رأي موحد، وإنما كانت الأهداف والمصالح الشخصية وراء تحرك أمراء المملكة، فالكل أراد عرش المملكة أو الاستفادة منه بأكبر قدر، مستخدماً في ذلك كافة الوسائل المتاحة، المشروعة كانت أو غير المشروعة بما فيها الرشوة.

وفي خضم الصراع بين الأمراء الصليبيين وبين ملوك بيت المقدس، حاولت أميرة أنطاكية أليس عصيان الملك الصليبي فولك والخروج عن طاعته، فقد حشدت الحلفاء مستخدمة للرشوة في استمالتهم لجانبها، وهم جوسلين الثاني أمير الرها، وبونز أمير

(١) شاكر مصطفى، صلاح الدين، ٢٣٣.

(2) Felix Fabri, The Book of the Wanderings of Felix Fabri, 1480-1483, Trans by. Aubrey Stewart, Vol.2, P.P.T.S, London, 1896, p334, Ezra Cheaveland, A Genealogical History of The Noble and Illustrious Family of Courtenay, Oxford, 1735, p.40,41,

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص ٦١٥.

طرابلس، ووليم صاحب حصن صهيون^(١) وزردنا^(٢)، فدبرت مؤامرة سنة ١١٣٢م/٥٢٦هـ، للعودة إلى أنطاكية والقبض على زمام الأمور فيها مرة أخرى، إلا أن النبلاء المناوئين لها أسرعوا في إخبار الملك فولك بالمؤامرة، الذي أسرع بدوره بالخروج لقمع تلك الثورة ضده، وعندما اقترب من طرابلس رفض أميرها بونز السماح له بالعبور، غير أن فولك نفذ من خلال بيروت وواصل رحلته بحرًا حتى ميناء السويدية ومنها إلى أنطاكية، حيث رحب به جانب من نبلائها الذين نصبوه وصيًا على الأميرة الصغيرة كونستاس. ولكن ذلك لم يعجب أليس وأعوانها، فتحول الأمر إلى تمرد عام مسلح في شمال الشام ضد الملك فولك، ودارت معركة بين الملك فولك وبين أليس وحلفائها قرب منطقة الروج في صيف ١١٣٢م/٥٢٦هـ، والتي انتهت بانتصار الملك فولك ومقتل وليم صاحب حصن صهيون^(٣). ويبدو أن تشابك المصالح العائلية بين حكام الإمارات الصليبية وبين ملك بيت المقدس، جعلته ينزلق في صراعات داخلية، ونتج عن ذلك تكوين الكثير من التحالفات ضده، وقد حاول أعداؤه استخدام جميع الحيل لخدمة مصالحهم بما في ذلك الرشوة.

والواقع أن منصب ملك بيت المقدس سعى وراءه الكثيرون، ومنهم المركز كونراد مونتفرت، الذي أدرك أنه لم يعد بعد موت الملكة سييلا وريث للعرش سوى ابنتها إيزابيلا ابنة ماريا، حيث كانت إيزابيلا متزوجة من همفري صاحب

(١) صهيون:- هو حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام، التابع لمدينة حصص، غير أنه بعيد عن البحر، ويقع على مسافة خمسة عشر ميلاً تقريباً شمال شرق مرفأ اللاذقية البحري، وقد شيد في طرف الجبل، وليس له إلا خندق واحد محفور من جهة واحدة، طوله بمقدار ستين ذراعاً، ولهذا الحصن ثلاثة أسوار، اثنان عند المربض، والآخر عند القلعة، وتحف بها السفوح الصخرية شديدة الانحدار حتى وادي النهرين الواقعين تحتها، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٣٦-٤٣٧، مولر فيز، القلاع أيام الحروب الصليبية، ت. محمد وليد الجلال، مراجعة. سعيد طيان، ط. دمشق، ١٩٨٤م، ص٥٠.

(٢) زردنا:- بلدة من نواحي حلب الغربية، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٣٦.

(٣) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص٩٧، سعيد السيد علي فرغلي، آل كورتناي ودورهم في الصراع الإسلامي الصليبي، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٢م، ص١٤١-١٤٣.

Natasha Hodgson, Women, Crusading And the Holy Land in Historical Narrtive, Woodbridge, 2007, p184.

تورون، فألح كونراد على ماريا أن تشجب هذا الزواج وتحمل ابنتها على الانفصال عن زوجها، وفي نفس الوقت تحبب إليها الزواج من كونراد، غير أن إيزابيلا رفضت ذلك الأمر، فلما رأت ماريا تصميم إيزابيلا على موقفها، أخبرتها أنها لن تصبح ملكة على مملكة بيت المقدس إذا استمر زواجها من همفري، ولن تنال شرف الجلوس على العرش، كما أخبرتها والدتها أنها حين تزوجت من همفري كانت قاصرة غريرة لا تدرك شيئاً من أمور الزواج، ومن ثم فإن هذا الزواج باطل ويمكن فسخه، وأرادت أن يصبح كونراد زوجاً لها، ومن ناحية أخرى، كانت ماريا تكن مشاعر المقت والكرَاهية الشديدين لهمفري، لأنه حين تزوج من ابنتها منعها عن رؤية والدتها، وكان متبعاً في ذلك نصائح والدته ستيفاني دي ميللي Stephany of Milly صاحبة الكرك^(١)، ومن أجل ذلك قام كونراد بالتوجه لمحاصرة عكا، وحشد حوله المؤيدين ومنهم فيليب أسقف بوفيه Beauvais، وهويرت Hubert رئيس أساقفة بيزا، الذي كان يمثل كنيسة روما الذي جاء لمساعدته حتى يتم هذا الزواج. بل أكثر من ذلك قام كونراد برشوة كبار قواد الجيش بالأموال والهدايا والكثير من الوعود السخية لهم، وخاصة رجال المندوب البابوي والأسقف البيزي، وبذلك استطاعت ماريا نقض زواج ابنتها عن طريق المندوب البابوي، حيث أخبرته أن ابنتها حين تزوجت كانت قاصرة، فقام المندوب البابوي باستدعاء همفري الذي أصر على التمسك بزواجه، ووضح أنها حين تزوجها كانت تعي تماماً ما تقوم به وبرضاء تام من جانبها، غير أن رجال المندوب البابوي الذين أفسدتهم رشاوى كونراد، أخذوا يحثون همفري على الانفصال عن زوجته، وأخبروه أن استمراره في هذا الزواج سوف يجر عليه متاعب

(١) الكرك:- وهي قلعة في جنوبي الأردن على بعد عشرة أميال تقريباً إلى الشرق من الطرف الجنوبي للبحر الميت، وهي تقع فوق قمة جبل صخري تنحدر سفوحه من الجانبين بشدة حتى وادى الكرك الذي يتشعب إلى وادى الست ووادى الفرنجة أسفل المدينة الحصينة تماماً، وإلى الجنوب من المدينة مباشرة تنتصب القلعة ذاتها وتحميها من الهجوم من الاتجاه الوحيد الصالح من جهة الأرض المرتفعة المجاورة، ولقد شيدت القلعة فوق مصطبتين تفصلهما عن المدينة قناة عميقة، كذلك كانت المدينة محاطة بسور يحف بها ويتماشى مع حواف الصخور، مولر فيز، القلاع أيام الحروب الصليبية، ت. محمد وليد الجلاد، مراجعة. سعيد طيان، ط. دمشق، ١٩٨٤م، ص ٥٥.

جمه، فرضخ لمحاولاتهم ونقض زواجه من إيزابيلا^(١)، وبذلك نجد الفساد وانتشار الرشوة قد وصل لقمته داخل المجتمع الصليبي، وأصبحت الرشوة هي السلاح الفعال لحل الكثير من الأزمات لصالح الراشين، دون وجه حق، وأصبح جنون الوصول لعرش المملكة الصليبية، يلهب مشاعر الكثيرين.

ومن خلال أحداث الحملة الصليبية الثالثة، والتي شارك فيها كبار ملوك أوروبا في ذلك الوقت، ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا، وفليب أغسطس ملك فرنسا، وفي ظل الصراع بين العاهلين الكبيرين، لم يقدر هذان الملكان مدى خطورة الوضع الذي يمر به المجتمع الصليبي في ذلك الوقت، فقام ريتشارد أثناء حصار القوات الصليبية لمدينة عكا، برشوة العديد من رجال فيليب أغسطس بالأموال والهدايا المختلفة، واستطاع أن يجذب العديدين ويستميلهم إليه، حتى أدخلهم في خدمته^(٢)، ويرجح أن ريتشارد فعل ذلك من أجل أن يشعر فيليب أغسطس أنه يستطيع أن يصل إليه شخصيًا لو أراد ذلك، كنوع من أنواع الحرب النفسية بين الطرفين، والتي استمرت بينهم بعد ذلك داخل القارة الأوروبية.

وواصلت جريمة الرشوة انتشارها داخل المجتمع الصليبي، حتى أن أثرياء أوروبا قدموا إلى المجتمع الصليبي ببلاد الشام، مستخدمين الرشاوى من أجل أن يكون لهم مكانة مرتفعة، وعلى سبيل المثال لا الحصر، تلك الواقعة التي حدثت مع ابنة وليم درويل صاحب الباترون Botron، فقد كانت ابنته من زوجته الأولى والتي كانت تدعى سيليا Celia، وعندما توفي وصل إلى بلاد الشام ثري من مدينة بيزا يدعى بليفين Plivian، وعندما نزل ببلاد الشام علم بأمر ابنة وليم، فطلب من كونت طرابلس رايموند الثالث أن يتزوج من تلك الفتاة التي كانت تعد الوريثة الوحيدة لأبيها، فقد كان من المفترض ألا يتزوج إلا بإذن رايموند، وعلى الرغم من أن الكونت كان قد وعد جيرار دي ريدفورد Gerard of Ridefort (١١٨٩م/٥٨٤هـ)، سيد جماعة الداوية، بزواجه من تلك الفتاة، إلا أن الكونت تراجع عن وعده مقابل

(١) ذيل وليم الصوري، ص ١٨٩، مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج ١، ص ١٥٩.

(٢) ذيل وليم الصوري، نفسه، ص ٢١٣.

الرشاوى المالية التي حصل عليها من قبل بليفين والتي قدرت بحوالى مائة ألف دينار بيزنطي، وانتشرت أخبار تلك الواقعة بين العامة، حتى قيل أن الكونت وضع الفتاة في كفة الميزان وفي الكفة الأخرى ذهبًا، فكان ثمنها كبيرًا للغاية^(١)، وبذلك تكون بلاد الشام مطمئنًا لأثرياء أوروبا، من أجل الحصول على السلطة السياسية، ويتضح شيء آخر، وهو خروج أفراد الجماعات الدينية عن قواعد وتقاليد الجماعة والتي كانت تقضي بعدم الزواج، وكل ذلك رغبة في السلطة والثراء.

ووفيا يتعلق لانتشار الرشوة في المؤسسة الكنسية، فمثلما كان لكبار رجال المجتمع من الملوك والأمراء دور في انتشار الرشوة داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، كان لرجال الدين الصليبيين دور مماثل، بل ويرجح أن دورهم كان أكثر فاعلية في انتشار الرشوة بجرأة وكل وضوح، داخل أرجاء الكنائس والأديرة، والتي من المفترض أنها مصدر هداية للضالين والمخطئين داخل المجتمع الصليبي، غير أن تلك المؤسسات كانت قدوة لهم أيضًا في الأداء الإجرامي.

والذي ساعد على تردي الأوضاع الكنسية، ورجال الدين هو أنهم تحولوا من رجال أكليروس إلى رجال أعمال وتجار، ومالكي مناطق جمركية ودور للضرب وأسواق، ومصالح وظيفية واقتصادية في المدن والقلاع، وبذلك تكون الرعاية الروحية أمست لديهم فقط رداء كهنوتيا يحمل في أكمامه كل هذه المصالح الدنيوية^(٢). وأولى تلك الفضائح المالية، والتي اتهم فيها بطريك صليبي بالرشوة، هو ماحدث مع دايمبرت بطريك مملكة بيت المقدس الصليبية، فعندما توجه إلى بيت المقدس في عيد الميلاد عام ١٠٩٩م/٤٩٢هـ، بصحبة كل من بلدوين أمير الرها وبوهيمند أمير أنطاكية، ليتموا رحلة الحج، وعندما وصلوا للمدينة طالب دايمبرت بخلع أرنولف من بطريركية بيت المقدس، حيث اعتبره أنه تم انتخابه بشكل مؤقت، وأن يحل هو محله، بل والأكثر من ذلك أنه طالب كل من بوهيمند وجودفري بمعاملته

(١) ذيل وليم الصوري، ص ٧١، هايد، تاريخ التجارة، ج ١، ص ٣٢٧.

(٢) رأفت عبد الحميد، قضايا من تاريخ الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٢٧.

كسيد أعلى، وقد قوبل هذا الرأي بترحاب من جانب بوهيمند، بينما رفضه جودفري تمامًا، باعتباره الحاكم الفعلي لمدينة بيت المقدس^(١)، غير أن دايمبرت استطاع عزل أرنولف بعد أن حظي بمكانة طيبة عند الأمير جودفري، ويرجع ذلك للرشاوى التي قدمها دايمبرت له، فقد سعى لتبوء تلك المكانة وذلك المنصب الديني، من أجل جمع المال أكثر من إهتمامه بالشئون الدينية والكنسية، وقد نجح دايمبرت في مخططة معتمدًا في ذلك على الهدايا والرشاوى التي قام بتقديمها لكل من بوهيمند وبولدوين، مما يسر له عزل أرنولف، وانتخابه مكانه بطريركاً على بيت المقدس، حيث جرت عملية الانتخاب في كنيسة القيامة في أواخر ديسمبر ١٠٩٩م، صفر ٤٩٣هـ^(٢)، وبذلك تكون حياته الدينية بدأت على أساس جريمة الرشوة، والتي لولاها ما كان ليرتقي تلك المكانة.

ولم تكن جريمة الرشوة الوحيدة التي أقدم عليها دايمبرت، فسجله مليء بتلك الجرائم المنافية للتعاليم الدينية التي من المفترض أنه يحافظ عليها، فقد كان دايمبرت أكثر طمعاً للقوة، لذلك قام بتوظيف الكنوز المالية التي كانت في حوزته من أجل استخدامها في الرشاوى، كي يحقق أهدافه الشخصية^(٣). ومن تلك الجرائم المالية التي أرتكبها، أنه في إحدى صراعاته مع الملك الصليبي بلدوين الأول، حين كان بلدوين يطالبه بإمداده بالجنود أو الأموال من أجل دعمه في مواجهة المسلمين، حضر مندوب روجر حاكم صقلية قادمًا من أبوليا في خريف عام ١١٠١م/٤٩٥هـ^(٤)، ومثل أمام الملك بلدوين، معلناً أنه منذ أيام قليلة قدم للبطريرك أمام جميع من كان في الكنيسة في ذلك الوقت، مبلغاً قدره ألف دينار بيزنطي، ليقسمه تكفيراً لخطاياها عن نفسه وذويه،

(1) John France, The Crusades, p91.

(٢) سعيد البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩-١٢٩١م/٤٩٢-٦٩٠هـ)، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص ١١٠.

(3) Oldenburg, The Crusades, p190.

(4) Rowc, " Paschall II and The Relation between The Spiritual and Temporal powers in The Kingdom of Jerusalem", Speculum, Vol.32, No.3, Jul, 1957, p482.

سعيد البيشاوي، المرجع السابق، ص.ص ١٢٠، ١٢١.

بالإضافة إلى معونات مالية أرسلها روجر حاكم صقلية لمملكة بيت المقدس الصليبية، غير أن البطريك احتفظ بالمال كله وأعماه الطمع ولم يقدم شيئاً منه لهذا أو ذاك، وثبتت التهمة عليه أمام الملك على يد الشهود، فلم يستطع دايمبرت تبرئة نفسه، لذلك أصدر بلدوين أمره على الفور بحرمانه من الرئاسة على القبر المقدس وهباته، كما قبض على حجابيه وحاشيته ومعارفه ووضعوا تحت الحراسة^(١).

ومن أجل ذلك بعث الملك بلدوين إلى البابا Paschall II (١٠٩٩-١١١٨م/٤٩٢-٥١١هـ)، في روما أن يرسل أحد مبعوثيه للتحقيق في تلك الجريمة، وبالفعل أرسل الكاردينال موريس لكي يحقق في تلك الجريمة، ولم يتمكن من مساندة دايمبرت مع وجود شهود للواقعة ضده، فتقرر عزله وحرمانه من سلطاته وواجباته في كنيسة القيامة، كما حرّمه أيضاً من الاشتراك في الطقوس الدينية لعيد الفصح^(٢). ولم يتمالك البطريك نفسه لما حل به من مصائب جراء ما أقترفه، فذهب إلى الملك بلدوين خاضعاً باكيّاً وركع أمامه، وطلب منه الصفح وألا يحرمه من منصبه في هذا اليوم، غير أن الملك عارض طلبه تماماً، فاستمر دايمبرت في توسلاته، وقدم رشوة مالية لبلدوين قوامها ثلاثمائة بيزنت^(٣) ذهبية. ولما كان الملك بلدوين بحاجة ملحة إلى المال، فقد كان يمر بضائقة مالية شديدة، فقد قبل الرشوة ونهض مسرعاً إلى الكاردينال موريس، وطلب منه أن يعفو عن دايمبرت ويسامحه، ونزولاً عن رغبة الملك ورجاله سمح

(1) Albert D'Aix, Historia Hierosolynitana, ed. R.H.C, H.Qcc, Tome, IV, Paris, 1879, p548.

(2) سعيد البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص ١٢١.

(3) البيزنط:- هو عملة ذهبية بيزنطية، سميت بهذا الاسم نسبة إلى بيزنطة (القسطنطينية)، وكانت هذه العملة متداولة بكثرة في العصور الوسطى حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري على وجه التقريب، وكان البيزنط يعادل العملة الأرمنية المعروفة بالتاهجان Tahegane، وامتاز باستقرار قيمته الذهبية، وكان البيزنط يعرف بالهيبريبرون Hyperperon، وكان يعادل نحو ثلاثة ونصف جرام من الذهب، وعلى الرغم من ذلك، فقد كان هناك اختلافات في حجم الذهب، ويمكن أن يحدد سعر العملة بواسطة تحديد دقيق لتاريخها، عن ذلك انظر:- عمود سعيد عمران، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل كومنين، ط. الإسكندرية، ١٩٨٥م، هامش (١)، ص ٦٤، هنادي السيد محمود، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، دار العالم العربي، ط. القاهرة، ٢٠٠٨م، هامش (١)، ص ٥٤.

للبطريك بارتداء الزي الوظيفي والاحتفال بعيد الفصح بكل طقوسه^(١).

غير أن أعداء دايمبرت لم يهدأ لهم بال لما وصل إليه ذلك الأمر، ومنهم أرنولف عدوه القديم، فأوصلوا للملك بلدوين أن دايمبرت شخص كاذب، وأنه خبأ الأموال في خزائنه، وجاءت تلك الادعاءات في الوقت الذي استمر في التوتر بين كل من بلدوين ودايمبرت، فاستشاط غضباً لما قاله أرنولف ومؤيدوه، فأخذ يعنف دايمبرت بشده ويلج عليه في طلب الأموال، غير أن دايمبرت استطاع استئالة الكاردينال موريس بالرشاوى إلى جانبه، حيث أعطاه دخل اثنين من قطع الأراضي المخصصة للكنيسة في سرية تامة، وعلم الملك بما صدر من دايمبرت واتهمه بالخيانة، فتقرر عزله وحرمانه من جميع صلاحياته. فغادر دايمبرت بيت المقدس متجهاً إلى يافا وقضى بها الخريف والشتاء لعامي ١١٠١-١١٠٢م/٤٩٥هـ، وفي مارس من عام ١١٠٢م، جمادى الأولى سنة ٤٩٥هـ، غادر يافا متجهاً إلى أنطاكية حيث استقبله الأمير تنكريد بالترحاب والحفاوة البالغة، وعهد إليه بكنيسة القديس جورج التي كانت من أكثر الكنائس ثروة، وتم ذلك بموافقة بطريك أنطاكية، ذلك في الوقت الذي كان التحقيق مستمرًا مع أتباع دايمبرت الذين تم الزج بهم في السجون، وتحت وطأة الجلد اعترفوا بأن دايمبرت يخفي عشرين ألف بيزنت، وبناء على ذلك اقترحت السلطات مقر البطيركية، ووجدوا الأموال التي كان يخفيها البطريك المعزول في خزائن البطيركية^(٢). ومن خلال تلك الأحداث التي وقعت، يتضح كيف كانت رغبات رجال الدين المادية تسبق مهامهم الدينية أمام بريق المال، ولعل ذلك يوضح أن كنائس بلاد الشام بوجه عام، وكنيسة مملكة بيت المقدس الصليبية بوجه خاص، كان يسعى وراءها الكثير من رجال الدين ليس لأهداف دينية، بل لأهداف دنيوية بحتة، والشاهد على ذلك جرائمهم المالية التي ظهرت طوال فترة بقاء الصليبيين ببلاد الشام، حيث

(1) Albert D'Aix, Op.cit, p540, Hamilton, The Latin Church, p55,

سعيد البشاوي، الممتلكات الكنيسة، ص.ص ١١٩، ١١٨.

(2) Albert D'Aix, Historia Hierosolynitana, p.p 545-546, Sybel, The History Literature of the Crusades, London, 1861, p239.

أكد ذلك مريثة سقوط عكا.

وحين توفي فولشر Fulcher (١١٣٥-١١٥٧م/٥٢٩-٥٥١هـ)، بطريرك كنيسة مملكة بيت المقدس الصليبية، اجتمع كبار رجال الدين بالمدينة من أجل اختيار من يخلفه في كرسي البطريركية، وذلك حسب القواعد والقوانين التي يجب أن تتوافر في من يتولى هذا المنصب، ووقع الاختيار على رجل دين يدعي عموريا، وتم اختياره بطريقة غير سليمة، بسبب تدخل كل من أخت الملكة ملينندا، والكونتيسة سبيلا أخت الملك وزوجة كونت فلاندرز، وتم اختيار عموري الذي كان يشغل منصب قيم كنيسة القبر المقدس، فقد كان على جانب كبير من الثقافة، غير أنه كان شديد الساذجة قليل النفع للكنيسة، وتم اختياره رغم رفض كل من هيرنيسوس رئيس أساقفة قيصرية، ورالف أسقف كنيسة بيت لحم، فقد عارضا قرار تعيينه، والدليل على عدم صلاحيته أنه بعد توليه لمنصب بطريرك المملكة، ترك دفعة الأمور لفردريك أسقف مدينة عكا، الذي سافر بدوره إلى روما، حيث قابل البابا هديان، واستطاع عن طريق رشوته التي أعطاهها له ولرجال حاشيته أن يحصل على تأييد بابوي من أجل صلاحية عموري، ثم قفل راجعا مرة أخرى إلى مملكة بيت المقدس ومعه المسوح الكهنوتية، مع الاعتراف الكامل بحق عموري في منصب البطريركية^(١). ويتضح من ذلك الأمر، أن الرشاوى لم تقتصر على بلاد الشام فقط، بل تعدتها إلى بلاط البابوية نفسها، وقبول البابا لتلك الرشاوى مع علمه بعدم صلاحية عموري لهذا المنصب، إنما يدل على سياسة البابوية في جعل بطريرك مملكة بيت المقدس الصليبية، في مركز أقل من مركز البابا، وحرصت على أن يتولى هذا المنصب شخصيات ضعيفة، حتى لا تقف في مواجهتها في المستقبل.

وتواصلت جرائم الرشوة والفضائح المالية في الظهور بين طبقة رجال الدين الصليبيين، وحدث أنه في عام ١١١٥م/٥٠٩هـ، قام البابا باسكال الثاني بإرسال مندوبه ويدعى برنجر أسقف أورانج Berenger Bishop of Orange، إلى مملكة بيت المقدس، وذلك من أجل أن يقوم بعزل البطريرك أرنولف مالكورون، الذي أساء

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج ٣، ص ٤٢٤.

استخدام منصبه الديني بالإضافة إلى إدانته بعدة تهم، منها قيامه بالتصرف في ثروة الكنيسة، بالإضافة إلى جريمة الرشوة التي كانت السبب الرئيسي في عزله من منصبه^(١). غير أن أرنولف لم يرض بذلك الحكم الذي أصدره برنجر، وتوجه مباشرة إلى مركز البابوية في روما، وقابل البابا باسكال الثاني، ونظرًا للباقة حديثه بالإضافة إلى إسرافه في تقديم الرشاوى المختلفة للبابا وحاشيته، تمكن من نيل تأييدهم له مرة أخرى، فصدر قرار بإعادته إلى منصبه مرة أخرى، فرجع إلى بطريركية مملكة بيت المقدس بتأييد من البابا، ولم يتوقف عما كان يفعله من أخذه للرشاوى المختلفة التي كانت سببًا من أسباب عزله من منصبه^(٢). وبذلك تكون البابوية في روما على اتصال دائم ببلاد الشام، وعلى علم تام بكافة أوضاع رجال الدين، فإنها كانت حريصة على تقصي الأخبار والحقائق عن رجال الدين من ناحية، ومن ناحية أخرى حتى تحكم قبضتها عليهم.

وفي إمارة أنطاكية الصليبية، لم تكن الأوضاع أفضل مما في مملكة بيت المقدس، بل كانت أشد قسوة وضراوة في الصراع الذي نشأ بين رجال الدين من أجل الفوز بمنصب بطريرك الإمارة، ومنها ما حدث مع البطريرك رالف، فقد تأمر عليه رجال الدين الآخرون بالإمارة، وتمكنوا من عزله وعينوا بدلاً منه مساعد شماس يدعى عموريًا، وقد فعلوا ذلك بناءً على تحريض من الأمير ريموند، الذي كان مدفوعًا بدوره من قبل عموري بالرشاوى المختلفة، فقد كان عموري هذا من ولاية ليموزان، ولم يكن يصلح لمنصب البطريركية بسبب جهله من ناحية، وطريقة معيشته التي قضاها في الرذائل من ناحية أخرى. وقد ساهم رالف بنفسه فيما وقع له من عزل، فقد كان على علم بتلك الصفات السيئة لعموري، ورغم ذلك اتخذ صنيعة له وشخصًا مقربًا إليه، غير أن تقديره جانبه الصواب في عموري، فما لبث عموري أن تأمر مع أعداء رالف على خلعه كي يخلفه هو في منصبه، وقد ساعده في ذلك رجل يدعى بطرس وكان يلقب بأرامون، الذي كان على اتصال وثيق بالأمير ريموند ورجال الدين بالبطريركية، وعن

(١) سعيد البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص ١٢٨.

(٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣١٦.

طريق الرشاوى والهدايا المتنوعة تمكن من جذب أنظار رايموند إليه، فعزل رالف وعينه خلفاً له^(١)، وبعد أن تدخل روجر في هذا الصراع، حاول رالف اجتذابه إلى صفه بالرشوة الصريحة، غير أن روجر رفض عرض رالف تماماً، وتم خلع رالف بعد ذلك، حيث أتهمه رايموند أنه كان على علم بالمكائد التي كان يمحكها ضده النورمان، فقام بحبسه حتى توفي عام ١١٣٩م/٥٥٣هـ^(٢). وبذلك انقلبت جريمة الرشوة ضد صاحبها، ولم تحقق له مآربه الشخصية التي كان يتمناها، وأدت في نهاية الأمر إلى هلاكه. هذا ومن الجدير بالذكر أن تلك الواقعة تبرز أن الكثير من رجال الدين الذين كان يتم تعيينهم في منصب البطريركية، كانوا في الواقع غير مؤهلين لتلك المناصب، وإلا ما كانوا ليلجئوا للرشوة من أجل تعيينهم كما في تلك الواقعة، بالإضافة إلى ذلك؛ انزلاق رجال الدين في صراعات داخلية مريعة فيما بينهم، جعلتهم غير ملائمين لمكانتهم الكنسية.

واستمراراً لتدهور الأوضاع الكنسية داخل المدن والإمارات الصليبية، ولحوق هذا التدهور ببطريركية مدينة صور، فلقد أهمل رجال الدين في المدينة تنصيب بطريرك لها لمدة أربع سنوات متتالية، وظلت الكاتدرائية خالية من ذلك المنصب طوال هذه الفترة، وبالتالي تدهورت الأوضاع الكنسية لعدم وجود بطريرك يشرف عليها ويتدبر أمورها، ولذلك أصبح الفساد منتشرًا بها، حتى هرب رجال الدين من ذلك المنصب، لأنه ألحق بكل من يتولى هذا المنصب صفات سيئة حطت من قدره أمام الرعية^(٣).

ونتيجة لاستمرار تلك الفضائح من جانب رجال الدين الصليبيين، قام البابا إنوسنت الثالث Innocent III (١١٦٠-١١٦١/١٢١٦م/٥٥٤-٥٥٥/٦١٢هـ)، بإرسال تحذير للأساقفة ورجال الدين من أجل أن يتجنبوا استخدام الرشوة أو الابتزاز، والتي انتشرت بينهم بصورة أقلقت البابوية بصورة واضحة، جعلت

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص. ١٩٩، ١٩٨.

(2) Helene Wieruszowski, The Norman Kingdom of Sicily and the crusades, in setton: The Later Crusades, 1189-1311, Vol.II, London, 1969, p10.

(٣) وليم الصوري، المصدر السابق، ج٣، ص ٦٣.

الباباوات يرسلون تلك التحذيرات بتتابع مستمر^(١).

وقد امتد الفساد داخل السلك الكنسي للقرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، حتى عانت مملكة عكا أشد المعاناة من مفاسد رجال الكنيسة، الذين كان من المفترض أن يكونوا صمام أمان للمجتمع الصليبي، من خلال الرقابة الأخلاقية، غير أن أوضاعهم كانت على عكس ذلك تمامًا، فقد تفشت بينهم الرشوة، وبيعت المناصب الكنسية، بحيث كان لا يصل رجل الدين إلى منصبه إلا بعد أن يقوم بدفع مبالغ مالية، حتى تحولت مقار الأسقفيات إلى مكاتب مثل مكاتب الصيارفة، تتبع الوظائف لمن يدفع أكثر^(٢)، وقد ظهر ذلك بشكل واضح في أبيات مرثية سقوط عكا:-

«الآن أريد إخبارك عن رجال الدين

الذين أدمنوا السيمونية (بيع الوظائف الدينية)

لا أحد يحصل على الوظائف الكنسية لمزاياه

أو حكمته بل بواسطة عرض الرشاوى»^(٣).

وظهر ذلك جليًا عندما زار جاك ديفتري مملكة عكا الصليبية، فقد شاهد شدة التدهور والانحلال الذي أصاب رجال الدين، فقد كانوا يتفآخرون بمناصبهم الكنسية التي ارتقوا إليها عن طريق الرشوة الصريحة، فقد وصف تلك المناصب بأنها مثل مكاتب الصيرافة عند اليهود، التي كانت تغدق عليهم بأموال وفيرة. كذلك المناصب الكنسية بالنسبة للصليبيين التي كانت ينعمون بسببها في رخاء ونعيم وفير، نتيجة للرشاوى المختلفة التي كانوا يسعون خلفها من أجل رفع مستوى معيشتهم، ونتيجة لتلك الرشاوى فقد أصابهم الضعف والتراخي والكسل، فتركوا حياة التقشف وكسرات الخبز التي اعتادوا على تناولها، وتناولوا مختلف أنواع الأطعمة وأشهاها، ولم يربوا أبناءهم على التعاليم الكنسية المفروضة عليهم^(٤). ومن هذا المنطلق، يكون

(1) Alan, Encyclopedia, p435.

(٢) محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢٠٩.

(3) Templar of Tyre, p410 .

(٤) جاك دي فيتري، ص ٢٢٢.

المستوى الخلقي لرجال الدين الصليبيين، قد وصل لأدنى مستوياته، ومع إدراكهم لعدم وجود رقابة عليهم، جاهرُوا بأخذ الرشوة علانية، مما نتج عنه تناقض صريح لدورهم الديني من ناحية، وعدم مصداقية العامة فيهم من ناحية أخرى.

وفيما يتعلق بطبقة العامة وعلاقتها بجريمة الرشوة، فلم تمدنا المصادر المعاصرة إلا بالقليل النادر من الإشارات المتعلقة بتلك الجريمة بين طبقة العامة، ومنها ما ورد على لسان الرحالة الصليبي دانيال (١١٠٦-١١٠٧م/٥٠٠-٥٠١هـ)، فلقد ذهب إلى زيارة الضريح المقدس، وهناك استقبله حارس الضريح بلطف، وعن طريق رشوته لحارس الضريح أدخله لداخل الضريح، حيث إنه غير مصرح لأحد بذلك، فقام بالتمدد داخله، وقياس ارتفاعاته، ونتيجة لتلك الرشوة التي أعطاهها لحارس الضريح، قام الحارس بإزاحة بعض الألواح التي تغطي أجزاء من الضريح، وأعطاه جزءاً من ذلك الأثر المهم، ورجاه أن لا يشيع بهذا الخبر داخل القدس^(١)، وبهذا يكون حال المجتمع الصليبي متناقض في أفكاره، فكيف يقوم أحد الحجاج برحلة للحج من أجل مغفرة ذنوبه، ومن ناحية أخرى يستخدم الرشوة تلك الجريمة البشعة، من أجل الوصول لمكان مقدس ممنوع دخوله، وبذلك تنافت المصداقية في أقواله وأفعاله.

ولم تقتصر تلك الأفعال على الحجاج فقط، بل شملت أيضاً المسيحيين الشرقيين القاطنة داخل الإمارات الصليبية^(٢)، ومنها طائفة السريان، التي صب عليهم جاك دي فيتري جام غضبه، نظراً للأوضاع التي كانوا عليها، فقد كانوا يشتغلون بالتجارة، ويكتزون الأموال، ومن أجل ذلك قبلوا الرشوة بأنواعها المختلفة من المسلمين، من أجل معرفة أحوال المجتمع الصليبي من ناحية، ونقل أسرارهم العسكرية من ناحية أخرى، مما كان له أسوأ الأثر على المجتمع الصليبي^(٣). ويرجح أن ما قامت به العناصر السريانة من خيانة الصليبيين، نتيجة للتفرقة في المعاملة التي وجدوها من ناحية،

(١) دانيال، رحلة حج راعي الدير الروسي دانيال في الأراضي المقدسة (حوالي: ١١٠٦-١١٠٧)، ت. سهيل ذكار،

الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣١، ط. دمشق، ١٩٩٨م، ص ٣٣٥.

(٢) للمزيد من التفاصيل عن عناصر تكوين المجتمع الصليبي، انظر الفصل الأول.

(٣) جاك دي فيتري، ص ٢٢٩.

وحينهم للسيادة الإسلامية من ناحية أخرى، جعلهم يساندون القوى الإسلامية في صراعهم ضد الإمارات الصليبية ببلاد الشام.

ومما سبق يتضح أن جريمة الرشوة تفشت داخل المجتمع الصليبي، ولم يتورع عن الإتيان بها رجال السياسة أو رجال الدين أو حتى العامة، وعلى الرغم من اختلاف الهدف من الرشوة بالنسبة لكل طبقة فيهم، إلا أنهم وجدوا في الرشوة الحل السريع لحل مشاكلهم، ولم يلتفتوا إلى الآثار الجانبية التي نتجت عن تلك الجريمة، التي طالت حتى باباوات روما، وكانت تلك الجريمة من أهم أسباب انهيار مؤسسات المجتمع الصليبي، لأنها كانت السبب في تولي العديد من العناصر فاقدة الكفاءة لأماكن حساسة ومناصب خطيرة داخل المجتمع الصليبي، ساعدت في النهاية على انهياره من الداخل أو آخر القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري.

الفصل الخامس

القوانين والعقوبات ومدى تطبيقها داخل المجتمع الصليبي

* نشأة القوانين وتطورها لدى الصليبيين وتعدد أنواع
المحاكم.

* التنظيم القضائي في المجتمع الصليبي.

* عقوبة جريمة القتل.

* عقوبة جريمة الزنا.

* عقوبة جريمة الرشوة.

يتناول هذا الفصل بالدارسة القوانين والعقوبات التي نشأت داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، فمثلما تعددت أنواع الجرائم داخل المجتمع الصليبي، تعددت أيضاً بالضرورة القوانين والعقوبات الرادعة لهذه الجرائم، ولم يكن هناك مصدر واحد لهذه القوانين، بل تعددت وتنوعت حتى أصبحت القوانين والعقوبات مختلفة من إمارة لآخرى، ولذلك يوضح هذا الفصل نشأة القوانين داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، وتعددتها واختلاف تطبيقها.

وبالنسبة لنشأة القوانين وتطورها لدى الصليبيين وتعدد أنواع المحاكم، فمع بداية الزحف الصليبي على بلاد الشام، وتزايد الجرائم بدرجة كبيرة بين جنود الجيوش الصليبية، لم يكن هناك قانون فعال من أجل معاقبة المجرمين على ما اقترفوه من جرائم، ولم تكن المواعظ الدينية لتسد ذلك العجز الذي شكل ظاهرة إجرامية خطيرة، كادت تعصف بالحركة الصليبية مع بدايتها، ومن أجل ذلك تشكلت محكمة من قادة الجيوش الصليبية ومن رجال الدين، وتم تكليف تلك المحكمة بمعاقبة ومطاردة المجرمين، وتنفيذ أقصى أنواع العقوبة لردعهم. وعلى سبيل المثال، كان يتم معاقبة مدمن الخمر بقطع أذنيه، وفي حالة إتهام رجل الدين بالزنا وثبوت التهمة عليه، يتم تعذيبه بطريقة وحشية عن طريق الكي بالنار، ثم ضربه بالقضبان، وبعد ذلك يتم تجريده من ملابسه داخل المعسكر. وكانت تلك العقوبة بمثابة ترويع للآخرين حتى لا يقتربوا تلك الجريمة، ومع ذلك لم تنجح تلك العقوبة في وقف تيار جريمتي الزنا والدعارة الذي انتشر داخل المعسكرات الصليبية^(١)، بالرغم من نشاطات رجال الدين الذين صاحبوا جيوش الحملة الصليبية الأولى، في إعادة الصليبيين إلى جادة صوابهم محاولة منهم لإرضاء الرب، فإن الجنود الصليبيين بقوا على سلوكياتهم الإجرامية^(٢)، وبذلك كانت الإرهاصات الأولى لإيجاد قوانين منظمة لمواجهة الجريمة.

ولذلك فلم يكن من السهل بعد أن استقر الصليبيون ببلاد الشام، أن يعملوا بتشريعات يومية لجيش يزحف عبر بلدان مختلفة، ويتغير موقعه وتشكيله ليأخذ شكلاً

(1) Joseph Francais Michaud, History of The Crusades, New York, 1855, vol. I, p136.

(2) حسين عطية، طبائع الفرنج، ص ٢٨.

جديدًا كل يوم، فكان لابد من العمل بقوانين جديدة تحكم المجتمع الصليبي وتنظم أموره، وخاصة العلاقات بين فئاته المختلفة، فقد كان المجتمع الصليبي ببلاد الشام هو أكثر المجتمعات الفرنجية احتياجًا لتلك القوانين^(٣)، حيث كانت تسوده النظرة العنصرية بين فئاته المختلفة.

ويمضي الوقت تمكن الصليبيون من وضع نظم سياسية واقتصادية واجتماعية لممتلكاتهم ببلاد الشام، وذلك حتى يتمكنوا من ممارسة حياتهم وحقوقهم بجوانبها المختلفة، ولم يتم ذلك بسهولة ويسر، بل كان بعد مجهود وعناء وفترة طويلة من الزمن، حتى تمت عملية التوافق والملاءمة بين ما كان سائدًا في الغرب الأوربي من نظم إقطاعية استبدادية قائمة على تسلط النبلاء وأصحاب الإقطاع ورجال الكنيسة على عامة الصليبيين، وبين الأوضاع التي كانت في المدن الشامية التي قاموا باحتلالها، ولذلك كانت الأنظمة والقوانين التي أوجدتها المملكة اللاتينية في بيت المقدس والإمارات الصليبية ببلاد الشام، أرقى من مثيلاتها في الغرب الأوربي خلال تلك الفترة^(٤).

ويرجح أن بداية نشأة القوانين الصليبية لمكافحة الجريمة، ترجع إلى عهد جودفري Godfery of Bouillon (١٠٩٩-١١٠٠م/٤٩٢-٤٩٣هـ) على الرغم من مدة حكمه القصيرة، حيث عرفت بخطابات الضريح المقدس The Letters dou Sepulcher، وتم وضع تلك القوانين بناء على موافقة كل من النبلاء والسادة الإقطاعيين من الصليبيين بمدينة بيت المقدس، واعتمد في تدوينها على الأعراف والتقاليد التي كانت سائدة في أوربا^(٥)، وقد فقدت تلك الخطابات عقب فتح صلاح

(٣) حسين عطية، «قوانين مملكة بيت المقدس الصليبية في ضوء المصادر الصليبية المعاصرة»، ص ٢.

(4) Helen Nicholason & David Nicolle, God's Warriors, Crusaders, Saracens, and the Battle for Jerusalem, Oxford, 2005, p39.

أحمد الشامي، تاريخ العلاقات، ص ١٩٣.

(٥) فوشيه الشارترى، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: زياد العسيلي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٠م، ص ٧٧.

Marawn Nader, Burgesses and Burgess Law in the Latin Kingdoms of Jerusalem=

الدين الأيوبي لبيت المقدس ١١٨٧م/٥٨٣هـ^(٦). ثم قام جودفري بتأسيس سلطتين قضائيتين، هما المحكمة العليا Haute Courte، من أجل محاكمة النبلاء، ومحكمة الفيكونت Courte de la Borgesie لمحاكمة البرجوازيين، فقد اجتمع جودفري بعدد من الحكماء وطلب منهم تحرير تقارير عن أعراف بلادهم الأصلية المختلفة، وبعد أخذه موافقة كل من البطريك والبارونات والحكماء من الرجال، أخذ من هذه الكتابات التي طلبها وصنع منها تشريعات وقوانين عمل بها، وبعد ذلك تجددت وتحورت تلك التشريعات على يد ملوك مملكة بيت المقدس الصليبية^(٧)، وبذلك أراد جودفري أن يكون لمدينة بيت المقدس سلطة تشريعية، تساعد في حل النزاعات القضائية التي ازدادت في تلك الفترة بين المجتمع الصليبي الوليد بالمنطقة. ويدل ظهور تلك القوانين خلال تلك الفترة المبكرة من تاريخ الصليبيين على الحاجة الهامة والملحة لسن تلك القوانين منذ بواكير تاريخ ذلك الكيان.

وعندما خلفه الملك بلدوين الأول Baldwin I، الذي كان نشيطاً في سن التشريعات القانونية ومنها القوانين التي تعلق بالخدمة العسكرية ومصادرة الإقطاعات، والتي كانت نواة لقوانين الأسيس Assise^(٨) الشهيرة^(٩) - هي عبارة عن

=and Cyprus (1099-1325), Cornwall, 2006, p36.

(6) Marawn Nader, Ibid, p29.

(7) John de Ibelin, Le Liver de Assises, ed by: Peter .W Edbury, Leiden, 2003, p.p 51-54,

حسين عطية، قوانين مملكة بيت المقدس الصليبية، ص ٣.

(٨) للمزيد من التفاصيل عن تلك القوانين انظر:-

Liver des Assises de Jerusalem, ed. Bugnot (Lois II), R.H.C, Paris, 1843, John de Ibelin, Le Liver de Assises, ed by: Peter .W Edbury, Leiden, 2003, Peter. WEdbury, " Law and Custom in the Latin East: Les Letters dou Sepulcher", M.H.R, 10, 1995, p.p 71-79, Peter. WEdbury, John of Ibelin and the Kingdom of Jerusalem, Woodbridge, 1997,, Peter. WEdbury, "Two Thirteen-Century Manuscripts Legal Texts from saint Jean d' Acre" , Journal of Warburg and Courtauld Institutes, Vol.57, 1994, Joshua prawer, "The Assise de Teneure and The Assise de Vente: A Study of Landed=

مجموعة من القوانين الفرنسية تم تنظيمها وترتيبها في البلاط الملكي لكل من مملكة بيت المقدس الصليبية، ومملكة قبرص، وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، وذلك العمل احتوى على عدة قوانين وتشريعات مختلفة، منها *The Livers of John de Ibelins*، وتشريعات *James of Ibelin and Philip of Novara* والتي عرفت باسم *The Clef des Assise*، وتشريعات أخرى مثل: *The Liver au Roi, The Liver du Pledeant, The Liver du Plaidoyer, The Assise de La Cour des Bourgeois, and The Lignages d'Outremer*، كل هذه الأعمال تم إدراجها تحت اسم قوانين مملكة بيت المقدس، وقد تم تدوين تلك التشريعات بداية في عام ١١٠٠م/ ٤٩٤هـ، على عهد خلفاء الملك بلدوين الأول، غير أن تلك التشريعات لم تصل إلينا، حيث تم فقدانها بعد الفتح الإسلامي لمدينة بيت المقدس الصليبية، بعد معركة حطين الشهيرة عام ١١٨٧م/ ٥٨٣هـ، وتعد تلك القوانين الشهيرة محاولة لمعالجة الأوضاع القانونية لكثير من القضايا المختلفة، وتعد تلك القوانين من الأهمية بمكان حيث تم استيقاها من روح القوانين الفرنسية واليونانية والأنطاكية وغيرها من القوانين الأخرى، وترجع أهمية تلك القوانين إلى أنها بمثابة شاهد على الأوضاع القانونية للإمارات الصليبية ببلاد الشام- غير أنه يلاحظ أن دستور المملكة لم يكن ثابتاً، حيث تعرض لكثير من التغيير والتبديل حسب الظروف التي كانت تمر بها الإمارات الصليبية ببلاد الشام، ووضح من تلك التشريعات أن ملك بيت المقدس على الرغم مما تحقق له من سيادة على أمراء أنطاكية والرها وطرابلس، إلا أنه كان محدود السلطان في عاصمته أمام سطوة رجال الدين^(١٠).

ولذلك فقوانين الأسيس تعد تعبيراً عن النشاط القانوني لدى الصليبيين في القرنين

=Property in the Latin Kingdom", *The Economic History Review*, New series, Vol.4, No.1, 1951, p.p 77-87,

(9) John L, Lamonte, *Feudal Monarchy In The Latin Kingdom Of Jerusalem (1100-1291)*, New York 1970, p.p6-7.

(١٠) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٣٨٥، محمد مؤنس، الحروب الصليبية، ص ١١٦.

الثاني والثالث عشر الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين ببلاد الشام^(١١)، ونجد في تلك القوانين تأثيرها الواضح بالأوضاع القانونية التي كانت سائدة في الغرب الأوروبي وخاصة فرنسا، فقد كان الغرب الأوروبي على علم بالأوضاع القانونية بالأمارات الصليبية^(١٢)، ولذلك فقد كان يبعث بمجموعة من رجال القانون المتخصصين وخاصة من مملكة فرنسا في عهد أسرة آل كابيه Capet، بزيارات متعددة لمملكة بيت المقدس الصليبية، حيث كانوا يمكثون بها لبعض من الوقت من أجل الاطلاع على التشريعات القانونية بالمملكة لتعديلها أو الإضافة عليها، وكل تلك التعديلات كانت تتم بموافقة الملك الصليبي^(١٣). وقد بدأت كتابة تلك القوانين رسمياً في عهد الملك بلدوين الثالث، وقد قام الملك عموري بالإضافة عليها Amalric of Jerusalem (١١٣٦-١١٧٤م/ ٥٣٠-٥٦٩هـ)، حيث طلب من أحد أتباعه ويدعى ران دي تاليف Ran de Talave، أن يجمع اثنين من أتباعه واثنين من الإقطاعيين من أجل صياغة الأعراف والقوانين، وتم له ما أراده بالفعل وتم تأييد تلك القوانين^(١٤). ويرجح أن خوف الغرب الأوروبي على تلك الممتلكات وما كان يحدث فيها من جرائم متنوعة، جعلهم يداومون باستمرار على تقويم أي اعوجاج بدا لهم، عن طريق تلك البعثات القانونية.

وبالنسبة للشكل النهائي لقوانين الأسيس التي وصلت إلينا، فيرجح أنه تم تدوينها طبقاً للنموذج البروفانسي ومضافاً إليها القانون الروماني التشريعي^(١٥)، ولم تكن تلك القوانين وحدها التي سميت بقوانين الأسيس، بل خرجت عدة مؤلفات

(١١) سعيد عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ج ٢، ص ١٣٤.

(12) Smail, Latin Syria and The West, 1149-1187, in: The Royal Historical Society, Fifth Series, Vol. 19, 1969, p3.

(13) Joshua Prawer, The history of the Jews in the Latin Kingdom of Jerusalem, Oxford, 1988, p51.

(14) Liver de Assises, p.522,533,542, James A. Brundage, "Latin Jurists in the Levant, The legal elite of crusader states", in: crusaders and Muslims in Twelfth century Syria, Edited by: Maya Shatzmiller, New York, 1993, p.27,29.

(١٥) يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص ١٠٣.

بنفس الاسم، ومنها مجموعة القوانين التي عرفت باسم The Livre ou Roi أو كتاب الملك، ومجموعة أخرى باسم Assises et Bonusuges، والتي اعتبرت قوانين إصلاحية من أجل المجتمع الصليبي^(١).

وبالإضافة إلى تلك القوانين التي تم سنها من أجل تنظيم نظام الحكم بالإمارات الصليبية، تم عقد مجلس بمدينة نابلس Nablus ١١٢٠م/٥١٣هـ، بناء على مطلب من جورموند بطريرك مملكة بيت المقدس الصليبية، الذي طلب من الملك بلدوين الثاني Baldwin II of Jerusalem (١١٣١م/٥٢٥هـ) وكبار رجال الكنيسة وأشرف المملكة من النبلاء، ضرورة سرعة إجراء ذلك المجمع^(٢)، ويرجح أن الصليبيين عقدوا ذلك المجمع، لتحقيق عدة أهداف، وأهمها معالجة التدني الخلقي الذي أصاب المجتمع الصليبي ببلاد الشام خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري، وكذلك الأزمة الاقتصادية الطاحنة الناجمة عن إغارات أسراب الجراد. فقد اتخذ قرارات صارمة لمواجهة تفشي الجريمة، إلا أن تلك القرارات كانت مؤقتة لمواجهة الظروف الصعبة التي تمر بها الإمارات الصليبية، حيث تم العمل بها وقت صدورهما فقط، وسرعان ما عاد الصليبيون لما كانوا عليه من تدن أخلاقي، والذي يميز مجمع نابلس أنه يعد أول تشريع صليبي عالج الجرائم الأخلاقية التي تفشت داخل الإمارات الصليبية^(٣)، وإن كانت جميع تلك الإجراءات الإصلاحية التي التي تم اتخاذها في مجمع نابلس ظلت مجرد خطابات ميتة^(٤)، ويرجح أن عقد ذلك المجمع كان لحفظ ماء وجه المجتمع الصليبي أمام البابوية في روما بوجه خاص، والغرب الأوربي بوجه عام، حتى يتمكنوا من طلب الدعم للإمارات الصليبية ببلاد

(1) John Lamonte, Feudal Monarchy, p26, Susan Bdgington, Medicine and Surgery, p87.

(٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ٣٥٧.

(٣) حسين عطية، مجلس نابلس، ص ٤٥، صفاء عثمان، مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الثاني (١١١٨ -

١١٣١م/٥١٢-٥٢٥هـ)، دار العالم العربي، ط. القاهرة، ٢٠٠٨م، ص. ص ٢٩٠-٢٩١.

(4) Daniel Rops, Cathedral and Crusades, Studies of the Medieval Church 1050-1350, London, 1957, p449.

الشام بشكل مستمر ولإظهار الكيان الصليبي بمظهر الكيان الشرعي الذي يحافظ على الأخلاق فيه من خلال قوانين منضبطة.

وفما يتعلق بالتنظيم القضائي في المجتمع الصليبي، فمن أجل ذلك تم إنشاء المحاكم القضائية لمواجهة تفشي الجرائم بالمجتمع الصليبي، فقد أوجد الصليبيون في بلاد الشام نظامًا قضائيًا مرتبطًا بالنظام الإقطاعي ارتباطًا وثيقًا^(١)، وعلى الرغم من تعددها، إلا أن البحث سوف يركز على المحاكم القضائية فقط، والتي اختصت بالنظر في القضايا الإجرامية داخل المجتمع الصليبي، وهي كما يلي:-

أولاً:- المحكمة العليا The Haute Court:- وقد عرفت في اللاتينية بالمحكمة العامة Curia Generalis، وعرفت في اللغة الفرنسية المحلية باسم البرلمان Parlement، غير أن الكتب والرسائل القانونية أشارت إليها باسم المحكمة العليا The Haute Court^(٢)، والتي تعتبر المنبع الأكبر للقضاء عند الطبقة العليا داخل المجتمع الصليبي، فقد مرت تلك المحكمة بعدة مراحل من التطور، ففي السنوات الأولى من عمر المملكة الصليبية عدت المحكمة العليا مصدرًا للقوة والنفوذ^(٣)، وظهر فيها تحديد لسلطات الملك الصليبي، وتألفت تلك المحكمة من الملك الذي تولي رئاستها، حيث كان يجتمع فيها بالبارونات^(٤)، وممثلين عن الكنيسة والهيئات الرهبانية كالداوية Order of the Temple والإسبتارية Order of the Hospital، وممثلين عن رعايا المدن التجارية الإيطالية وغيرها من المدن التجارية الأخرى باعتبارهم كيانًا مهمًا داخل المجتمع الصليبي^(٥)، بمعنى آخر فإن تلك المحكمة تمثلت فيها القوى البارزة داخل المجتمع الصليبي.

وكانت تلك المحكمة في أصلها هيئة قضائية، لكن لم تلبث أن اتسعت

(١) سعيد البشاوي، الممتلكات الكنسية، ص ٩٩.

(٢) يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص ١٤١.

(3) John L, Lamonte, Feudal Monarchy In The Latin Kingdom Of Jerusalem (1100-1291), New York 1970, p88.

(٤) إرنست باركر، الحروب الصليبية، ترجمة. السيد الباز العريني، ط. بيروت ١٩٦٧م، ص ٥٩.

(٥) لمزيد من التفاصيل عن تكوين المجتمع الصليبي، انظر الفصل الأول.

اختصاصاتها بمرور الوقت، فأصبحت بمثابة هيئة تشريعية، لا بد لها من الموافقة على أي قانون أو تشريع جديد داخل الإمارات الصليبية، ولم يكن لتلك المحكمة مكان محدد، بل كانت تعقد في أي مكان داخل حدود الإمارات الصليبية، وحسب الظروف المحيطة^(١).

واختصت تلك المحكمة بالنظر قضايا مثل القتل والاغتصاب والاعتداءات المختلفة والاقراض والتقصير في الخدمة أو الطاعة وورثة الإقطاعيات والمنازعات^(٢)، وأيضاً تخصصت تلك المحكمة في نظر قضايا السلب والنهب والخيانة العظمى، والتي عدت من جرائم خرق القانون الإقطاعي^(٣)، وقد تزايد نفوذها تدريجياً وتم إعطاؤها مزيداً من الصلاحيات، وظهر ذلك جلياً، عندما أحييت إليها قرارات مجمع نابلس من أجل البت فيها^(٤)، وقد وصلت المحكمة العليا لأعلى درجات نفوذها، وذلك خلال عهد الملك الصليبي بلدوين الثاني، حيث أصبح لها نفوذ قوي على إدارة المؤسسات الصليبية، وكانت قرارات تلك المحكمة تقع موضع الاحترام والتقدير من كافة الصليبيين، مما ساعد على تنفيذ قراراتها وتدعيم مصداقيتها أمام المجتمع الصليبي^(٥).

ومع مرور الوقت تزايدت سلطات الملك الصليبي خاصة في عهد كل من فولك أوف أنجوي Foulque of Anjou (١١٣١-١١٤٣ م/ ٥٢٥-٥٣٨ هـ)، بلدوين الثالث Baldwin III (١١٤٣-١١٦٣ م/ ٥٣٨-٥٥٨ هـ) والملك عموري Amaury (١١٦٣-١١٧٤ م/ ٥٥٨-٥٧٠ هـ)، وفي المقابل فقدت المحكمة العليا تدريجياً قوتها، وأصبحت مجرد تابع للإرادة الملكية^(٦)، ويرجح أن فترة ضعف نفوذ

(١) سعيد البشاوي، الممتلكات الكنسية، ص. ٩٩، ١٠٠.

(2) John La Mont, Feudal Monarchy, p102.

(٣) يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص ١٤٨.

(٤) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٥٨.

Ruhricht, Regesta, doc:89, p20,

صفاء عثمان، مملكة بيت المقدس، ص ١٧٨.

(٥) صفاء عثمان، المرجع السابق، ص ١٨٠.

(٦) John La Monte, Op. Cit, p88.

المحكمة العليا تجاه الملكية الصليبية، كان نابغاً من رغبة الملوك الصليبيين أنفسهم في التحرر من سيطرة الكنيسة.

ومع تولي الملك الصليبي بلدوين الرابع Baldwin IV (١١٧٤-١١٨٥م/ ٥٧٠-٥٨١هـ)، تزايدت المشاكل الخارجية والضغط على المملكة الصليبية من جانب المسلمين، فكان الصليبيون بحاجة لقوة رادعة تقف في مواجهة المسلمين، لذلك كان تزايد نفوذ المحكمة العليا من خلال الأمراء بسبب ضعف الملك الصليبي وصغر سنه، مما أدى إلى تعاظم دور المحكمة العليا في أوصال المملكة^(١)، وبذلك تأرجحت قوة نفوذ المحكمة العليا داخل المجتمع الصليبي بين الصعود والهبوط في تناسب عكسي مع قوة ملوك الصليبيين.

وتعاظم نفوذ المحكمة العليا في الفترة التي أعقبت سقوط مملكة بيت المقدس الصليبية ١١٨٧م/ ٥٨٣هـ، على يد صلاح الدين الأيوبي، فقد مارست دورها في انتخاب ملوك ونواب المملكة والأمراء الإقطاعيين خلال الفترة التي أعقبت تلك الكارثة - من وجهة النظر الصليبية - وحتى مقدم الحملة الصليبية الثالثة. وأشهر تلك الاختيارات هو انتخاب جاي لوزيجنان ملكاً صليبياً^(٢)، وبذلك يفترض أن يكون النفوذ الملكي قد ضعف أمام سلطة المحكمة العليا، مما أدى إلى تدهور قوة السلطة المركزية التي تمثلت في الملك الصليبي آنذاك.

وقد سيطرت المحكمة العليا خلال القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، على مقاليد الأمور داخل الكيان الصليبي ببلاد الشام، فقد تحكمتم في السياسة الملكية داخل وخارج حدود المملكة الصليبية ببلاد الشام، وأصبح أمراء تلك المحكمة الأمر النهائي بشئون المملكة الصليبية^(٣)، ونستنتج من ذلك أن الأمراء الصليبيين تحايّلوا على

(١)Luchaire, Achille, Histoire des institutions monarchiques de la France sous les premiers Capétiens (987-1180), Paris, 1891, pp.243-277, John L, Lamonte, , Feudal Monarchy, p89.

(2)Eracles, L'Histoire D'Eracles Empereur et La Conquete De La Terre d'Qutremmer, Recueil des Historiens des Croisades, Hist. Occidentaux, Tom. II, Paris, 1849, pp306-308, John L, Lamonte, op.cit, p93.

(3)John de Ibelin, Le Liver de Assises, pp. 419-421.

الأوضاع التي مرت بها الإمارات الصليبية داخل بلاد الشام، حتى سيطروا على مقاليد الأمور من خلال الانضمام للمحكمة العليا، ولا تغفل حقيقة مؤكدة وهى أن القوانين الصليبية دوماً تسن من جانب العناصر التي تحرص على مصالحها من خلال التشريعات المتعددة.

ثانياً: - المحكمة الأكليرية The Church Court :- ومثلما كان للطبقة العليا و الأمراء محكمتهم الخاصة بهم، وجدت محاكم خاصة لرجال الدين الصليبيين، فلقد كانت للكنائس اللاتينية بالإمارات الصليبية نفس الهيكل الإداري على غرار مثيلاتها في الغرب الأوروبي، غير أن دائرة نفوذها كانت أوسع من أي نفوذ محكمة أخرى^(١)، وكان لها السلطة القضائية على رجال الدين والهيئات الدينية المنظمة (الإسبتارية والداوية وغيرها من الهيئات الأخرى)، فقد اختصت تلك المحكمة في النظر في شئون الديانة الكاثوليكية^(٢)، وقضايا الهرطقة وزواج رجال الدين ومعاقبة المجرمين منهم، غير أن حالات الخيانة والقتل كانت تنظرها المحكمة البرجوازية^(٣)، وأيضاً نظرت في قضايا السحر والشعوذة والبدع والزنا واللواط وشئون الوصيات^(٤).

ويتضح من ذلك أن الكنيسة حرصت على الانفصال عن شئون المجتمع الصليبي حتى في النظام القضائي، لكي لا يتدخل أي من رجال الحكومة الصليبية بشئونها الخاصة، حتى فيما يتعلق بالجرائم، مع ملاحظة أن ذلك الأمر كانت له انعكاساته السلبية حيث شكلت المؤسسة الكنسية الصليبية ما يمكن وصفه دولة داخل دولة Imperia in Imperio خاصة مع اتساع أملاكها بدرجة كبيرة، مع عدم إغفال نفوذ الرهبان الفرسان Fighting Monks كالا سبتارية والداوية والتيتون وغيرهم.

(١) إرنست باركر، الحروب الصليبية، ص ٦٤.

(2) John L, Lamonte, , Feudal Monarchy, p109, Adrian Boas, Jerusalem in The Time of The Crusades, London, 2001, p22,

صفاء عثمان، مملكة بيت المقدس، ص ١٨٤.

(3) Jonathan Philips, The Crusades, p120.

(4) John La Monte, Op.Cit, p215، سعيد البشاوي، ص ٢٥٠، هانس ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٥٠، هانس ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٥٠، هانس ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٥٠، هانس ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٥٠. الممتلكات الكنسية، ص ٣٨٥.

ثالثًا: - المحكمة البرجوازية The Court des Bourgeois: وترجع نشأة

تلك المحكمة إلى نمو الطبقة البرجوازية داخل المجتمع الصليبي، بحيث أصبح لها تواجد ونفوذ قوي، مما استوجب معه منحهم امتيازًا قضائيًا للفصل في الجرائم التي كانت تقع فيما بينهم^(١)، وتألقت من أثني عشر مشرعًا أو محلفًا، وكان هؤلاء المحلفون من اللاتين الذين ولدوا أحرارًا، وفي الغالب كانوا من العنصر البروفانسي، إلى جانب العناصر الإيطالية الأخرى، حيث كان الأمير أو السيد الإقطاعي هو المسئول عن اختيارهم وتعيينهم كمحلفين، وكان يحق لأحد الخصوم أمام هذه المحكمة أن يتخذ أحد المحلفين محاميًا عنه، إلا أن تلك الحالة كانت تحتم على المحلف ألا يتدخل في إصدار الحكم على الخصم الذي تولي الدفاع عنه^(٢). ويرجع هنا أن اختيار العنصر البروفانسي كأعضاء محلفين داخل تلك المحكمة، إنما يرجع لما تمتعوا به من خبرات قضائية، قدمت معهم من الغرب الأوربي، وخاصة إقليم بروفانس بجنوب فرنسا.

وقد اختصت تلك المحكمة بقضايا المواطنين الصليبيين وبما كان يقع بينهم من جرائم، ومنها القتل والخيانة والسرقة والاعتصاب والاعتداءات المختلفة^(٣). وأيضًا اختصت بالنظر في المنازعات التي كانت تقع بين رجال الدين وعامة الشعب في مختلف الإمارات الصليبية، وكانت تلك المحكمة تمارس أعمالها أيام الاثنين والأربعاء والجمعة من كل أسبوع، وكان العمل يتوقف بها خلال احتفالات المملكة بالأعياد والمناسبات الدينية والتاريخية^(٤).

رابعًا: - محكمة الموائع أو المدن التجارية: - ولقد اعتمدت المدن التجارية الإيطالية على قوانين مدينة أمالفي عند دخولها الموانئ الصليبية بالساحل الشامي،

(١) صفاء عثمان، مملكة بيت المقدس، ص ١٨٠

(٢) جمعة الجندي، "نظم الحكم والإدارة في مملكة بيت المقدس"، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، كتاب تكريمي للأستاذ الدكتور/ إسحق عبيد، تحرير: - محمد مؤنس عوض، ط. القاهرة، ٢٠٠٣م، ص.ص ٢١٨-٢٢٠، نبى فتحي الجوهري، إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٢٢٠.

(3) John La Mont. Feudal Monarchy, p106.

(٤) جلال حسني سلامة، عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة، دار الفاروق، نابلس، ١٩٩٨، ص ٥٥.

وذلك قبل إنشاء المحاكم الخاصة بهم بالإمارات الصليبية^(١)، ومن الجدير بالذكر أن اعتمادهم على قوانين مدينة أمالفى، يرجع إلى سبق تلك المدينة في التعامل مع مدن الساحل الشامي قبل غيرها من المدن الإيطالية الأخرى^(٢)، ومن المؤكد أنهم اعتمدوا على قوانين مدينة أمالفى بسبب خبرتها التجارية المسبقة مع مدن الساحل الشامي من ناحية، أخرى حتى لا يخضعوا للسيطرة الصليبية من ناحية أخرى.

وعلى الرغم من أن تلك القوانين نظمت العلاقة بين التجار وطرق التعامل فيما بينهم، إلا أنها لم تتطرق للجرائم التي كانت تحدث على ظهر السفن التجارية أو الموانئ الصليبية، مثل جرائم القتل والخيانة العظمى، فربما تولت المحكمة البرجوازية النظر في تلك القضايا قبل إنشاء محكمة الميناء التي تولت تلك القضايا^(٣).

وقد تم إنشاء تلك المحكمة في عهد الملك الصليبي عموري (١١٦٣-١١٧٤م/ ٥٥٧-٥٦٩هـ)، فقد كان لها حق الفصل في نظر القضايا المتعلقة بالبحرية، ولم تكن تختلف عن المحاكم الأخرى، إلا في أنها اختص بها الحي الإيطالي في كل مدينة من المدن الشامية التي وقعت تحت السيطرة الصليبية، وكان يترأسها القنصل، واختصت بالنظر في قضايا القتل والسرقة والتزوير^(٤)، وكانت تلك المحاكم تنظر في المشكلات التي كانت تقع بين الإيطاليين والصليبيين، والتي كانت تقع بين أبناء الجنسيات المتعددة^(٥).

وكانت تحدث دائماً مشاجرات في مثل تلك الحالات، لأن الإيطاليين بطبيعة الحال كانوا لا يرغبون في أن يسلموا أحد المشتبه فيهم إلى سلطات خارجية، ولذلك فلم يكن

(١) حاتم الطحاوي، "القانون البحري لمملكة بيت المقدس الصليبية، قراءة في مجموعة قوانين بيت المقدس"، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد (٥٨)، عدد (٤)، أكتوبر ١٩٩٨، ص ٤٨٥.

(٢) سهير محمد إبراهيم نعينع، "علاقات مصر التجارية بمدينة أمالفى في العصور الوسطى"، ندوة: طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، العدد (٨)، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٣٠٨.

(٣) حاتم الطحاوي، المرجع السابق، ص ٥٠٣.

(٤) إرنست باركر، الحروب الصليبية، ص ٦٤.

(5) John Lamont, Feudal Monarchy, p111.

قانون المحاكم الكوميونية هو نفسه القانون المطبق في المدن والإمارات الصليبية ببلاد الشام، بل كان هو القانون السائد في المدينة الإيطالية الأم، كما كانت أيضًا إجراءات التنفيذ معروفة من الوطن الأم. ويضاف إلى ذلك أن الأحكام القضائية كانت تتم بواسطة أقرانهم من أبناء المدن الإيطالية^(١)، ولذلك ففي الاتفاقيات التي كانت يتم عقدها مع الكومينات التجارية الإيطالية، كان يتم الاشتراط أن تنظر قضايا القتل والخيانة والسرقة أمام الملك أو تنظرها محكمته^(٢)، مستندين في ذلك على قوانين مملكة بيت المقدس، والتي نصت على إحالة المستوطنين المتهمين بجريمة قتل إلى محكمته الخاصة^(٣). وفي المقابل منحت السلطات الصليبية المدن الإيطالية حق محاكمة مواطنيهم في الجرائم الأخرى غير القتل، وإذا تمت محاكمة المواطن الإيطالي تحت نفوذ المحكمة الملكية، فإنه يكفي أن يدفع ضمانًا ماليًا حتى يتم محاكمته أمام القنصل التابع لمدينته^(٤)، وبذلك خرجت الجاليات الإيطالية من تحت السيطرة القضائية الصليبية إلا في بعض الحالات المحدودة.

وبالإضافة إلى العديد من أنواع المحاكم المختلفة، التي انتشرت في مملكة بيت المقدس بمدينة عكا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، فقد عمت الفوضى في تلك الفترة الممتلكات الصليبية ببلاد الشام، وصار بالمدينة الواحدة أكثر من سبع عشرة محكمة، كل منها تمارس سلطاتها القضائية بما يتراءى لها دون الرجوع إلى حكومة المدينة التابعة لها، ولها الحق في إصدار الأحكام التي تتدرج في شدتها حتى تصل إلى عقوبة الإعدام والشنق، ومع ذلك فقد كثر مرتكبو الجرائم بسبب حق الحماية، فكان في إمكان أي شخص أن يرتكب أي جريمة مهما كانت شناعتها في شارع ما، وبمجرد هروبه إلى شارع أو حي آخر، يصبح طليقًا وغير مسموح بإقامة أية

(١) يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص ١٢٢.

(2) Conder, The Latin Kingdom, p.164-165.

(٣) هايد، تاريخ التجارة، ج ١، ص ٣٤٠.

(٤) مصطفى حسن محمد الكنان، اتفاقية بين فليب أوغسطس ملك فرنسا و القومون الجنوبي (١١٩٠م/٥٨٦هـ)، مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، العدد: ١١، ١٩٩٢م، ص. ص ٢٥-٢٦.

دعوى قضائية ضده^(١). ويضاف إلى أسباب الضعف في السلطة القضائية، ضعف سلطة الملك الصليبي، والذي أسهم بشكل كبير في الانهيار الأمني في سائر المدن الصليبية ببلاد الشام، مما ساعد على ارتفاع معدلات الجريمة، والفشل في تطبيق القانون في ظل محدودية نفوذ الشرطة الصليبية، وفشل السلطات المحلية في السيطرة على المهاجرين الجدد القادمين من أوروبا^(٢)، ويمكن أن نستنتج من ذلك أن الصليبيين في عصر ضعفهم عانوا من فوضى تشريعية وقضائية دعمت انهيارهم ككيان سياسي مثلما حدث أخيراً في عام ١٢٩١م/ ٦٩٠هـ، عندما سقطت عكا على أيدي المماليك.

وفيما يتعلق بالجماعات الدينية الصليبية مثل الداوية والإسبتارية والتيتون وغيرها من الجماعات الأخرى، فلم تكن لتتقيد بالقوانين التي كانت تطبق في الإمارات والمدن الصليبية، فقد كان لكل جماعة قوانينها الخاصة بها، فبالنسبة لجماعة الداوية قام برنارد كاليرفوس Bernard Chairvaux في عام ١١٢٨م/ ٥٢١هـ، وذلك أثناء زيارته للأراضي المقدسة أثناء الحملة الصليبية الثانية^(٣)، بوضع قوانين تلك الجماعة، حيث تم كتابتها باللغة اللاتينية، ثم ترجمتها بعد ذلك إلى اللغة الفرنسية^(٤)، وبذلك خرجت تلك الجماعة عن سيطرة الملك الصليبي بشكل كامل.

وقد كانت العناصر الإسلامية التي عاشت تحت السيطرة الصليبية، تعاني أشد المعاناة من تردي أوضاعها المعيشية، ويضاف إلى ذلك أن القانون الصليبي نفسه لم يكن ليساوي بين عناصر المجتمع في تطبيق القانون على الجرائم التي كانت تتم بين طبقاته المختلفة، فقد جعل القانون الصليبي المسلمين في مرتبة أقل من المسيحيين اللاتين والشرقيين معاً، فعلى سبيل المثال، تم فرض عقوبات شديدة قاسية ضد المسلم الذي يتعدى بالضرب على الصليبي، رجل كان أو امرأة، بل وصل الأمر إلى شنقه إذا ما تكرر منه ذلك الفعل مرة أخرى، في حين أن القانون الصليبي لم يقترب من الصليبي

(١) جرجس فام ميخائيل، الأحوال السياسية لمملكة بيت المقدس للصليبية وعلاقتها الخارجية (١١٩١-١٢٩١م/

٥٨١-٦٩٠ هـ)، رسالة دكتوراه، جامعة الزقازيق، ١٩٨٩م، ص.ص ٣٢٦-٣٢٧.

(٢) محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٨٠.

(3) James Kroemer, The Eschatology of Bernard of Clairvaux, Wisconsin, 2000, p 42.

(4) Indrikis, Crime and Punishment, p 93.

إذا ما تعدى بالضرب على المسلم. وكان الوضع الاجتماعي والقانوني لأي عضو من هذه الأقليات تحدده وظيفته والمكان الذي يعيش فيه، وبذلك تميز المسيحيون الشرقيون أمام القانون الصليبي عن المسلمين، وقد ظهر ذلك مبكراً بمجمع نابلس والذي نص على عقوبات صارمة على كلا الطرفين إذا ما حدث بينهما أي نوع من الارتباط أو الاختلاط^(١).

ونتيجة لذلك فقد قامت العناصر الإسلامية الداخلية التي خضعت للقوانين الصليبية في تلك الفترة، بتقديم التماسات إلى الحكومة الصليبية لكي تعفيهم من تطبيق القانون عليهم، وقد ذكر حنا دي إيلين ذلك في كتابه، أن السوريين قدموا إلى حاكم بيت المقدس، ورجوه أن يظلوا يتعاملون وفقاً لعاداتهم والعرف السائد بينهم، وأن يكون لهم رئيس يحتكمون إليه في قضاياهم ومنازعاتهم والفصل في الخلافات التي تقع بينهم، فوافقهم على ذلك فيما عدا ما يخص جرائم القتل أو بتر أحد الأعضاء، فإما أن تعرض عليه فيحكم فيها أو يتركها لنائبه^(٢).

وفيما يتعلق بوظائف السلك القضائي، فقد تعددت وظائفه، ومن تلك الوظائف الفيسكونت Viscount^(٣)، الذي كان من الفرسان، حيث كان يتم ترشيحه من قبل الملك، وكان لابد أن يتوافر فيه درايته بالشئون القضائية، من أجل إتمام عمله المكلف به^(٤). فقد كان يرأس المحكمة البرجوازية، ويشرف على أعمالها وتنفيذ قراراتها

(1) Mansi (J.D), Sacrorum Conciliorum nova et amplissima Collectio, Vol. 21, Ahademishche druck –u Verlag, Sanstalt, Austria, 1961, p.p 263-264,

حسين عطية، " المسلمون في الإمارات الصليبية في بلاد الشام "، حولية كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد: السابع والعشرون، العدد: الثاني، ط. القاهرة، ١٩٩٩م، ص.ص ٨٤-٨٥.

(2) John de Ibelin, Le Liver de Assises, p54, John la Monte, Feudal Monarchy, p108.

ناجلا محمد، المسلمون في مملكة بيت المقدس، ص.ص ٧٦، ٨١-٨٢.

(٣) الفيسكونت:- كان يقوم أحياناً بأعمال الشرطة، ويقوم بدوريات ليلية في شوارع المدن، كما كان مكلف بمهمة ملاحقة المجرمين والقبض عليهم، وقد ساعده في تلك المهمة المحتسب، حيث كان يتولى المجرمين بعد القبض عليهم، فيقدمهم للمحاكمة ويسلمهم لها، فيأخذهم المستول عن ذلك لتنفيذ العقوبة البدنية عليهم أو الحبس، انظر:- Adrian Boas, Jerusalem, p22,

يوشع براور، عالم الصليبيين، ص ١٠٢.

(٤) إرنست باركر، الحروب الصليبية، ص.ص ٥٩، ٦٠.

وأحكامها، وما كان يتبع ذلك من تحصيل الغرامات المالية التي كانت تفرض على المتقاضين، وكان يرأس الشرطة المحلية، ويقوم بإرسال الدوريات الليلية من أجل حفظ الأمن في شوارع المدينة، وكان يقود بنفسه فرقة من الشرطة لتمشيط الشوارع^(١). وقد كان لوظيفة القهرمان Seneschal أهمية كبرى، فقد كان يترأس جلسات المحكمة العليا نيابة عن الملك الصليبي في أثناء غيابه وذلك في أوقات السلم، وكان يستثنى من ذلك الجلسات التي كانت تناقش القضايا الجنائية والقضايا المتعلقة بالإقطاع، فقد كانت تتم مناقشة تلك القضايا في حضور الملك الصليبي فقط، وكان القهرمان يتمتع بالأسبقية في تلك المكانة التي كانت تحل محل الملك في بعض الأوقات، بيد أن سلطته التنفيذية لم تكن لتتعدى سلطة الملك الصليبي، وكان اسمه يذكر دائماً في نهاية العقود، وكان منصبه أقرب ما يكون لمنصب رئيس الوزراء حالياً^(٢).

وكانت وظيفة كبير كتاب الإنشاء أو الرئيس الأعلى للقضاء Chancellor، من الأهمية في السلك القضائي، فقد كان هذا المنصب كنسياً يتولاه رجال الكنيسة، وكان هذا الموظف مسؤولاً عن كتابة القوانين التشريعية التي تم سنّها وتحرير الوثائق، ولأهمية تلك الوظيفة، كان هذا الموظف يحمل خاتم الأمير^(٣).

وتأتي بعد ذلك وظيفة القاضي، والتي كانت في مرتبة أقل من تلك الوظائف الأخرى، ويرجع ذلك إلى أن تلك الوظيفة كان يتولاها أحد الأساقفة أو أحد الشخصيات البارزة في المجتمع الصليبي، إلا أن تلك الوظيفة لم تكن لها تأثير أو نفوذ على السلطة الملكية، ولم تتطور تلك الوظيفة على مر الزمن، بل سادها الجمود، ويرجع ذلك إلى زيادة سلطة النبلاء، ونزعتهم إلى الاستقلالية بعيداً عن السيطرة الملكية^(٤).

(1) Benevenisti (Meron), The Crusaders in The Holy Land Jerusalem, 1976, p28, Richard, La Comte de Tripoli, p p. 40-43, Riley Smith, The Feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem (1174-1277), London, 1973, p 87,

يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص ١٧٩، نهي فتحي، إمارة طرابلس، ص ٢١٦.

(٢) يوشع براور، نفسه، ص ١٥٢.

(3) Richard, La Comte de Tripoli, p 49,

جمعة الجندي، نظم الحكم والإدارة، ص ٢٢٤، نهي فتحي، المرجع السابق، ص ٢١٥.

(٤) يوشع براور، المرجع السابق، ص ١٥٣-١٥٤، جمعة الجندي، المرجع السابق، ص ٢٠٤، نهي فتحي، المرجع

وفيا يتعلق بالسجون داخل المجتمع الصليبي، فقد وردت إشارات بسيطة عنها، فقد ذكر أحد الرحالة أثناء زيارته لمملكة بيت المقدس في القرن الثاني عشر الميلادي، السادس الهجري، أنه يوجد موقع عرف باسم أكرا (الجمجمة)، وكان خارج المدينة، حيث كان مبنى منعزلاً تماماً، وتم تخصيصه من أجل الذين حكم عليهم بالإعدام، وقد أطلق عليه اسم الجمجمة، نظرًا لأن المجرمين كانت تقص شعورهم في ذلك الموضع، وقد انتشر ذلك النظام الذي أسس عليه هذا السجن داخل المدن والإمارات الصليبية المختلفة^(١).

ووجد نموذج آخر للسجون التي انتشرت داخل المدن والإمارات الصليبية، وهو السجن الذي صمم تحت الأرض، وكانت مساحته كبيرة، وكان لهذا السجن باب من الحديد، حيث كان يسجن فيه عدد كبير من السجناء^(٢).

والآن نتجه إلى دراسة العقوبات المتعددة على الجرائم المختلفة في المجتمع الصليبي مثل القتل والزنا والرشوة.

وفيا يتعلق بجريمة القتل والعقوبة التي فرضت بشأنها، فلقد حرم الكتاب المقدس تلك الجريمة بشدة، منكرًا إراقة دماء الأبرياء^(٣)، وكانت قوانين الأسس صريحة بهذا الشأن، فلقد اعتبرت جريمة القتل من أعمال العنف الجائر التي يجب معاقبة فاعلها، وكانت عقوبتها الإعدام^(٤)، وإذا حدث نزاع بين شخصين وأصيب أحدهم ثم توفي جراء إصابته هذه، فإن المحكمة تقوم بتوقيع الجزاء على المعتدي

السابق، ص ٢١٤.

(١) جون أوف وورزبرغ (١١٦٠-١١٧٠ م)، وصف الأرض المقدسة، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٤، ط. دمشق، ١٩٩٨ م، ص ٣١٩.

(٢) فاطمة نيهان عوده، رسالة دكتوراه غير منشورة، عبد الله بن فضل الله الشيرازي، تاريخ وصاف، جامعة عين شمس، ١٩٩١ م، ج ٣، ص ٤٢٤.

(٣) يقول الكتاب المقدس على لسان متى: "قد سمعتم انه قيل للقديس لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم. وأما أنا فأقول لكم أن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم"، (إصحاح (٢١، ٢٢).

(4) Liver des Assises des Jerusalem, p549.

وتعامله معاملة القتلة، ويتم تنفيذ عقوبة القتل عليه^(١).

ومن المؤكد أن الصليبيين عندما قدموا إلى بلاد الشام من فرنسا والدول الأوربية الأخرى، كانت لديهم قوانين راسخة منذ زمن طويل وخاصة فرنسا، حيث استفادوا منها في سن قوانينهم الخاصة بهم ببلاد الشام، غير أنهم لم يكونوا ليلتزموا بتلك القوانين التي سنوها، أو حتى القوانين المقدسة، بل كانت تتم تطبيق العقوبة على الجاني بحسب مكانته والظروف التي أحاطت بالجريمة أثناء وقوعها.

غير أنه في بعض حالات القتل، لم يكن يتم توقيع العقوبة على القاتل مباشرة، بل كان يتم سجنه، حتى يعترف بجريمته في حالة الإنكار، حيث كان يتم تعذيبه على يد أسرة الضحية بأمر من المحكمة عن طريق التفويض لأهل الضحية للقيام بذلك، وكان القاتل يظل تحت التعذيب لمدة ثلاثة أيام، فإذا لم يعترف بجريمته يتم حبسه لمدة عام حتى يأتي شاهد يقوم بإنصافه، وخلال تلك الفترة إذا لم يأتي أحد الشهود، فإنه يكون قد قام بتسديد الجزاء الموقع عليه، جراء ذلك الحبس^(٢)، وبذلك كانت الوحشية في تطبيق العقوبة على المشتبه فيه إذا لم يكن هناك دليل مادي على جريمته.

وكانت عقوبة الإعدام التي طبقت على الجاني في منتهى القسوة والوحشية، فكان الإعدام ينفذ بنزع أطراف الجاني الواحد تلو الآخر، وذلك بأن تقطع ذراعه ثم ساقاه، وهكذا حتى تقطع رأسه، كما كان الذبح وسيلة أخرى من وسائل الإعدام التي طبقت على الجناة، حيث كان الجاني يتم ذبحه مثل الشاة^(٣)، وبهذا لم يكن هناك شفقة أو رحمة في تنفيذ العقوبات على القاتل.

ولم تكن تلك هي العقوبة الوحيدة التي ينالها القاتل، بل تعدى ذلك إلى حرمان القاتل من إقطاعياته طيلة حياته، وذلك في حالة ارتكابه لجريمته، وتم استدعاؤه إلى المحكمة للمثول أمامها وتحلف عن الذهاب في الموعد المحدد، ولم يأت بحجة غياب

(1) Liver des Assises de Jerusalem, p548.

(2) Piers D. Mitchell, Medicine in the Crusades: Warfare, Wounds, and The Medieval Surgeon, Cambridge, 2004, p133.

(٣) على السيد، المجتمع المسيحي، ص ١٥٥.

أو عذر منعه من الحضور، فيفقد إقطاعيته على إثر ذلك الغياب^(١)، وطبقت تلك العقوبة في حالة إذا لم يتم القبض على القاتل، ولم يشر القانون على من تطبق في تلك الحالة.

وقد كانت المحكمة تمهل القاتل لعدة أيام حتى يتمكن من إثبات براءته، عن طريق إحضار أدلة واضحة على براءته، أو عن طريق إحضار الشهود الذين يشبتون براءته من تهمة القتل، وإذا أخفق في كلا الحالتين، تقوم المحكمة بإنزال العقاب به نتيجة لجريمته^(٢).

وعلى الرغم من تلك القسوة في تنفيذ العقوبة، إلا أنها لم يكن يتم تطبيقها دائماً، بل سادت الإمارات والمدن الصليبية نوع من الفوضى في تنفيذ الأحكام القضائية، مما جعل تلك القوانين تتعطل عن العمل، وظهر ذلك جلياً في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، ففي عام ١٢٥٩م/٦٥٧هـ، قدم من فرنسا رجل ذو مقام رفيع، يدعى سير جودفري أوف سيرجينس Sir Geoffrey of Sergines، حيث تم تعيينه كفيل Bailli لمملكة بيت المقدس في عكا، وذلك بعد وفاة سير جون أوف إبلين Sir John of Ibelin، لورد أرسوف، الذي كان يشغل ذلك المنصب، وقد كان جودفري ذا سلطة قضائية كبيرة، ولم يكن ليعفو عن أي شخص بسبب عائلته أو هداياه، وقام بشنق فارس يدعى جون رينر John Renier، حيث كان هذا الفارس قد قتل أسقفاً تابعاً لفماجوستا Famagusta بقبرص Cyprus، فقام بأخذه من الربع البيزي، وطبق عليه العقوبة اللازمة، كما قام بشنق العديد من القتلة^(٣)، واختلف في من يطبق العقوبة داخل المجتمع الصليبي، فلم يكن وضعها مستقر، فتارة يطبقها مندوب البابا وتارة يطبقها الملك، وأخرى تطبقها المحكمة، وكان هناك تخطيط شديد في تنفيذ العقوبات داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، خاصة في مراحل الضعف السياسي كما هو واضح خلال القرن الثالث عشر

(1) Liver des Assises, p305.

(2) De Sempad Le Connetable, Assiese D' Antoiche, Venise, 1876, p32-34.

(3) Eracles, p4, The Templar of Tyre, p33.

الميلادي / السابع الهجري.

وفيا يتعلق بعقوبة الزنا، فمع بداية عهد الصليبيين ببلاد الشام واحتلالهم للمدن الساحلية الشامية، لم يكن هناك قانون محدد لتطبيقه على الجرائم التي كانت تقع من قبل الجنود، وظهر ذلك واضحاً عندما حاصر الصليبيون مدينة أنطاكية، فعندما انتشرت جريمة الزنا والدعارة بين الجنود، وخرجت الأمور عن سيطرة رجال الدين والقادة، قرروا تطبيق عقوبة الإعدام على كل زانٍ وزانية يتم القبض عليهم متلبسين بجريمتهم. وعينوا قضاة من بينهم من أجل تطبيق تلك العقوبة على المذنبين ومنحهم السلطة الكاملة في الكشف عن أصحاب تلك الجريمة، وظهر رأي معارض لتلك العقوبة بين الصليبيين، غير أن تلك الفئة المعارضة تم إدانتها بارتكابها عدداً من جرائم الزنا والدعارة، وتم تطبيق العقوبة عليهم، وتم ملاحقة العاهرات داخل المعسكرات الصليبية، وقطعت رءوسهم، فكانت أصوات الصراخ تعلو داخل المعسكرات الصليبية من أجل ذلك^(١)، حيث لم يكن يلتمس أي عذر لأي حالة تلبس، وقد تعددت التحذيرات بالكتاب المقدس تجاه الزنا، نظراً لما يسببه من مفسد أخلاقية وما ينتج عنه من تفكك أسري، وظهر ذلك جلياً وبوضوح داخل المجتمع الصليبي^(٢).

ويبدو أنه لم يتم العمل بتلك القوانين إلا في حالة الأزمات فقط، ومن أجل ذلك عمل رجال الدين على مواجهة انتشار ظاهرتي الزنا والدعارة بعد أن تضخم الأمر، وذلك في اجتماع نابلس ١١٢٠م/ ٥١٣ هـ، حيث اجتمع القادة الصليبيون بقيادة الملك الصليبي بلدوين الثاني وبطريق مملكة بيت المقدس جورموند، والعديد من أمراء

(1) The Caxton Eracles, p357,

وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج ١، ص ٣٠١،

Marawn Nader, Burgesses and Burgess Law in the Latin Kingdoms of Jerusalem and Cyprus (1099–1325), Cornwall, 2006, p27.

(٢) وجاءت إصحاحات الإنجيل واضحة: إنجيل متى ٥ يقول المسيح: ٢٧ وَسَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: لَا تَزْنِ! ٢٨ أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ بِقَصْدٍ أَنْ يُشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ! ٢٩ فَإِنْ كَانَتْ الْيُمْنَى فَخَا لَكَ، فَأَقْلَعَهَا وَارْمِهَا عَنْكَ، فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَفْقِدَ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِكَ وَلَا يُطْرَحَ جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ! ٣٠ وَإِنْ كَانَتْ يَدُ الْيُمْنَى فَخَا لَكَ، فَأَقْلَعَهَا وَارْمِهَا عَنْكَ، فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَفْقِدَ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِكَ وَلَا يُطْرَحَ جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ.

المدن الصليبية الأخرى وغيرهم، حيث تقرر في ذلك المجلس فرض عقوبات على الجرائم التي تقع داخل المجتمع، ومنها ما فرض على جريمة الزنا، وتم النص على الآتي:-

«كل من تثبت مضاجعته لزوجته غيره، يعزل بعد قبوله حكم القاضي ويتم استبعاده عن هذه البلاد، أما الزانية فيتم ذبحها، مالم يرد زوجها أن يغفر لها، فإذا فعل فليعبر كلاهما البحار»^(١).

وبذلك فقد تم تخفيف الحكم من الذبح والقتل، إلى الاستبعاد من البلاد في حالة إذا عفا الزوج عن زوجته الخائنة^(٢)، ويرجح من ذلك أن عملية تخفيف الحكم على المرأة الخائنة إنما يرجع لسببين، أحدهما: انتشار الزنا بين طبقات المجتمع الصليبي بصورة كبيرة، خاصة بين المتزوجين، والسبب الآخر: هو الخوف من تطبيق عقوبة الإعدام على المذنبين منهم، فإنه سوف يساهم في النقص العددي الذي ظل يعاني منه المجتمع الصليبي طوال فترة تواجده ببلاد الشام على مدى القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين.

كما يلاحظ أن هناك من ارتكب جريمة الزنا ولم يعاقب نظرًا لعلو مكانة منصبه، كما في حالة البطريك هرقل الذي اتهم صراحة من جانب المؤرخ وليم الصوري William of Tyre ، وكذلك المؤرخ المجهول الذي ذيل على تاريخه، بعلاقات منحلّة مع امرأة من نابلس ومع ذلك أفلت من العقاب، ودل ذلك على أن القوانين التي تم سنّها لم تكن لتنفيذ على الجميع.

أما اللواط، فقد نصت قوانين بيت المقدس على:-

«إذا ما ثبت على أحدهم تدنسه بدنس اللواط، فليحرق الفاعل والمفعول به»^(٣).
وينم ذلك القانون عن شيوخ اللواط داخل المجتمع الصليبي بصورة خطيرة، فلقد

(1) Mansi (J.D), Sacrorum Concilorum nova et amplissima Collectio, Vol. 21, Ahadernishche druck-u Verlag, Sanstalt, Austria, 1961, p263.

(٢) جان ريتشارد، وضع المرأة، ص ١٦٧.

(3) Mansi, Sacrorum Concilorum, p264.

هانس ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص ١٢١.

حذر الكتاب المقدس من تلك الجريمة الشنعاء^(١)، وترجع أسباب تفشي تلك الجريمة إلى:-

أولاً:- طبيعة نزل الحجاج الأوربيين في المدينة، فقد كانت أماكن النوم مشتركة، بحيث كان ينام على السرير الواحد ثلاثة أفراد، مما ساعد على إنحدار الأخلاق ونشر الرذيلة، ومن ثم غدت نزلهم أو الخانات التي يقيمون فيها مشهورة بسوء السمعة^(٢).

ثانياً:- وجود عدد كبير من الشباب العزاب بعيداً عن بلادهم لفترات طويلة بلا استقرار، مما فتح الباب لانتشار تلك الفاحشة^(٣).

ثالثاً:- كثرة الغلمان اللقطاء من مختلف البلاد والجنسيات^(٤).

رابعاً:- عدم تأصل الشعور الديني، مما يسر لمرتكبي تلك الجريمة أمرهم^(٥).

خامساً:- كثرة الأوربيين الوافدين إلى بلاد الشام من الفسقة، الذين أبعدتهم الكنيسة عن بلادهم تطهيراً لها منهم، وتكفيراً عن الجرم الذي ارتكبه، ومع مجيئهم للإمارات الصليبية ببلاد الشام، وجدوا المناخ مهيئاً لمعاودة تلك الجريمة، فانخرطوا فيها بلا رادع ولا وازع ديني^(٦).

وقد ورد في قوانين بيت المقدس ما نصه:-

«إذا ما ثبت على أحد (يقصد به أحد الصليبيين) مضاجعته لمسلمة يخصي، أما هي فيجدع أنفها»^(٧).

(١) الكتاب المقدس، اللاويين، ٢٢/١٨، " لا تضاجع ذكرًا مضاجعة امرأة، أنه رجس"، وأيضاً في اللاويين يقول " وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع المرأة فقد كلاهما رجساً. أنها يقتلان. دمهما عليهما".

(٢) براور، الاستيطان الصليبي، ص ٢٤٠، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢١٣.

(٣) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص ١٣٥، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٣٩٧، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢١٣.

(٤) علي السيد، المجتمع المسيحي، ص ١٢٠، محمد فوزي، نفسه، ص ٢١٣.

(٥) علي السيد، نفسه، ص ١٢٠، محمد فوزي، نفسه، ص ٢١٣.

(٦) علي السيد، نفسه، ص ١٢١، محمد فوزي، نفسه، ص ٢١٣.

(7) Mansi, Op. Cit p 264, Marawn Nader, Burgesses and Burgess Law in the Latin Kingdoms of Jerusalem and Cyprus (1099-1325), Cornwall, 2006, p27.

وقد تم سن هذا القانون من أجل منع الاجتماع الجنسي بين كل من الصليبيين والمسلمين، وكان ذلك من أجل الاضطهاد^(١)، وعلى الرغم من قسوة ذلك القانون، إلا أنه لم ينفذ، إذ كان الجاني يطلب أن يستعاض عن ذلك بحكم آخر، أو يلجأ إلى التوبة فتسقط عنه العقوبة^(٢)، وينم هذا القانون عن وجود حالات للاتصال الجنسي بين الصليبيين وبعض المسلمين، فأرادوا منع تلك الحالات بمثل تلك العقوبات، غير أن المصادر لم تفصح عن حالات من مثل ذلك النوع، وعلى الرغم من عدم ذكرها، فإنه لم يمنع وجودها نظراً لنصوص القوانين الصريحة الدالة على حدوث ذلك، والجدير بالذكر أن ذلك الاتصال الجنسي لم يكن بإرادة المسلمين، لكن ربما رجع ذلك أن بعضهن كن أسيرات لدى الصليبيين، وطبق الصليبيون تلك العقوبة خوفاً من أن ينجب المسلمين أطفالاً ثم يحولنهم إلى الإسلام دون علم آبائهم.

ولم تكن تلك العقوبة الوحيدة التي تلحق بالزانية، فقد نص القانون على أنه في حالة ما إذ زنت البنت العذراء وفقدت عذريتها، أو أصبحت حاملاً أو أنجبت طفلاً غير شرعي، فإن القانون نص على أن الفتاة تفقد حقها في الحصول على الإقطاعية التي خلفها لها أبوها إلى الأبد، وتلك من قوانين المحكمة التي نصت على حرمان الفتاة من ميراثها، إذا قامت بأحد ثلاث أشياء:-

أولاً:- الخيانة والخزي الذي تلحقه بوالدها ووالدتها وكل أقاربها.

ثانياً:- هو التآمر والخطيئة.

ثالثاً:- إذا قامت بتلويث سمعتها، وفقدت عذريتها التي يجب أن تحافظ عليها من أجل زوجها، ونص القانون بأن تثول إقطاعياتها إلى شقيقتها التي تليها، أما إذا كانت الثانية سيئة السمعة أيضاً، فيتم حرمانها هي الأخرى منها، لكن القانون لم يمنع بقية الشقيقات من الحصول على الإقطاعية بسبب خطأ إحدى الشقيقات، وهذا ما تنص عليه قوانين وأحكام مملكة بيت المقدس^(٣)، إذن كان لتلك الجريمة أثر خطير من

(1) Christopher Tyerman, The Crusades, p116.

(٢) هانس ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص ١٢١.

(3) Liver des Assises de Jerusalem, p629.

الناحية الاجتماعية، مما استلزم معه تغليظ العقوبة إلى أقصى درجة ممكنة، حتى تكون عبرة لغيرها.

والجدير بالذكر أن قضية العذرية لم تكن بالشيء المهم لدى الصليبيين، فقد كانوا يتباهون بالحب غير الشرعي، أو ربما أن ذلك الاهتمام بالعذرية كان نتيجة تأثر الصليبيين بالقوانين الإسلامية التي شددت على ذلك الأمر، والتي على أساسها أيضًا صيغت الكثير من القوانين الصليبية.

وقد نصت قوانين بيت المقدس في حالة اغتصاب أحد الصليبيين لإحدى المسلمات ما يلي:-

«إذا قام أحد الصليبيين باغتصاب جاريته المسلمة رغماً عنها، فنص القانون على مصادرة تلك الجارية منه، ويكون هذا المغتصب أمام القانون غير شرعي»^(١).

وقد دل ذلك على مدى الظلم الذي تعرضت له المسلمات من قبل القوانين الصليبية، والمهانة التي كن يتعرضن لها، وقد ذكر لنا أسامة بن منقذ قصة الأسيرة رفل بنت أبي الجيوش، والتي أسرها أحد الصليبيين، وعندما كانت على علم بما سيحدث لها، فقد ألقت بنفسها في أحد الأنهار، وذلك خوفاً من العار الذي كان سيلحق بسمعتها، إذا اغتصبها ذلك الصليبي^(٢).

ونصت قوانين بيت المقدس في حالة اختلاط المسلم بامرأة صليبية بإرادتها أو إكراهاً لها، على ما يلي:- «أنه إذا قام أحد المسلمين بمعاشرة أحد نساء الصليبيين بموافقتها، يتم معاقبتها بعقوبة الزنا، أما في حالة إذا قام باغتصابها بالإكراه فهي لا تتحمل ذنباً على ذلك الجرم، ويتم إخصاء المسلم المتهم بذلك»^(٣).

وقد اعتبر القانون تلك الجريمة من الأفعال الجائرة والتي كانت تحدث يومياً، وإن كان لم يتم تفعيله، نظراً لأن الضحية كانت يصعب عليها إقامة الحجة والبينة على الجاني، لذلك كانت تجد المحكمة صعوبة في محاكمة الجاني^(٤). وكانت ضحيته تعيش في

(1) Mansi, Sacrorum Concilorum, p264.

(٢) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص ١٧٩.

(3) Mansi, Op. Cit p264.

(4) Liver des Assises de Jerusalem, p549.

معاناة شديدة بسبب تلك الحادثة^(١)، ولعل في ذلك اضطهاد للمسلمين الذين كانوا تحت السيطرة الصليبية، فلم يكن ليتساووا مع الصليبيين في نظر قضاياءهم. ولم تكن فرق الرهبان بمنأى عن تلك الجريمة، بل امتدت إليهم أيضًا، ووجدت لها العقوبة الخاصة بها، وأول من وضع تلك العقوبات هو ريموند دي بوي Raymond of Le Puy، فقد أعد مجموعة من القوانين من أجل الحفاظ على نظام جماعة الإسمتارية بوجه خاص، ففرض تلك العقوبات على مرتكبي الجرائم من أفراد الجماعة، وعندما تولي ريموند منصب مقدم فرقة الإسمتارية، عقد اجتماعًا موسعًا حضره كبار رجال الفرقة، وقرأ عليهم القوانين التي وضعها من أجل حماية الفرقة، حيث لم يكن لفرقة الإسمتارية أية قوانين تحكمهم حتى تولي ريموند، وهي قوانين تعلقت بأمور العفة والطاعة^(٢).

وفيا يلي نص القانون الذي يتعلق بجريمة الزنا، والذي نص على: - «أنه إذا اقترف أحد الرهبان جريمة الزنا، فعليه إما أن يتوب بشكل سري، أو يفرض على نفسه عقوبة مناسبة تتناسب مع حجم الجريمة التي مدنيًا، أما إذا انكشفت جريمته وأصبحت معروفة لدى الجميع، فعليه أن يقوم بالتعري داخل الكنيسة في المدينة التي اقترف فيها تلك الجريمة، في يوم الرب بعد القداس، وبعد مغادرة الناس للكنيسة، حتى يقوم رئيسه الديني بجلده، وتطبق تلك العقوبة عليه في حالة إذا كان راهبًا دينيًا، أما إذا كان راهبًا مدنيًا، فإن العقوبة هنا تختلف تمامًا، فيقوم رجال الدين داخل الكنيسة بجلده بالسوط بشدة دون شفقة، ويتم طرده من جماعته إلى الأبد، وإذا حدث بعد أن يتم تطبيق تلك العقوبة عليه، وهده الله وأراد التوبة، والعودة مرة أخرى إلى جماعته، فإن على الجماعة أن تقبله مرة أخرى كعضو ضمن بقية الأعضاء، وتقوم الجماعة في تلك الحالة بفرض عقوبة عليه مناسبة لحجم الجريمة التي مدنيًا، ويعامله أعضاء المجموعة بمثابة عضو غريب عنهم وذلك لمدة عام كامل، ويتم وضعه تحت المراقبة من قبل

(1) Pier Mitchell, *Medicine in the Crusades*, p128.

(٢) نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، دار الكتاب الجامعي، ط. القاهرة، ١٩٩٤م، ص ١٤١.

رجال الدين الآخرين، حيث يتم تقديم تقرير واف عن سلوكه وتصرفاته خلال تلك الفترة، ثم بعد ذلك يتم التشاور فيما بينهم بخصوص ذلك المذنب، ومدى منفعة للجماعة»^(١). ويلاحظ من خلال ذلك القانون عدم المساواة في تطبيق العقوبة بين أفراد الجماعة، بل اختلفت حسب مكانة كل واحد، والطبقة الاجتماعية التي قدم منها، مما يدل على عدم النزاهة في تطبيق القوانين بين أفراد الهيئة الواحدة، مما كان يؤدي إلى زيادة معدل الجريمة بين أفراد الهيئة من ناحية، وزيادة وانتشار الفساد بين أفراد الهيئة من جهة أخرى، ومن ناحية ثالثة أصبحت الجماعة قدوة لأفراد المجتمع الصليبي في التعصب ورفض الآخر.

وكذلك وضع ريموند قانوناً آخر، في حالة ما إذا اتهم أحد أعضاء الجماعة أحد زملائه بتلك الجريمة، وليس لديه بينه: - «أنه إذا قام أحد الرهبان باتهام زميل له بتهمة الزنا دون دليل واضح على ذلك، ففي تلك الحالة يتم تطبيق عقوبة الزاني عليه والتي كان من المفترض أن يتم تطبيقها على زميله المذنب»^(٢).

وعلى الرغم من ذلك، تم تطبيق عقوبة أخرى على الفارس الذي يتم ضبطه متهمًا بممارسة جريمة الزنا، فإنه كان يتم تخيره إما أن تأخذ المرأة العاهرة بمقوده في المعسكر وهو في قميصه، وتقوم بشده بحبل تجريخاً له، وبين أن يتخلى عن حصانه وسلاحه ويطرد من الجيش^(٣)، أو أن يتم تجريد الاثنين من ملابسهما ويجبران على المشي أمام الجيش، وهما مقيداً اليدين خلف ظهرهما، ويقوم جلادان بجلدهما بالعصي بشدة، وكان الهدف من ذلك هو تخويف الآخرين^(٤).

أما عند الفرسان فكان العقاب على تلك الجريمة عند هيئة فرسان التيتون بالتوبة

(١) ريموند دوبري، قانون ريموند دوبري، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٣، ط. دمشق، ١٩٩٨م، ص. ص ٢٨٣، ٢٨٤.

(٢) ريموند دوبري، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

(٣) جوائفل، حياة القديس لويس، ص ٢٢٤، جوناثان سميث، الحملة الصليبية الأولى، ص ١٦٤، محمود الحويري، الأوضاع الحضارية، ص ٧٨.

(٤) حسن عبد الوهاب، دراسات في تاريخ الحضارة الأوربية في العصور الوسطى، (المجتمع الصليبي في بلاد الشام)، ط. الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص ١١.

لمدة عام كامل، هذا إذا كانت جريمته فعلها بشكل سري، أما إذا تم كشفها أمام العلن وكانت فعلته فاضحة، يطلق على بيته أسوء الأسماء، ويقوم بالخدمة مع العبيد، ويخدم بدون ارتداء الصليب، ويأكل مع الأجراء جالساً على الأرض، ويصوم ثلاثة أيام من كل أسبوع على الخبز والماء^(١).

وبذلك تكون العقوبات التي عرفت عند هيئات الفرسان، يبدو أنها كانت مقسمة حسب نوع المخالفة التي يرتكبها العضو، وذلك لوجود عقوبات ثانوية وعقوبات بسيطة وأخرى جسيمة، فالمخالفات الثانوية كانت تتراوح ما بين سبعة أيام وأربعين يوماً^(٢).

ويلاحظ هنا التفريق في تطبيق عقوبة الزنا عند كل من العامة، وفرسان الهيئات الدينية، فعلى الرغم من أن جميعهم على دين واحد، وعقيدة واحدة، والكل يعمل في خدمة القضية الصليبية -من وجهة نظرهم- إلا أنه لم يكن هناك مساواة في تطبيق العقوبة بين كافة الرعية، سواء أكان رجل من العامة أو من عناصر الهيئات الدينية، وكان ذلك العامل أحد أهم أسباب الانهيار الداخلي للمجتمع الصليبي ببلاد الشام. وبصفة عامة، فإن وجود قوانين تعاقب حالات الزنا داخل الهيئات الدينية الحربية الصليبية كالاستبارية، يؤكد بها لا يدع مجالاً للشك على أن الفساد تطرق إلى تلك المؤسسات التي صورتها المصادر التاريخية الصليبية الباكرة على أنها عناصر من الأتقياء والأطهار وجند المسيح Militia Christi.

وقد تمثلت عقوبة جريمة الرشوة على المتهم الذي كان تثبت إدانته بتلك الجريمة في العزل من كافة الوظائف التي كان يتقلدها، بل وكان يتم سجنه جراء ما اقترفه^(٣)، بل لقد وصلت عقوبة تلك الجريمة إلى حد التعذيب بالجلد داخل السجن، حتى يعترف المتهم بمكان الأموال التي أخذها جراء تلك الرشوة^(٤).

(1) Indrikis Sterns, Crime and Punishment among The Teutonic Knights, Speculum, Vol. 57, No. 1, Jan, 1982, p91.

(٢) على السيد، المجتمع الصليبي، ص.ص ١٥٧، ١٥٦.

(3) Albert D'Aix, Historia Hierosolynitana, ed. R.H.C, H.Qcc, Tome, IV, Paris, 1879, p548.

(4) Albert D'Aix, Ibid, p.p 545-546 .

ويلاحظ من غلظة عقوبة تلك الجريمة، أن أثارها كانت من الخطورة على المجتمع الصليبي بمكان، مما جعل السلطات الصليبية تتشدد في تنفيذها، ولا تبالي بوضع أو مكانة المتهم.

وكانت قوانين الجماعات الدينية الصليبية بالنسبة لجريمة الرشوة متفاوتة في إنزال العقاب بالمرتشين، فكانت جماعة الداوية تعاقب المرتشي بالطرد من الجماعة، وكانت جماعة الإسبتارية تسحب منه الرداء الخاص بالجماعة، أما بالنسبة للجماعات الألمانية. فقد تراوحت عقوبة المرتشي بها بين العقوبتين، وذلك إذا اقترف الأخ نفسه تلك الجريمة، أو تسبب في تورط أحد الأخوة بها^(١)، وبذلك تكون الجماعات الدينية الصليبية، شكلت مجتمعاً مستقلاً بذاته، حتى في سياسته في معاقبة المجرمين.

ووجدت عقوبات لجرائم أخرى شملت قوانين الأسيس، غير أنه لم ترد إشارات عنها في المصادر الصليبية إلا نادراً، على الرغم من انتشارها بشكل خطير داخل المجتمع الصليبي، ومن أمثلة تلك الجرائم:

ومثلما كان للجرائم الأخرى التي تم تفصيلها في الفصول السابقة، وما كان لها من أثر على المجتمع الصليبي ببلاد الشام، حيث ساعدت على تفككه، وزيادة عوامل التناحر بين عناصره، كان لجريمة السرقة تأثير سلبي على المجتمع الصليبي، فعلى الرغم من انتشار السرقة بصورة كبيرة داخل طبقات المجتمع الصليبي، إلا أن الإشارات التي وردت عنها بالمصادر الصليبية، كانت نادرة للغاية، ولم تذكر منها إلا النزر اليسير الذي وقع أثناء أحداث الحملة الصليبية الثالثة، ومنها على سبيل المثال:-

فأثناء حصار القوات الصليبية لمدينة عكا، حدثت مجاعة شديدة داخل المعسكر الصليبي، بسبب ندرة الطعام، قام الجنود الصليبيون بأفعال جلبت عليهم اللوم والنقد، فمع كثرة المشاركين في الجيوش الصليبية واختلاف أجناسهم وألستهم، ومع شدة المجاعة، قام هؤلاء الجنود وخوفاً من عار التسول، بالسطو على مخازن الخبازين، وسرقوها حتى لا يموتون جوعاً^(٢).

(١) حسن عبد الوهاب، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي، ص ٩٧.

(٢) أمبروز، حملة الملك ريتشارد قلب الأسد، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج=

وحادثة أخرى وقعت خلال الحملة الصليبية الثالثة، فقد أمسك الجنود بأحد اللصوص وهو يقوم بالسرقة، فقاموا بتقييده وأحكموا وثاقه وأبقوه تحت الحراسة في دار أحد الخبازين حتى ينظروا في أمره، غير أن ذلك اللص استغل انشغال أهل الدار بما يقومون به من أعمال منزليه، فتخلص من قيوده وانطلق هاربًا خارج البيت^(١). والشاهد من تلك الحادثتين، أن الدافع بينهما مشترك وهو دافع الحاجة لسد الجوع، ويلاحظ في هاتين الحادثتين، أن السلطات الصليبية لم تطبق العقوبة على السارقين، فاكفوا فقط بحبسهم، مما يدل على مدى تأثير المجاعة على الجميع، بمعنى أن هناك ظرفا استثنائيا عام تطلب عدم التشدد في فرض العقوبة.

وفي القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، تأسف جاك الفيتري على ما كان يحدث داخل المجتمع الصليبي بمملكة عكا الصليبية، فقد رأى الصليبيين في عسقلان يقومون بالسطو على القوافل الصليبية التي كانت تمر بمدينتهم، فكانوا يسرقون ما تحمله الأمهات من أشياء ادخرتها لأبنائهن، واعتدوا على أمتعتهم وجرى في دماء أولئك اللصوص السلب والنهب، وعندما رأت تلك النساء ما تعرضن له من أعمال السطو والسرقة من أبناء جلدتهم وإخوانهم المسيحيين- تلك الأشياء التي تمت سرقتهما، كان المسلمون قد تركوها لهم ومن أجل أبنائهم أيضًا- تمنوا الرحيل فوراً إلى بلادهم في الغرب الأوربي مع السفن التجارية الراحلة^(٢)، نظرًا لقدم اللصوص وأوباش مدن الغرب الأوربي والبحر المتوسط، لكي يبارسوا جرائمهم ضد إخوانهم القادمين الجدد من الصليبيين لبلاد الشام^(٣)، ودلت تلك الحادثة على دلالات مهمة منها:

- عدم شعور الصليبي بالأمان داخل المجتمع الصليبي.
- انتشار اللصوص داخل المجتمع الصليبي بصورة كبيرة خرجت عن نطاق

= ٣٢، ط. دمشق، ١٩٩٥م، ص ٢٧٧.

(١) مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج ١، ص ١٧١.

(٢) جاك دي فيتري، تاريخ مملكة بيت المقدس، ص ٢٦٥.

(3) Thomas Cleve, The Fifth Crusade, p382.

سيطرة السلطات الصليبية نفسها.

- شعور الصليبي بالغربة في الأراضي المقدسة، وتفكيره جديدًا في الرحيل عن الأراضي التي قاتلوا من أجل الاستيلاء عليها خلال أحداث الحملة الصليبية الأولى.

- قام الصليبي بعقد مقارنة بين معاملة المسلمين وبين معاملة إخوانه من الصليبيين، وكانت النتيجة في صالح المسلمين، وكانت تلك من أخطر النتائج على المجتمع الصليبي ببلاد الشام.

وقد ازداد معدل جريمة السرقة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، فقد كانت الظروف مهيأة بمملكة عكا الصليبية لتفشي تلك الجريمة، ويرجع ذلك لتجمع عدد كبير ممن لفظتهم أوروبا بسبب جرائمهم من اللصوص والمشعوذين^(١)، والمغامرين والهاربين من العدالة^(٢).

وقد حاول مجمع نابلس معالجة جريمة السرقة التي انتشرت بصورة خطيرة داخل المجتمع الصليبي، ففرض عقوبات صارمة لمواجهة تلك الجريمة، ومنها ما يلي:-
«أنه إذا ما ثبت على أحد جرم السرقة، إذا تجاوزت المسروقات ثلاثة دنانير بيزنطية، تبت أعضاؤه وهي اليد والعينان، أما إذا كانت أقل من ثلاثة دنانير، يكوى وجهه ويطاف به في المدينة تحت الجلد، وإذا وجد على بدنه شيء، يعاد إلى المتضرر، وإذا لم يكن لديه شيء، يسلم نفسه إلى صاحب المسروقات، وإذا عاد إلى ارتكاب نفس الجرم، يحرم من جميع أعضائه أو يحرم من حياته».

بل وأضاف المجمع قانوناً آخر لمقاومة السرقة، وهو إذا قام أحد الأفراد بسرقة شخص وكان السارق قاصراً، يتم وضعه تحت الوصاية إلى أن ترى دائرة الملك ما العمل في شأنه.

ولقد أضاف المجمع قانون للحد من السرقة بين البارونات، وهو إذا اكتشف أحد البارونات أحد زملائه في جرم السرقة المشهود، لا تبت أعضاؤه، بل يرسل إلى دائرة

(١) لمزيد من التفاصيل عن تكوين المجتمع الصليبي ببلاد الشام، انظر الفصل الأول.

(٢) لطيفة أبو عنين، الحياة الاقتصادية، ص. ١٣١-١٣٢، محمد فوزي، مملكة عكا، ص. ٢١٢-٢١٣.

الملك ليحاكم^(١).

ويلاحظ أن تلك العقوبات كانت تعجيزية للمتهم، ولا تعطي له فرصة للحياة مرة أخرى، مما يدل على وحشيتها وعدم آدميتها، وجاءت العقوبات التي فرضتها قوانين المحكمة البرجوازية أشد قسوة، وكشف ذلك القانون أيضًا تورط النبلاء في تلك الجريمة والذين من المفترض أن يكونوا بعيدين تمامًا عن شبهة تلك الجريمة نظرًا لعلو مكانتهم الاجتماعية.

وقد ذكرت قوانين المحكمة البرجوازية، عقوبة السرقة التي كانت غريبة على المجتمع الشامي ولم يكن يعتدها من قبل، لأنها اتسمت بشيء من الغرابة، «فكان السارق يتم ضربه بالسوط ويطرد من الإقطاعية، وإذا عاود الجريمة مرة أخرى، كانت تبتري يده أو يشنق، ونفس العقوبة كانت تنزل بالمتواطئ معه، أما بالنسبة للمجني عليه الذي كان يترك السارق يهرب، فإنه كان يفقد كل ما يمتلك، وينزل إلى مرتبة العبيد، لأن القانون هنا اعتبر أن الجريمة ارتكبت في حق الحاكم، وليس ضد شخص»^(٢).

ولقد وصل الأمر إلى إخصاء اللصوص الذين كانوا يرتكبون جرائم السرقة الصغيرة، وكان الهدف من ذلك هو جعل هؤلاء اللصوص لا ينجبون ذرية من الأبناء يقلدون أفعال آبائهم الآثمة، ويرجح أن ذلك العقاب طبق بصورة كبيرة داخل المجتمع الصليبي، ويدلل على ذلك كثرة وجود الغواني على ما يبدو داخل المجتمع الصليبي، نتيجة لازدياد عدد الخُصيان داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، حيث كانوا يقومون جميعًا بخدمة النساء من بنات الطبقات العليا^(٣). وربما نتج عن انتشار جريمة السرقة، نشأة جماعة الفرسان الداوية، والتي كانت مهمتها الرئيسية هي تأمين الطرق التي كان يسلكها حجاج بيت المقدس من نهب قطاع الطرق اللاتين^(٤). وقد أظهرت القوانين الخاصة بجريمة السرقة، أن تلك الجريمة لم تتعد عن كبير أو

(1) Mansi, , Sacrorum Conciliorum, p266.

(2) Assises de Jerusalem, Cour des Bourgeois, pp. 173-181.

(٣) يوشع براور، عالم الصليبيين، ص ٨٤.

(٤) ناجلا محمد، المسلمون في مملكة بيت المقدس، ص ٨٠.

صغير، غني أو فقير، نبيل كان أو رجل من العامة، فقد كانت القوانين واضحة في ذلك الجانب، ويضاف إلى ذلك أيضًا، وجود الطبقة في تنفيذ العقاب على الجاني^(١)، مما أعطى تلك القوانين عدم المصادقية، بل ويرجح أيضًا أنها لم تكن لتطبق على طبقة النبلاء، وطبقت فقط على طبقة العامة من الصليبيين، الذين لم يكن لديهم مقدرة على الالتفاف حول القانون.

وقد كان للفساد الأخلاقي دوره في انتشار جريمة أخرى لها طابع مختلف، وهي جريمة الاحتيال، فلقد صحبت رحلات الحج مجموعات كبيرة من النساء المحتلات بسبب رواج الظروف في المدن الصليبية وخاصة مدينة عكا، فكان من السهل عليهن أن يتدثرن في دثار الوقار والغنى، ويقمن بالنصب على الحجاج الذين ينخدعون بمظهرهن المحتشم، ولم تقتصر تلك الجريمة على النساء الوافدات السيئات النية، بل كان للسكان المحليين دور كبير في انتشار تلك الجريمة، فقد قاموا بغش أولئك الحجاج واقتناص ما معهم من الأموال بدون أدنى جهد، ولذلك شارك في القيام بتلك الجريمة عدد كبير من سكان المدن الصليبية ببلاد الشام، وشاركهم في تلك الجريمة التجار الإيطاليون، محتمين في ذلك بالامتيازات القضائية التي حصلوا عليها من الملوك والأمراء الصليبيين، والتي اختصت المحاكم الوطنية في نظر تلك القضايا^(٢).

ومن العرض السابق يمكن استنتاج ما يلي:-

- حرص الصليبيون منذ بداية احتلالهم لمدن بلاد الشام على سن التشريعات لمواجهة الجرائم التي انتشرت بين الجيوش الصليبية بصورة كبيرة، والتي جعلت رجال الدين يلقون باللوم على قادة الجيوش الصليبية بسبب المحن التي مروا بها.

- تعددت الجرائم في مملكة بيت المقدس الصليبية ومن بعدها مملكة عكا، وبقية الإمارات الصليبية الأخرى، على نحو استدعى تنوع القوانين التي تم سنها لمواجهة ذلك، ومثل ذلك الوضع يعكس لنا أن دراسة مثل تلك القوانين يعد أمرًا بالغ الأهمية

(١) محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢١٢.

(٢) جاك دي فيتري، تاريخ مملكة بيت المقدس، ص ٢٢٧، يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص ٢٤٠، هايد، تاريخ التجارة، ج ١، ص ٣٤٠-٣٤١، محمد فوزي، المرجع السابق، ص ٢٢٣.

لفهم طبيعة الكيان الصليبي على مدى القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين.

- كانت القوانين الصليبية صورة مصغرة للقوانين التي كانت تطبق في فرنسا ذلك الوقت، فقد كانت تلك القوانين الفرنسية المصدر الأساسي للتشريع الصليبي، وكانت فرنسا تمد الكيان الصليبي من وقت لآخر بالمشرعين لتطوير تلك القوانين لمواجهة تطور الجريمة وانتشارها بصورة كبيرة.

- كان للطبقة دورها في التفرقة في تنفيذ القوانين بين أبناء المجتمع الصليبي، فقد اختلف تطبيق العقوبة في الجريمة الواحدة بين النبلاء وعامة الشعب، مما أدى إلى إفلات الكثير من المجرمين من العقاب، وفي المقابل نزل العقاب على المذنبين من عامة الصليبيين فساعد ذلك على تزايد الاختلاف والفرقة بين أبناء الطبقتين.

- عندما كانت مملكة الصليبيين قوية، كان هناك اتجاه قوي لتطبيق القوانين وفرضها على الجميع، وعندما ضعفت كانت القوانين - على الأرجح- مجرد حبر على ورق وانطبق ذلك الوضع على الإمارات الصليبية.

- إن التأمل في العقوبات المذكورة تدل دلالة وضاحة على أن الكيان الصليبي على نحو واقعي كان أبعد ما يكون عن المثالية التي صورتها لنا كتب الحوليات الصليبية الباكورة، فقد صورت الصليبيين على أنهم جند المسيح الأبطال، بينما الواقع التاريخي دل بوضوح على تفشي كافة أشكال الجريمة في صفوف الغزاة، وعلى نحو كشفت عنه قوانين بيت المقدس نفسها، وكذلك النصوص الصريحة لمؤرخي الصليبيين خاصة منذ النصف الثاني عشر من القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري فصاعداً.

- كشفت العقوبات التي فرضت على الهيئات الدينية الحربية الصليبية مثل الإسمبترية، والداوية، والتيتون وغيرهم أنهم بالفعل كانوا أشبه بدولة داخل الدولة Imperia in Imperio ، فقد وجدت لها قوانينها الخاصة بها المختلفة عن قوانين المملكة الصليبية، وكان ذلك - مع عوامل أخرى- مؤشراً دالاً على التفكك والتناثر الذي عانى منه بشدة المجتمع الصليبي.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة للجرائم والعقوبات في المجتمع الصليبي في بلاد الشام خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين، توصلنا إلى نتائج عديدة منها:-

- حرص الصليبيين على سن العديد من القوانين والتشريعات لمواجهة الجرائم التي تفشت داخل مجتمعاتهم منذ بداية تأسيس الكيان الصليبي، وحتى سقوط آخر المعقل الصليبي ببلاد الشام في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري، حتى يظهروا بالشكل اللائق أمام العالم المسيحي، وحتى يحافظوا على الأهداف التي من أجلها خرجوا من الغرب الأوروبي.

- أظهرت الدراسة أن الملوك الصليبيين لم تطبق عليهم العقوبات الخاصة بالجرائم، كما لم تسن قوانين خاصة بهم لمعاقبتهم على ما كانوا يقترفونه من جرائم على الرغم من أن المصادر الصليبية ذكرت تورط الكثير منهم في ارتكاب الجرائم، وبذلك أصبح الملك فوق القانون يفعل ما يشاء دون حساب.

- كما كان لرجال الدين وضع خاص بهم داخل المجتمع الصليبي، فلم تكن تطبق عليهم عقوبات للجرائم التي كانوا يقترفونها إلا في حالة غضب الملك عليهم أو الأمير الصليبي، ولم تكن العقوبات التي تطبق على العامة تطبق عليهم، بل كانت لهم عقوبات خاصة بهم على حسب ظروف ووضع كل رجل دين ومدى قربيه من السلطة الحاكمة.

- أثبتت الدراسة وجود نوع من الترابط بين بعض الجرائم، وأنه من أجل القيام بجريمة ما كان لابد من ارتكاب جريمة أخرى لإكمال الجريمة الأولى، وقد ظهر ذلك بوضوح بين كل من جريمتي القتل والرشوة، فقد كانت تستخدم جريمة الرشوة من أجل تنفيذ جريمة القتل، وبذلك وجد ترابط زمني واحد بين الجريمتين.

- وجود النزعة الطبقية في تنفيذ العقوبات على المذنبين من الصليبيين من ناحية، ومن العناصر السكانية التي خضعت للسيطرة الصليبية من ناحية أخرى، فقد كان المذنبون من النبلاء يسمح لهم استبدال العقوبة بغرامة مالية، أما عناصر السكان الآخرين لم يكن مسموح لهم بذلك، مما أدى إلى زيادة أشكال العنف داخل المجتمع

الصليبي.

- زيادة الإحساس لدى المواطن الصليبي بعدم الأمان داخل مجتمعه نتيجة لوقوع ذلك الكيان الدخيل وسط محيط إسلامي معاد له من ناحية، وتباين طبقات المجتمع الصليبي من ناحية أخرى، مما أدى إلى زيادة نسبة الاحتكاك بين عناصره المتباينة، فأدى ذلك إلى ارتفاع معدل الجرائم.

- كان لزيادة معدل الجرائم داخل المجتمع الصليبي في مواسم معينة، وهي الشهور التي كانت تأتي فيها القوافل التجارية من أوروبا وعلى متنها الحجاج الصليبيون، فقد كانوا حديثي عهد ببلاد الشام، مما أدى إلى وجود نوع من النفور بين الحجاج الذين أرادوا الاستقرار ببلاد الشام، وبين الصليبيين القدامى الذين استقروا بالمنطقة فترة طويلة، كل ذلك كان من عوامل ازدياد الجريمة داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام.

- كان للمرأة دور في ارتكابها للجرائم، وكان لطبقة العامة النصيب الأكبر من ارتكاب المرأة للجريمة، خاصة فيما يتعلق بجريمتي القتل والزنا، فقد تفننت النساء في قتل أزواجهن من أجل التفرغ لعشاقهن القادمين من الغرب الأوربي، وبذلك ارتبطت كل من جريمتي القتل والزنا، فقامت النساء بالإقدام على الجريمة الأولى وهي القتل، لكي يستطيعوا القيام بالجريمة الثانية وهي الزنا.

- ساعدت الظواهر البيئية على انتشار الجريمة، فطبيعة المناخ ببلاد الشام اختلفت عن الطبيعة المناخية بأوروبا، فكان لزيادة نسبة الحرارة تأثيرها على سلوك الصليبيين المقيمين ببلاد الشام، مما أدى إلى إقدامهم على ارتكابهم الجرائم المختلفة نتيجة لعدم تحملهم لطبيعة المناخ ببلاد الشام.

- أوضحت الدراسة أنه نظرًا لتعدد وتباين طبقات المجتمع الصليبي من لغات وديانات مختلفة، وأن كل طائفة لجأت إلى قوانينها لكي تحاكم بها، أدى ذلك إلى وجود بيئة خصبة للمجرمين من أجل ارتكاب جرائمهم بكل سهولة، لأنهم سوف يحاسبون حسب قوانينهم التي سوف تكون أكثر رحمة من القوانين الصليبية.

- أثبتت الدراسة تدني المستوى الأخلاقي لعدد من رجال الدين من الصليبيين الذين تولوا مناصب دينية متقدمة داخل المجتمع الصليبي، وأن قطاعًا لا يستهان به

من تلك الطبقة لم يكن مؤهلاً بالقدر الكافي لارتقاء تلك المناصب التي شغلها طوال فترة تواجد الصليبيين ببلاد الشام، ودل على ذلك تناسي رجال تلك الطبقة لمكانتهم الدينية وحرصهم على تحقيق مكاسب مادية وإشباع رغباتهم الجنسية وذلك على حساب مكانتهم.

- كما أن الجرائم قد انتشرت على نطاق واسع في المجتمع الصليبي بحكم تكوينه غير المنسجم، ناهيك عن الطبقة الجامدة التي كونت كثيرًا من الأحقاد والضغائن في ظل جمود هذا النظام طوال فترة تواجد الصليبيين ببلاد الشام، وهو ما أغلق الباب أمام الرقي الطبقي مما فتح الطريق للأحقاد والضغائن وما نتج عنها من جرائم.

- كان لتعدد وتداخل القوى السياسية داخل المجتمع الصليبي ومحدودية نفوذ الملك في ظل وجود قوى مستقلة داخل المملكة مثل الهيئات الدينية العسكرية والقومونات الإيطالية، دور لا ينكر في محدودية سلطات الملك والشرطة، مما وفر مناخًا مناسبًا للجريمة والمجرمين الذين عرفوا جيدًا كيف يرتكبون جرائمهم ويهربون بلا عقاب ولا حساب.

- تفشت جريمة القتل داخل المجتمع الصليبي وتنوعت أشكالها بسبب الخلافات السياسية وأطباع رجال الدين، ناهيك عن الخلافات الأسرية والأمراض الاجتماعية.

- كما شاعت وانتشرت جريمة الزنا بالرغم من تشديد الكتاب المقدس النكر على الزنا والزناة، ومع ذلك شاعت الجريمة بسبب الفوارق الطبقة وعدم التزام رجال الدين بدورهم المنوط بهم وانهماكهم في ملذاتهم، وبالتالي اقتدى بهم عامة الصليبيين وخاضوا كخوضهم مما أدى إلى غرق المجتمع بكل قطاعاته في جريمة الزنا، ولم تفلح قوانين أو مواعظ في التصدي لهذا المرض.

- كما لم تقل جريمة الرشوة عن القتل والزنا انتشارًا في المجتمع الصليبي، وظلت تتفاقم وتتصاعد في كل المناسبات نظرًا لتدنى الدخل المالي لدى عامة الصليبيين من ناحية، ومن ناحية أخرى انتشار البطالة داخل المجتمع الصليبي، ومن ناحية ثالثة الصراع على الوظائف الذي شمل العديد من أبناء المجتمع الصليبي.

- كما وإن قطاعًا كبيرًا من رجال الدين الصليبيين الذين تولوا المناصب الكنسية،

لم يكونوا مؤهلين بالدرجة الكافية لتولي مهامهم الدينية والتي تمثلت في وعظ وإرشاد أبناء المجتمع الصليبي، مما أدى إلى تورطهم في العديد من الجرائم الأخلاقية التي كانت متناقضة تماما مع صفاتهم الدينية من ناحية، ومن ناحية أخرى انعدام الثقة بينهم وبين أبناء المجتمع الصليبي مما ساعد على انتشار الرغبة في الخروج على تلك التعاليم الدينية، بذريعة أن من كان يبشر بتلك التعاليم الدينية هو أول من قام بخرقها.

- إدراك الكثير من عقلاء الصليبيين مدى الانهيار الخلقي والسياسي الذي وصل إليه المجتمع الصليبي ببلاد الشام، ويضاف إلى ذلك انعدام الأمن وكثرة انتشار الجرائم، ناهيك عن رؤيتهم لتفكك المجتمع الصليبي ونشوب الصراعات الدينية والمذهبية بين أبنائه من ناحية، وتنامي القوى الإسلامية المحيطة بالكيان الصليبي من جميع الاتجاهات من ناحية أخرى، ومن ناحية ثالثة رؤيتهم لقلّة الدعم الذي كان يأتيهم من الغرب الأوربي والذي تمثل في شراذم القوى الأوربية، كل ذلك جعلهم يدركون عدم جدوى استمرارهم للعيش داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، فقاموا بجمع أموالهم وممتلكاتهم ورحلوا إلى قبرص وعادوا إلى الغرب الأوربي بصورة نهائية.

الملاحق

جريمة القتل

اسم الضحية	عام الجريمة	وظيفة الضحية	أداة الجريمة	نوع الضحية ذكر/أنثى	مكان الجريمة	تفسير المصادر
ثوروس	٧ مارس ١٠٩٨م/٢ ربيع الأخر ٤٩١هـ	أمير	قطع الرأس أو الموت بالسهام	ذكر	الشارع	كان الأهالي يضمرون الحقد والكراهة لثوروس أميرهم، وذلك بسبب أنه قام بمصادرة ما عندهم من ذهب وفضة، بالإضافة إلى ظلمه لهم، وكان إذا أراد أحد الثورة ضده، قام ثوروس بتحريض الترك حتى يتخونوه نهياً وسلباً لكل ما يمتلكه، وذلك عن طريق رشوتهم من أجل القيام بذلك، وبذلك عاش أهالي الرها في خوف دائم من حاكمهم، ولهم السوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج ١، ص ٢٦٢-

٢٦٣.						
وليم جوردان	١١٠٩م، ٥٠٣هـ	أمير	قتل بسهم أطلق بالمصادفة ودون تدبير أو بيد أحد رجاله في ظروف غامضة	نكر	أحد الطرق	وهو أن نزاع دب بين كل من عائلة الطرفين، وذهب وليم جوردان فور علمه بنشوب هذا النزاع لكي يفضه، فتم إصابته بسهم طائش أودى بحياته، وانتشرت الشائعات بأن برترام هو من دبر تلك المكيدة كي يتخلص من غريمه، غير الحقيقة المؤكدة لم تعرف حتى الآن، وليم الصوري، ج٢، ص٢٧٦.
ميلون دي بلانسي	خريف عام ١١٧٤م/٥٧٠هـ	أمير	طعن بالخنجر أو بالسيف	نكر	أحد شوارع مدينة عكا	ونتيجة لسياسة ميلون الخاطئة، حيث كان يقوم بتصريف شؤون المملكة

حسب هواه، كما أنه كان يوزع الانعامات وفق ما شاء، مما أثار بذلك سخط الكثيرين عليه ونقصتهم له، حتى وصلت الأمور إلى طريق مسدود، ولذلك تأمر البعض سرّاً للقضاء عليه، وعندما علم بذلك المؤامرة لم يهتم واستمر في تصرفاته الطائشة، وفي أحد الأيام وبينما هو يسير في أحد شوارع مدينة عكا الصليبية، طعنه شخص مجهول طعنة نافذة أودت بحياته وذلك في خريف عام ١١٧٤م/٥٧٠هـ وذلك نتيجة تصرفاته، وقد اختلفت الآراء في سبب مقتله، فينالك رأي يقول أنه			على يد شخص مجهول			
--	--	--	------------------	--	--	--

قتل بسبب ولانه الشديد للملك بلدوين الرابع، ورأي آخر يقول أنه قتل بسبب أنه كان يرتب في السر الخطوات للاستيلاء على زمام السلطة الملكية، حتى أشيع أنه أرسل إلى أقربائه في فرنسا لكي يحضروا إلى مملكة بيت المقدس الصليبية، حتى يكونوا عوناً له في تنفيذ رغباته، ولهم الصوري، الحروب الصليبية، ج٤، ص ١٨٠.						
حوالت ستيغاني قتل يولاند ابنة زوجها جون أوف برين بوضع السم لها، وعندما علم جون بذلك الأمر أبرح ستيغاني ضرباً بقسوة بالغة حتى ماتت بين يديه، نتيجة	عكا	أنثى	بالضرب المبرح	أميرة	١٢١٩م/٦١٥هـ	ستيغاني

لذلك القسوة، رنسيمان، الحملات الصليبية، ج ٣، ص ١٨٠.						
أكدت المصادر أن جماعة الحشاشين كانت وراء اغتيال ريموند ابن بوهمند الرابع أمير طرابلس، غير أن أصابع الاتهام تشير إلى جماعة الإسماعيلية، نظراً لما كان بينها وبين بوهمند الرابع من خلافات، فتعاونوا مع الحشاشين ضد إخوانهم الصليبيين، مقابل مصالحهم الشخصية، أولفر أوف بادربورن، الاستيلاء على دمياط، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣، دمشق، ١٩٩٨م، ص ٦٩،	كاتدرائية العنزة المباركة بانطربوس	ذكر	الخناجر المسمومة	أمير	١٢١٣م/٦١٠هـ	ريموند ابن بوهمند الرابع

						<p>نهي فتحي، إمارة طرابلس، ص ٧٢، محمد مهيوب، الاشتغالات، ص ٢٠٠، عثمان عبد الحميد، الإسماعيليون في بلاد الشام، ص ١٧٦.</p>
<p>فيليب بن بوهيمند الرابع</p>	١٢٢٥م/٦٢٢هـ	غير معروف	السم	ذكر	غير محدد	<p>قيام قسطنطين ملك الأرمن بقتل فيليب بن بوهيمند الرابع أمير طرابلس عن طريق دس السم له، وذلك إنتقاماً من بوهيمند بسبب توتر العلاقات الأرمنية الصليبية بتحالف بوهيمند الرابع مع سلاجقة الروم، الذين هاجموا حصون الأرمن،</p> <p>Vahm's, Chronicle of The Armenian Kingdom in Cilicia</p>

during The Time of The Crusades, Trans: Charles Fried, "Neumann", London, ١٨٣١, p.p ٤٦-٤٧, حسين عطية، إمارة أنطاكية، ص ٣٢١.						
مطالبة ستفين للملك الصليبي بلدوين الثاني بالتنازل عن مدينتي يافا وبيت المقدس وضمهم لتبعية لكرسي البطريركية، وليم الصوري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٦٨، محمد عبد الله محمد مهيوب المقدم، الاغنيالات، ص ٢٠٩.	منزله	ذكر	السم	بطريك مملكة بيت المقدس الصليبية	١١٣٠م/٥٢٤هـ	ستفين الشارثري
صراع على السلطة والنفوذ بين كل من ريموند الثاني	غير محدد	ذكر	السم	بطريك إمارة	١١٤٣م/٥٢٧هـ	رالف أوف دمفرون

				أنطاكية		
أميرط أنطاكية و رالف أوف دمفرونست بطريرك المدينة، أنهى بمقتل رالف مسموماً، ولیم السوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص.ص ١٩٣-١٩٧، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٤٣٤.						
أحد كرادلة البابا هونوريوس الثاني	غير محدد	أحد كرادلة بابا الفاتيكان	السم	ذكر	غير محدد	قيامه بالتفتيش على الكنائس الصليبية ومتابعة أعمال رجال الدين بها، ثم وفاته فجأة، روايات ميخائيل السوري الكبير، ضمن: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل نكار، الجزء الخامس، دمشق، ١٩٩٥م، ص ١٦٥.

بلدوين الثالث	١٠ فبراير ١١٦٢م/ ٢ ذو الحجة ٥٥٧هـ	ملك، مملكة بيت المقدس الصليبية	السم	ذكر	بيروت	صراعه مع أمه الملكة مليزندا حول حكم مملكة بيت المقدس، وثار أنصار والدته منه، بعد وفاتها، عبد الحفيظ محمد علي، مشكلات الوراثة في مملكة بيت المقدس وأثرها على تاريخ الحركة الصليبية (١١٣-١١٨٧م)، دار النهضة العربية، ط٢، القاهرة، ١٩٨٤م، ص.ص ٧٢، ٧٣.
الفونسو جوردان	١١٤٨م/ ٥٤٢هـ	كونت تولوز	السم	ذكر	قيصرية	خوف رايوند أمير طرابلس من مقدمه إلى بلاد الشام، حتى لا يززع أركان حكمه، فأقدم على قتله، ولیم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص ٢٩١.

ريموند الثاني	١١٥٢م/٥٤٧هـ	أمير طرابلس	بقتل بالخنجر	نكر	طرابلس	صراعه مع زوجته هوديرن أحت الملكة مليوندا، ومقتله على حدود مدينته بيد الحشاشين طرابلس، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٥١٣، ٥١٢
جيرارد	١١٧١م/٥٦٦هـ	أمير صيدا	قتل بالحرق	نكر	مملكة بيت المقدس	خروج جيرارد عن طاعة الملك الصليبي بلدوين الثالث، وتعاونه مع المسلمين، وتصيده للحجاج الصليبيين، أسامة زكي زيد، صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية ١٩٨٨م، ص ١٤٨.
كونراد أوف موننفرات	١١٩٢م/٥٨٨هـ	أمير صور	طعن بخنجر مسمومة	نكر	صور	الصراع الذي دار بين كل من كونراد و جاي لوزيجنان على عرش مملكة

بيت المقدس، مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج ٢، ص ١٦٣، نيل ولیم الصوري، ص ٢٢٦.						
الصراع حول الخروج عن التبعية بين برتراند أمير جبيل وبوهمند السادس أمير طرابلس، رنسيمان، الحملة الصليبية، ج ٣، ص ٣٣٨، نهى قحى، إمارة طرابلس، ص ٨٨.	جبيل	ذكر	أصيب بالسهام ثم قطعت رأسه	أمير	١٢٥٨م/٦٥٥هـ	برتراند
الصراع بينه وبين بيبرس سلطان مصر، The Templar of Tyre, part III of the Deeds of the Cypriots, Trans by, Paul Crawford, Cornwall, ٢٠٠٣, PP.١٠-١٣	صور	ذكر	طعن بخنجر مسموم	أمير صور	١٢٧٠م/٦٦٨هـ	فيليب مونتفرات

المصادر والمراجع

قائمة المختصرات

A.H.R.: The American Historical Review.

B.S.O.S.: Bulletin of the School of Oriental Studies.

D.O. : Dumbarton Oaks.

C.H.R.: The Catholic Historical Review.

E.H.R.: The English Historical Review.

J.M.S.: Journal of Medieval Studies.

P.P.T.S.: Palestine Pilgrims Text Society.

R.H.C.: Recueil des Historiens des Croisades.

المصادر العربية:

١. أبو الفداء، تقويم البلدان ، تحقيق رينود ، ماك كوكين ديسلان ، ط. باريس ١٨٤٠م.
٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: - محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط. بيروت، ٢٠٠٣م.
٣. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: خليل منصور، ط. بيروت، ١٩٩٦م.
٤. ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط. بيروت ١٩٩٦م.
٥. ابن العميد، أخبار الأيوبيين، تحقيق: كلود كاهن، ١٩٥٥-١٩٥٧م.
٦. ابن أبيك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، ط. القاهرة، ١٩٧٢م.
٧. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط. بيروت، ١٩٩٢م.
٨. ابن جبير، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، تحقيق: محمد زينهم، دار المعارف، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
٩. ابن حوقل، صورة الأرض ، ط. القاهرة ب.ت .
١٠. ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار المعرفة بيروت، ١٩٨٢م.
١١. ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، ط. القاهرة، ١٩٩٤م.
١٢. أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط. بيروت، ٢٠٠٢م.
١٣. أسامة بن منقذ، كتاب الاعتبار، تحقيق فيليب حتى، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
١٤. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط. بيروت ١٩٨٠م.

١٥. الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تحقيق مهرن ط. بطرسبرج ١٨٦٥م.
١٦. الذهبي، دول الإسلام، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، دار صادر، ط. بيروت، ١٩٩٩م.
١٧. صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ط. بيروت، ١٩٩٠م.
١٨. الصفدي، الوافي بالوفيات، ط. شتوتجارت، ١٩٩١م.
١٩. العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبح، ط. القاهرة، ١٩٦٥م.
٢٠. القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، الجزء الأول، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط. القاهرة، ٢٠٠٣.
٢١. المقدسي المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق دي جويه، ط. ليدن ١٩٠٤م.
٢٢. المنصوري، التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، ط. بيروت، ١٩٨٧م.
٢٣. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج ٣١، تحقيق : السيد الباز العريني، ١٩٩٢م.
٢٤. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط. بيروت ١٩٧٩م.
- المصادر الفارسية:
٢٥. عبد الله بن فضل الله الشيرازي، تاريخ وصاف، ت. فاطمة نبهان عوده، رسالة دكتوراه، ط. القاهرة، ١٩٩١م.
٢٦. مجهول، أخبار سلاجقة الروم، من مؤلفات القرن السابع الهجري، ترجمة: محمد السعيد جمال الدين، المركز القومي للترجمة، ط. القاهرة، ٢٠٠٧م.
- المصادر الأجنبية العربية:
٢٧. أودو أوف دويل، رحلة لويس السابع إلى الشرق، من كتاب (الحملتان الأولى

- والثانية حسب روايات شهود عيان كتبت أصلاً بالإغريقية والسريانية والعربية واللاتينية)، ت. سهيل زكار، الجزء الأول، دار حسان، دمشق، ١٩٨٤.
٢٨. ريموند دوبري، قانون ريموند دوبري، ت. سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٤، ط. دمشق، ١٩٩٨م.
٢٩. الكتاب المقدس.
٣٠. مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
٣١. مجهول، تواريخ أسرة بلانتغنت، ت. سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٠، ط. دمشق، ١٩٩٨م.
٣٢. مجهول، كتاب حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة، ت. سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣١، ط. دمشق، ١٩٩٥م.
- المصادر الأجنبية:

33. Albert of Achen, *Historia Ierosolimitana*, History of The Journey to Jerusalem, Trans By: Susan Edgington, Oxford, 2007.
34. Albert D ̄Aix, *Historia Hierosolynitana*, ed. R.H.C, H.Qcc, Tome, IV, Paris, 1879.
35. Ambroise, *The Crusade of Richard Lion-Heart*, Trans. by Merton Jerome Hubert, New York 1941.

وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له:

أمبروز، حملة الملك ريتشارد قلب الأسد، ت. سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٢، ط. دمشق، ١٩٩٥م.

36. *Annales des Terre Sainte*, 1095-1291, Edited By: Gaston Raymoud, Paris, 1884.
37. Anonymous, *Gesta Francorum et aliorum*

Hierosolimitanorum, edited and translated by Rosalind Hill, Oxford, 1967.

وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية له:

مجهول، أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٥٨م.

38. Anonymous Pilgrim V.2, (1187 – 1198), Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S London, 1894.

39. Anonymous , City Of Jerusalem (1220 A.D) , Trans. by C.R.Conger , London 1896 .

40. Benjamin of Tudela, The Itinerary of Benjamin of Tudela, Trans By:- Michael Signer and Others, California, 1993.

وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له:-

بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، ت. يحيى الخشاب، ط. بغداد، ١٩٤٩م.

41. Burchard Of Mont Sion (1280A.D), Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S, Vol: XII, London 1896.

وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له:

الحاج بورشارد من دير جبل صهيون، وصف الأرض المقدسة، ت. سعيد عبدالله البيشاوي، مراجعة: مصطفى الحيارى، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط. عمان، ١٩٩٤م.

42. Cartulaire Genera de l'Ordre des Hospitaliers de Saint Jean de Jerusalem, ed. Le Roux(J.D.), tome III, Paris, 1899.

43. Continuation de Guillaume de Tyre dite du manuscript de Rothalin (1229-1261), ed. R.H.C, H.Occ., T.II, Paris, 1869.

وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له:

تتمة كتاب وليم الصوري لمؤلف مجهول والمنسوب خطأ إلى روثلان (١٢٢٩-)

١٢٦١م)، ت. أسامة زكي زيد، ط. طنطا، ١٩٨٩م.

44. Daniel, Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Land, Trans. by Wilson, P.P.T.S, Vol: VI, London 189.

وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له:

دانيال، رحلة حج راعي الدير الروسي دانيال في الأراضي المقدسة (حوالي: ١١٠٦-١١٠٧)، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣١، ط. دمشق، ١٩٩٨م.

45. De Sempad Le Connetable, Assiese D' Antoiche, Venise, 1876.

46. Documents on the later crusades, 1274-1580, Trans by, Norman Hously, New York, 1996.

47. Eracles, L'Histoire D'Eracles Empereur et La Conquete De La Terre d'Qutremar, Recueil des Historiens des Croisades, Hist. Occidentaux, Tom. II, Paris, 1849.

48. Ernoul, Chronique d' Ernoul et de Bernard Le Tresier, ed., M.L. de Mas Latrie, Paris, 1871.

49. Felix Fabri, The Book of the Wanderings of Felix Fabri, 1480-1483, Trans by. Aubrey Stewart, Vol.2, P.P.T.S, London, 1896.

50. Fulcher Of Chartres, A History Of The Expedition To Jerusalem (1095-1127), Trans. by Frances Rita Ryan, The University Of Tennessee, U.S.A 1969.

وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له:

فوشبه الشار تري، الاستيطان الصليبي في فلسطين، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥ -

- ١١٢٧م، ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- فوشيه الشارترى، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: زياد العسيلي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٠م.
51. Guillaume de Tyre, *La Continuation de Guillaume de Tyre* (1184-1197), Par Marqaret Ruth Morgan, Paris, 1952.
- وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له:
- مجهول، ذيل وليم الصوري، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة، ٢٠٠٢م.
52. Gervas (The Monk of Canterbury), *The Gesta Regum with its Continuation*, ed, William Stubbs , R.S., vol.73., pt.2, London, 1965.
53. Geoffrey De Vinsauf, *Richard Of Holy Trinity , Itinerary Of Richard I and Others To The Holy Land*, Trans. by A Classical Schola And A Gentheman Well – Read In Mediaeval History , Cambridge 2001.
54. *Heimskringla or The Chronicle of the kings of Norway*, by:- Snorri sturlsan(1179-1241), Trans:- Samuel laing, London, 1844.
55. Jacques de Vitry, *History of Jerusalem*, Trans. By, Aubrey Stewart, P.P.T.S, Vol: XI, London, 1896.
- وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له:
- جاك دي فيتري، تاريخ مملكة بيت المقدس، ت. عبد اللطيف عبد المهادي السيد، ط. ليبيا، ٢٠٠٥م.
56. Jacques de Vitry, *Letters de Jacques de Vitry, Eveque de Saint Jean d,Acre*, (Par . R.B.C.Huygens),Leiden, 1960.

57. Joannes Phocas , The Pilgrimage Of Joannes Phocas In The Holy Land (in the year 1185 A..D) , Trans. by Aubrey Stewart , London 1896.

58. John de Ibelin, Le Liver de Assises, ed by: Peter .W Edbury, Leiden, 2003.

59. John Kinnamos, The Deeds of John and Manuel Comnenus, trans. C.M. Brand (New York, 1976.

وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية له:-

يوحنا كيناموس، أعمال يوحنا ومانويل كومينوس، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢٩، ط. دمشق، ١٩٩٧م.

60. John Of Wurzburg , Description Of Holy Land, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S , Vol : V , London 1896.

وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية له:-

جون أوف وورزبرغ (١١٦٠-١١٧٠م)، وصف الأرض المقدسة، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٤، ط. دمشق، ١٩٩٨م.

61. Joinville, The Life of Saint Louis. Trans. Rene Hague from the text edited by Natalis de Wailly. New York, 1955.

وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية له:-

جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٦٨م.

62. Les Gesta des Chiprois, ed. R.H.C. Doc Arm, t.II, Paris, 1906.

63. Letter:- Instruction of St. Louis, Addressed, on his deathbed, to Philip-Le-Hardi, In:- History of The Crusades, By: Joseph Francois Michaud, New York, 1855.

64. *Liver des Assises de Jerusalem*, ed. Bugnot (Lois II), R.H.C, Paris, 1843.
65. Mansi (J.D), *Sacrorum Concilorum nova et amplissima Collectio*, Vol. 21, Ahademishche druck –u Verlag , Sanstalt, Austria, 1961.
- ترجمة ضمن رسالة صفاء عثمان، مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الثاني (١١١٨-١١٣١م/٥١٢-٥٢٥هـ)، رسالة ماجستير، ط. القاهرة، ٢٠٠٥م.
66. Marino Sanudo, *The Book of the Secrets of the Faithful of the Cross - Liber Secretorum*, United Kingdom, 2010.
- وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية له:-
- مارينو سانوتو ، كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة و الحفاظ عليها، مراجعة : بلليغريور ونكاليا و سمير الخادم ، ت. الأب سحيم رزق الله ، ط. بيروت ١٩٩١م.
67. Mas Latrie, *Historie de l'ile de Chypre Sous le regne des princes de la maison de Lusignan*, tom.1, Paris, 1861.
68. Mathew of Paris, *English History from the year 1235 to 1273*, Trans, From The Latin By, J.A.Giles, London, 1853.
69. Mathien d'Edesse, *Chronique de Mathien d'Edesse (962-1136)*, Avec la Continuation de Gregoire le Peter Jusq'en 1162 ed .M.G.Dulaurier, Paris, 1858.
- وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية له: حولية متى الرهاوى، ضمن: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل ذكار، الجزء الخامس، دمشق، ١٩٩٥م.
70. Michael Le Syrien, *Chronique*, ed, par Chabot, Paris, 1903.

وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له: روايات ميخائيل السورى الكبير، ضمن: الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل ذكار، الجزء الخامس، دمشق، ١٩٩٥م.

71.Oliver of Paderborn, The Capture of Damietta, Translated from the Latin by John J. Gavigan, Philadelphia, 1948.

وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية له:-

أولفر أوف بادربورن، الإستيلاء على دمياط، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٣، ط. دمشق، ١٩٩٨م.

72.Petrus Tuderodus, Historia de Hierosolymitana Itinere, edited by: John Besly, in: Hisotira Francorum scriptores, edited by: A Duchesne 4, Paris, 1641.

وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له: بطرس تودوديود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ت. حسين عطية، الأسكندرية، ١٩٩٨م.

73.Ralph of Caen, The Gesta Tancredi of Ralph of Caen, Trans. Bernard Bachrach & David Bachrach, Hampshire, 2005.

74. Raymond D,Aguilers , Historia Francorum Qui Ceperunt Iherusalem , Trans. by John Hugh Laurita L.Hill , Philadelphia 1968 .

وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية له:-

ريمونداجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ت. إنجليزية: جون هيوم جيل - لوريتال جيل، ت. عربية: حسين محمد عطية، ط.الإسكندرية، ١٩٩٠م.

75.Richard Of Holy Trinity , Itinerary Of Richard I and Others To The Holy Land , (Formerly Ascribed To Geoffrey De Vinsauf) Trans. by A Classical Schola And A Gentheman

Well – Read In Mediaeval History , Cambridge 2001.

76. Robert the monks history of the first crusade, Historia The rosolimitana, Trans by: Carol Sweelenham, Ashgate, 2005.

77. Rogger of Wendover, The Crusade of Frederick II: From The Chronicle of Rogger of Wandover the Chronicle, in: Christian Society and the Crusades 1198-1229, tr. Johan paderborn, edited by Edward Peters, Philadelphia, 1971.

وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية له:-

روجر أوف ويندوفر، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٩، ط. دمشق، ٢٠٠٠م.

78. Rohricht, Regesta Regni Hirosolymitani, Innsbruch, 1893

79. The Canons of the First Lateran Council, 1123, in: Medieval Sourcebook, Ninth Ecumenical: Lateran Council, 1123, in:
HYPERLINK

"<http://www.fordham.edu/hasall/basis/LateranI>"
www.fordham.edu/hasall/basis/LateranI .

80. The Caxton Eracles, Vol. I, in: A Middle English Chronicle of the first crusade, edited and with an introduction by: Dana cushing, Toronto, 2001.

81. The Chronicle of Bury st. Edmunds, Trans. By: Antonia Gransden, London, 1964.

82. The Monk Theodosios the Constantinopolitan, The Life of Leontios patriarch of Jerusalem, Trans.by: Dimitris Tsougarakis, New York, 1993.

83.Theoderichs , Description Of The Holy Places, Trans. by Aubrey Stewart, London 1896.

84.The Templer of Tyre, part III of the Deeds of the Cypriots, Trans by, Paul Crawford, Cornwall, 2003.

85.Vahrm's, Chronicle of The Armenian Kingdom in Cilicia during The Time of The Crusades, Trans: Charles Fried, "Neumann", London, 1831.

86.William Archbishop Of Tyre, A History Of Deeds Done Beyond The Sea, Trans. by Babcock and Krey, New York 1943.

وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية له: وليم الصوري، الحروب الصليبية، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة، ١٩٩١م.

87.Xorduim Hospitalairiroum, in R.H.C.O.cc., vol.V, Paris.
المراجع العربية:

٨٨. إبراهيم أحمد العدوي، المجتمع الأوربي في العصور الوسطى، مطبعة جامعة القاهرة، ط. القاهرة، ١٩٨٤م.

٨٩. إبراهيم خميس إبراهيم سلامة، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

٩٠. إبراهيم خميس، جماعة الفرسان الداوية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

٩١. أحمد أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط. القاهرة، ١٩٧٩.

٩٢. أحمد الشامي، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، دار النهضة العربية، ط. القاهرة، ١٩٨٥م.

٩٣. أحمد حويني وآخرون، البطالة وعلاقتها بالجريمة والانحراف في الوطن العربي،

- أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ط. الرياض، ١٩٩٨م.
٩٤. أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ط. القاهرة.
٩٥. أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ١٩٧٩م.
٩٦. أحمد عبد القادر الشاذلي، الاغتيالات السياسية في إيران، العربي للنشر والتوزيع، ط. القاهرة، ١٩٩٧م.
٩٧. أسامة زكي زيد، الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية (القرن الثامن عشر الميلادي/السادس الهجري)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. الإسكندرية، ١٩٨٠م.
٩٨. أسامة زكي زيد، صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. الإسكندرية، ١٩٨٨م.
٩٩. إسحاق تاو وروس عبيد، روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قنسطنين ٨٦٩-١٢٠٤م، دار المعارف، ط. القاهرة، ١٩٧٠م.
١٠٠. جلال حسني سلامة، عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة، دار الفاروق، نابلس، ١٩٩٨.
١٠١. جمال فاروق السيد محمد الوكيل، تطور إستراتيجية الحروب الصليبية في القرن الرابع عشر الميلادي في ضوء كتاب مارينو سانودو، طنطا، ٢٠٠٦م.
١٠٢. جمعة الجندي، "نظم الحكم والإدارة في مملكة بيت المقدس"، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، كتاب تكريمي للأستاذ الدكتور/ اسحق عبيد، تحرير:- محمد مؤنس عوض، ط. القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٠٣. جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ط. القاهرة، ١٩٦٣م.
١٠٤. حامد زيان غانم، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط. القاهرة، ١٩٨٣م.

١٠٥. حسن حبشي، نور الدين والصليبيون، ط. القاهرة، ١٩٤٥م.
١٠٦. حسن سيد أحمد أبو العينين، دراسات في جغرافية لبنان، ط. بيروت، ١٩٦٨م.
١٠٧. حسن عبد الوهاب حسين، دراسات في تاريخ الحضارة الأوربية في العصور الوسطى، (المجتمع الصليبي في بلاد الشام)، ط. الإسكندرية، ٢٠٠٠م.
١٠٨. —، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، ط. الإسكندرية، ١٩٩٧م.
١٠٩. حسين عبد الحميد أحمد، الجريمة، دراسة مقارنة في علم الإجتماع الجنائي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٥م.
١١٠. حسين محمد عطية، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (١١٧١-١٢٦٨م/٥٦٧-٦٦٦هـ)، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية، ١٩٨٩م.
١١١. دندل جبر، الزنا، مكتبة المنار، ط. الزرقاء، الأردن، ١٩٨٧م.
١١٢. رأفت عبد الحميد، قضايا من تاريخ الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ١٩٩٨م.
١١٣. رشيد الحمد، محمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها، ط. الكويت، أكتوبر ١٩٧٩م.
١١٤. زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، ط. القاهرة، ب.ت.
١١٥. زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، ط. بيروت، ١٩٨١م.
١١٦. زينب عبد المجيد عبد القوي، الإنجليز والحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ١٩٩٦م.
١١٧. سامية عامر، الصليبيون في فلسطين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

١١٨. سعدون عباس نصرالله، رحيل الصليبيون عن الشرق في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، ط. بيروت، ١٩٩٥م.
١١٩. سعيد عبد الله البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩-١٢٩١م/٤٩٢-٦٩٠هـ)، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية، ١٩٩٠م.
١٢٠. عبد الحفيظ محمد علي، مشكلات الوراثة في مملكة بيت المقدس وأثرها على تاريخ الحركة الصليبية (١١٣-١١٨٧م)، دار النهضة العربية، ط. القاهرة، ١٩٨٤م.
١٢١. عبدالله عبد الرحمن الربيعي، أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام، ط. الرياض، ١٩٩٤م.
١٢٢. سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. القاهرة، ١٩٧٦.
١٢٣. —، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط. القاهرة، ١٩٩١م.
١٢٤. —، الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. القاهرة، ٢٠٠٩.
١٢٥. السيد الباز العريني، الشرق الأدنى في العصور الوسطى - الأيوبيون، دار النهضة العربية، ط. بيروت، ١٩٦٧.
١٢٦. —، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، القاهرة، ١٩٦٣.
١٢٧. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ط. الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
١٢٨. —، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ط. الإسكندرية، ١٩٦٦م.
١٢٩. شاکر مصطفى، صلاح الدين، الفارس المجاهد والملك الزاهد المفترى

- عليه، دار القلم، ط. دمشق، ١٩٩٨م.
١٣٠. شوقي ضيف، الرحلات، ط. القاهرة، ١٩٥٦م.
١٣١. صفاء عثمان محمد إبراهيم، مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الثاني (١١١٨-١١٣١م/٥١٢-٥٢٥هـ)، دار العالم العربي، ط. القاهرة، ٢٠٠٨م.
١٣٢. طه عبد العليم رضوان ، في جغرافية العالم الإسلامي ، ط. القاهرة ١٩٨٩م.
١٣٣. عادل إسماعيل محمد هلال، العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ١٩٩٧م.
١٣٤. عارف تامر، سنان وصلاح الدين، ط. بيروت، ١٩٥٦م.
١٣٥. عثمان عبد الحميد عشري، الإسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية ٤٩١-٦٩١هـ/١٠٩٧-١٢٩٠م، ط. الخرطوم، ١٩٨٣م.
١٣٦. عزت حسنين، جرائم القتل بين الشريعة والقانون دراسة مقارنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ١٩٩٣م.
١٣٧. عفاف سيد صبره، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، دار الكتاب الجامعي، ط. القاهرة، ١٩٨٥م.
١٣٨. علي أحمد محمد السيد، أدب الرحلة مصدراً لتاريخ الحروب الصليبية (٤٨٨-٦٩٠هـ/١٠٩٥-١٢٩١م)، الأسكندرية، ٢٠٠٠م.
١٣٩. علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط. القاهرة، ١٩٨٦م.
١٤٠. عمر السعيد رمضان، دروس في علم الإجرام، دار النهضة العربية، ط. بيروت، ١٩٧٢م.
١٤١. علي عبد السميع الجتزوري، الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ١٩٩٩م.

١٤٢. —، إمارة الرها الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ٢٠٠١م.
١٤٣. عبد القادر أحمد يوسف، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، ط. بيروت، المكتب العصرية، ط. ١٩٦٩م.
١٤٤. عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالشريعة الإسلامية، الجزء الأول، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨٦م.
١٤٥. قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٤٦. لويس شيخو، بيروت تاريخها وآثارها، ط. بيروت ١٩٢٥م.
١٤٧. مجموعة مؤلفين، شروحات مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، تقديم: مار إغناطيوس موسى الأول داود، منشورات المكتبة البولسية، ط. بيروت، ٢٠٠٥م.
١٤٨. محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في الشرق والغرب، دار الغرب الإسلامي، ط. الدار البيضاء، ١٩٨٢م.
١٤٩. محمد سهيل طقوش، تاريخ الممالك في مصر وبلاد الشام، ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠م-١٥١٧م، دار النفائس، ط. بيروت، ١٩٩٧م.
١٥٠. محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤م.
١٥١. محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية دراسات في التاريخ المقارن، دار العالم العربي، ط. القاهرة، ٢٠١٠م.
١٥٢. —، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ١٩٩٥م.
١٥٣. —، في الصراع الإسلامي-الصليبي، السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦-١١٧٤م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ١٩٩٨م.

١٥٤. — صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٨م.
١٥٥. — العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين ١٢-١٣م/٦-٧هـ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٠م.
١٥٦. — "أضواء على الطب في المناطق الصليبية خلال المرحلة من ١٠٩٨ إلى ١١٧٤م/٤٩١-٥٧٠هـ"، ضمن كتاب (عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٦م.
١٥٧. — الرحالة الأوربيون في العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٤م.
١٥٨. — الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩-١١٨٧م)، ط. القاهرة ١٩٩٢م.
١٥٩. محمود جلال الدين الجمل، الجبهة العربية في المشرق، ط. القاهرة، ١٩٦٣م.
١٦٠. محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥ - ١٢٩١م، الإسكندرية، ١٩٩٥م.
١٦١. — الحملة الصليبية الخامسة، دار المعارف، ط. الإسكندرية، ١٩٨٥م.
١٦٢. — السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل كومنين، ط. الإسكندرية، ١٩٨٥م.
١٦٣. محمود محمد الحويري، بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين، دار المعارف، ط. القاهرة، ١٩٩٢.
١٦٤. — الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر و الثالث عشر من الميلاد، ط. القاهرة ١٩٧٩م.
١٦٥. مصطفى الحيارى، مدينة القدس في عصر الفاطميين والفرنجة، ط. عمان،

١٩٩٤م.

١٦٦. مصطفى مجدى هرجة، أحكام الرشوة في ضوء الفقه والقضاء، الإسكندرية،

١٩٩٠م.

١٦٧. مصطفى محمد الحناوي، الفرسان الإستبارية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي، مكتبة الرشد، ط. الرياض، ٢٠٠٤م.

١٦٨. مصطفى وهبة، موجز تاريخ الحروب الصليبية، مكتبة الإيمان، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٦٩. موزي عبدالله السرحان، بيروت تحت الحكم الصليبي وعلاقتها بالمسلمين (٥٠٤-٦٩٠هـ/١١١٠-١٢٩١م)، ط. الرياض، ١٩٨٦م.

١٧٠. نبيلة إبراهيم مقامي، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، دار الكتاب الجامعي، ط. القاهرة، ١٩٩٤م.

١٧١. نسرین محمود علی الأربلي، التدابير الأمنية، الأمن في مصر وبلاد الشام في عهد الناصر صلاح الدين، مكتبة التفسير، أربيل، ٢٠٠٦م.

١٧٢. نهى فتحي الجوهري، إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م.

١٧٣. نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، ج ١، ط. بيروت، ١٩٦٧م.

١٧٤. هنادي السيد محمود، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، دار العالم العربي، ط. القاهرة، ٢٠٠٨م.

١٧٥. يسري الجوهري، جغرافية البحر المتوسط، ط. الإسكندرية، ١٩٨٤م.

١٧٦. يوسف عزت، تاريخ القوقاز، ترجمة: عبد الحميد غالب، ط. القاهرة، ١٩٤٠م.

المراجع الأوربية المترجمة:

١٧٧. إرنست باركر، الحروب الصليبية، ت. السيد الباز العريني، ط. بيروت، ١٩٦٧م.

١٧٨. أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة: عفيف دمشقية، دار الفارابي، ط. بيروت، ١٩٩٨م.
١٧٩. جوناثان رايلي سميث، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ١٩٩٩م.
١٨٠. حالة الصليبيين الذهنية تجاه الشرق (١٠٩٥ - ١٣٠٠م)، ضمن كتاب: " تاريخ اكسفورد للحروب الصليبية "، تحرير: جوناثان رايلي سميث، ت. قاسم عبد قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٧م.
١٨١. ديفز، أوربا في العصور الوسطى، ترجمة: د/ عبد الحميد حمدي محمود، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٥٨م.
١٨٢. رايلي سميث، الإستراتيجية فرسان القديس يوحنا، ترجمة: صبحي الجابي، ط. دمشق، ١٩٨٤م.
١٨٣. ستيفن رنسيان، تاريخ الحملات الصليبية، ت. نور الدين خليل، ط. الأسكندرية ١٩٩٨م.
١٨٤. سمائي، المؤرخون في العصور الوسطى، ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة، ١٩٨٠م.
١٨٥. كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ت. صلاح الدين هاشم، ج ١، الخرطوم، ١٩٦١م.
١٨٦. مارشال بلدوين، اضمحلال وسقوط بيت المقدس ١١٧٤-١١٨٩م/٥٧٠-٥٨٥هـ، ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية، تحرير: سعيد البيشاوي ومحمد مؤنس، ط. رام الله، ٢٠٠٤م.
١٨٧. ماركوس بول، الأصول، ضمن كتاب " تاريخ اكسفورد للحروب الصليبية "، تحرير: جوناثان رايلي سميث، ت. قاسم عبد قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٧م.
١٨٨. مولر فيز (فولفغانغ)، القلاع أيام الحروب الصليبية، ت. محمد وليد

- الجلاد، مراجعة. سعيد طيان، ط. دمشق، ١٩٨٤م.
١٨٩. ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ت. إلياس شاهين، ط. موسكو ١٩٨٦م.
١٩٠. ميشيل بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، ت. بشير السباعي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٩١. نيكيتا أليسييف، السلطان نور الدين محمود بن زنكي (٥١١-٥٦٩هـ/١١١٨/١١٧٤م)، ت. سليم قندلفت، مراجعة: علي القيم، ط. دمشق، ١٩٩٨م.
١٩٢. هانس إبراهيم ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ت. عماد الدين غانم، ط. كاليري ١٩٩٠م.
١٩٣. هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، مراجعة: عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ١٩٨٥م.
١٩٤. هنري برين، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)، ت. عطية القوصي، ط. القاهرة، ١٩٩٦م.
١٩٥. يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ت. عدنان محمود سلمان، المجلد الأول، مؤسسة فيصل للتمويل، أستانبول، ١٩٨٨م.
١٩٦. يوشع براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين (مملكة بيت المقدس)، ت. عبد الحافظ البناء، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
١٩٧. يوشع براور، عالم الصليبيين، ت. قاسم عبده قاسم و محمد خليفة حسن، ط. القاهرة ١٩٩٩م.
- المراجع الأجنبية:

198. A.J.Church.M.A, The Crusaders, " A Story of the war for the holy sepulcher", London, 1912.

199. Addison Esq, *The Knights Templars*, London, 1852.
200. Adrian Boas, *Jerusalem in The Time of The Crusades*, London, 2001.
201. Aharon Ben Ami, *Institutional Lag and Neofunctions:(The Case of The Latin Kingdom of Jerusalem)*, in: *Comparative Studies in society and history*, Vol.7, No.4, Jul, 1965.
202. Alan Murray, *The Crusades, An Encyclopedia*, Vol. I, California, 2006.
203. Aman Asili Ya Nadhiri, *Sarasins and Franks: Perceptions of self and The Other in 12th – 15th century Literature*, Chapel Hill, 2009.
204. Archer and Charles L. Kingsford, *The Crusades, The Story of The Latin Kingdom of Jerusalem*, New York.
205. Attwater, *The Penguin Dictionary of Saints*, London, 1983.
206. August C. Krey, *The First Crusade*, London, 1921.
207. Baldwin, "Marshall", *Raymond III of Tripoli and The Fall of Jerusalem (1140–1187)*, Princeton: Princeton University Press, 1936.
208. Benevenisti (Meron), *The Crusaders in The Holy Land*, Jerusalem, 1976.
209. Benjamin Kedar, *Crusade and Mission*, New York, 1984.
210. Bernard Hamilton, " Miles of Plancy and the fief of Beirut ", in **The Horns of Hattin**, Benjamin Z. Kedar (ed.), Jerusalem, 1992 .

211. Bernard Hamilton, *The Leper King and His Heirs: Baldwin IV and The Crusader Kingdom of Jerusalem*, Cambridge, 2000.
212. Carole Hillenbrand, *The Crusades : Islamic perspectives*, Edinburgh, 2000.
213. Charles E. Nowell, *The old man of the mountain*, in: *Journal of Medieval Studies*, vol,22.
214. Charles J. Rosebault, *Saladin prince of Chivalry*, New York, 1930.
215. Cherese Cartlidage, *The Crusades, " Failed Holy Wars "*, San Diego, 2002.
216. Christopher Tyerman, *The Crusades, " A Very Short Introduction"*, Oxford, 2005.
217. Christopher Tyerman, *The invention of the crusade*, Toronto, 1998.
218. Conder, *The Latin Kingdom of Jerusalem, 1099 – 1291 A.D*, London, 1897.
219. Corless Slack, *Historical Dictionary of The Crusades*, Oxford, 2003.
220. Cynthia Williams Resor, *Richard I Takes the Cross: The Twelefth Century Culture of Crusade*, University of Kentucky, 2002.
221. Dana Carleton & Raymond James, *The Middle Ages, 395-1500*, New York, 1928.

222. Dana Munro, The Popes and The Crusades, Proceedings of The American Philosophical Society, Vol. 55, No.5, 1916.
223. David Nicolle, Acre 1291, Bloody Sunset of The Crusader States, Oxford, 2005.
224. David Nicolle, Knight Hospitallers, Uxbridge, 2001.
225. David Nicolle, The Crusades, London, 2001.
226. David Nicolle, The Second Crusade, Disaster outside Damascus, Oxford, 2009.
227. Davis, " William of Tyre", in Barker (ed), Relations between East and West in The Middle Ages, Edinburgh, 1973.
228. Delaney, Dictionary of Saints, London, 1980.
229. Edbury and Rowe, William of Tyre Historian of the Latin East, Cambridge, 1988.
230. Edward Foord, The Byzantine Empire, London, 1911.
231. Ezra Cheaveland, A Genealogical History of The Noble and Illustrious Family of Courtenay, Oxford, 1735.
232. Feiling (Keith), A History of England, London, 1948.
233. forey, " The Military Order of St. Thomas of Acre", in E.H.R, Vol.92, No. 346(Jul.1977).
234. Frederic Duncalf, " The Councils of Piacenza and Clermont", in A History of the Crusades, (ed): by: Setton, Vol.I, London, 1969.
235. Frederic Duncalf, The Peasants Crusade, A.H.R, Vol. 26, No.3, Apr.1921.

236. Gibb, Notes on the Arabic Materials for the History of the Early Crusades, B.S.O.S., University of London, Vol. 7, No.4, 1935.
237. H. Daniel Rops, Cathedral and Crusades, Studies of the Medieval Church 1050-1350, London, 1957.
238. Hamilton, "Ralph of Domfront, Patriarch of Antioch(1135-1140)", in; Nottingham Medieval Studies , No.28, (1984).
239. Hamilton, The Latin church in the crusader states, Landon, 1980.
240. Harlod S. Fink, The Foundation of the Latin States, 1099-1118, In setton, The first hundred years, vol. I, London, 1969.
241. Heinrich Von Sybel, The History Literature of the crusades, London, 1861.
242. Helen A. Gaudette, The Piety, Power, Patronage of The Latin Kingdom of Jerusalem's queen Melisende, New York, 2005.
243. Helen Nicholason & David Nicolle, God's Warriors, Crusaders, Saracens, and the Battle for Jerusalem, Oxford, 2005.
244. Helene Wieruszowski, The Norman Kingdom of Sicily and the crusades, in setton: The Later Crusades, 1189-1311, Vol.II, London, 1969.
245. Henry Stebbin, The History of Chivalry and The Crusades,

Vol. II, London, 1830.

246. Hugh Clifton Griffith, *The Second and Third Crusades, : Their Justification and goals as seem by the clergy*, A Thesis, Michigan, 1980.
247. Hutton, Philip Augustus, London, 1896.
248. Indrikis Sterns, *Crime and Punishment among The Teutonic Knights*, *Speculum*, Vol. 57, No.1, Jan, 1982.
249. James A .Brundage, "Latin Jurists in the Levant, The legal elite of crusader states", in: *crusaders and Muslims in Twelfth century Syria*, Edited by: Maya Shatzmiller, New York, 1993.
250. James A .Brundage, *Adhemar of puy: The bishop and his critics*, *Speculum*, Vol.34, No.2, October, 1983.
251. James Kroemer, *The Eschatology of Bernard of Clairvaux*, Wisconsin, 2000.
252. James Lea Cate, *The Crusade of 1101*, in:- Vol.I, London, 1969.
253. James M. Powell, *Anatomy of a Crusade*, Philadelphia, 1990.
254. Jennifer Ann Price, *The Form and Substance of The Crusading vow. 1095-1216*, Washington, 2005.
255. John Finlayson, "Richard, Coer de Lyon", *Romance, History or Something in Between?*, *Studies in Philology*, Vol.87, No.2(Spring1990).
256. John France, *The Crusades and The Expansion of Catholic Christendom, 1000-1714*, New York, 2005.

257. John France, *Victory in The East*, Cambridge, 1994.
258. John G. Rowe, *Alexander III and The Jerusalem Crusade, An Overview of problems and failures*, in: *crusaders and Muslims in Twelfth century Syria*, Edited by: Maya Shatzmiller, New York, 1993.
259. John Gordon Rowe, " Paschall II and The Relation between The Spiritual and Temporal powers in The Kingdom of Jerusalem", *Speculum*, Vol.32, No.3, Jul, 1957.
260. John Hugh Hill, *Raymond of Saint Gilles in Urban's plan of Greek Latin Friendship*, *Speculum*, Vol.26, No.2, Apr.1951.
261. John L, Lamonte, *Feudal Monarchy In The Latin Kingdom Of Jerusalem (1100-1291)* , New York 1970.
262. John La Monte, *The Lordes of Le Puiset on The Crusades*, *Speculum*, Vol.17, No.1, Jan.1942.
263. John Sommerfeldt, *The Bernardine Reform and The Crusading Spirit*, *C.H.R.*, Vol.86, No.4, (Oct.2000).
264. Jonathan Phillips, *The Crusades, 1095-1197*, London, 2002.
265. Joseph Francais Michaud, *History of The Crusades*, New York, 1855.
266. Joseph Lessard, *Hospitaller: A Tale of the Unknown Knight in the Third Crusade*, " HYPERLINK "<http://www.booklocker.com>" www.booklocker.com , 2008.
267. Joshua Prawer, *Social Classes in the Crusader states: The Minorities*, in *setton:- The Impact of the Crusades on the near*

East, Vol. V, London, 1985.

268. —, The history of the Jews in the Latin Kingdom of Jerusalem, Oxford, 1988.
269. —, " The Venetians in Crusader Acre (Reconsideration)", In:- Cross Cultural Convergences in The Crusader period, New York, 1995.
270. —, "The Assise de Teneure and The Assise de Vente: A Study of Landed Property in the Latin Kingdom " , The Economic History Review, New series, Vol.4, No.1, 1951.
271. Kamal (T) , The Saljuqs Of Syria During The Crusades 463-549/1070-1154A.D , Berlin 1997.
272. Kedar, " The Patriarch Eraclius", in Kedar (B.Z), Mayer, and Smail (R.C), ed. Outremer Studies in the Crusading kingdom of Jerusalem, Jerusalem, 1982.
273. Kelly, Oxford dictionary of Popes, New York, 1996.
274. King, E.J, The Knight Hospitallers in The Holy Land, London, 1931.
275. Krey, " William of Tyre The making of an Historian in the Middle Ages", S, Vol. XVI, 1941.
276. L Abbe De Vertot, The History of the Knights Hospitallers of St. John of Jerusalem, Boston, 1757.
277. Luchaire, Achille, Histoire des institutions monarchiques de la France sous les premiers Capétiens (987-1180), Paris, 1891.

278. Lynda Garland, *Byzantine Empresses, Women and Power in Byzantium AD 527-1204*, New York, 1999.
279. Marawn Nader, *Burgesses and Burgess Law in the Latin Kingdoms of Jerusalem and Cyprus (1099-1325)*, Cornwall, 2006.
280. Marshall Baldwin, *Some Recent Interpretation of Pope Urban II's Eastren Policy*, C.H.R, Vol.25, No.4, (Jan., 1940).
281. Matthew Spinka, *Latin Church of the Early Crusades*, *Latin Church of the Early Crusades, Church History*, Vol.8, No.2, (Jun1939).
282. Mayer, *Studies in the History of Queen Melisende of Jerusalem*, D.O. Papers, vol.26, 1972.
283. Meade (Marion), *Eleanor of Aquitaine: A Biography*, London, 1977.
284. Michael Prestwich, *Edward I*, London, 1997.
285. Natasha Hodgson, *Women, Crusading And the Holy Land in Historical Narrtive*, Woodbridge, 2007.
286. Nersessian, *The Kingdom of Cilician Armenia*, in Setton, Vol. 2, London, 1969.
287. Nikolas Jaspert, *The Crusades*, Trans By. Phyllis Jestice, London, 2006.
288. Norah Lofts, *Eleanor the queen: the story of the most famous woman of the middle Ages*, New York, 1955.
289. Norman Daniel, *The Arabs and Mediaeval Europe*, London,

- 1975.
290. Olivia Remie Constable , " Funduq, Fondaco And Khan , in , The Wake Of Christian Commerce And Crusade ", in , The Crusades from the Prospective of Byzantium and the Muslim World , Angeliki E. Laiou And Roy Parviz Mottahdeh, D.O. 2001.
291. Oman, The Byzantine Empire, London, 1892,1908.
292. Palmer A. Throop, Criticism of Papal crusade policy in old French and provençal, *Speculum*, Vol.XIII, No.4, October, 1938.
293. Palmer A. Throop, Criticism of The Crusade, Philadelphia, 1975.
294. Peter Charanis, Aim of the Medieval Crusades and How They were viewed by Byzantium, *Church History*, Vol. 21, No.2, Cambridge, Jun1952.
295. Peter W. Edbury, Looking back on the Second Crusade: Some Late Twelfth- Century English Perspectives, From: The Second Crusade and The Cistercians, Edited By: Michael Gervers, New York, 1992.
296. Peter Edbury, " The Ibelin Counts of Jaffa: A Previously Unknown Passage from the Ligages d'Outremer", *English Historical Review*, 89, (1974).
297. ———, " Law and Custom in the Latin East: Les Letters dou Sepulcher", *Mediterranean Historical Review*, 10, 1995.

- 298.—, John of Ibelin and the Kingdom of Jerusalem, Woodbridge, 1997.
- 299.—, "Two Thirteen-Century Manuscripts Legal Texts from saint Jean d' Acre" , Journal of Warburg and Courtauld Institutes, Vol.57, 1994.
- 300.—, Propaganda and Faction in the Kingdom of Jerusalem, " The Background to Hattin", , in: crusaders and Muslims in Twelfth century Syria, Edited by: Maya Shatzmiller, New York, 1993.
- 301.Piers D. Mitchell, Medicine in the Crusades: Warfare, Wounds, and The Medieval Surgeon, Cambridge, 2004.
- 302.Pirie Gordon. H, "The Reigning Prices of Galilee", in E.H.R, Vol. 27, No.107, Julie,1912.
- 303.Ralph Bailey Yewdale, Bohemond I Prince of Antioch, Princeton, 1917.
- 304.Ralph Johannes Lilie, Byzantium and The Crusader States 1096-1204, Berlin, 1988.
305. Read, The Templar, Marin (Sean), The Knights Templar, Wales,1988.
- 306.Regan, Saladin and the Fall of Jerusalem, London, 1987.
- 307.Richard (J), Le Conte de Tripoli Sous La Dynastie Toulousaine, Paris, 1945.
- 308.—, The Eastern Chruchs, In:- The New Cambridge Medieval History, Vol. IV, C. 1024-C.1198, Part. I, Edited

By:- David Luscombe And Riley Smith, Cambridge, 2004.

309. Riley Smith, *Peace Never Established: The Case of The Kingdom of Jerusalem*, In: *The Royal Historical Society, Fifth Series*, Vol.28, 1978.
310. —, *The Motives of the Earliest Crusaders and the Settlement of Latin Palestine, 1095-1100*, *E.H.R*, Vol.98, No.389, Oct, 1983.
311. —, *The Feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem (1174-1277)*, London, 1973.
312. R.C.Smail, *Crusading Warfare, 1097-1193*, Cambridge, 1995.
313. R.C.Smail, *Latin Syria and The West, 1149-1187*, in: *The Royal Historical Society, Fifth Series*, Vol.19, 1969.
314. Robert Crawford, *William of Tyre and Maronites*, *Speculum*, Vol.30, No.2, (Apr1955).
315. Round (J.H), " *Some English Crusaders of Richard I*", in *E.H.R*, vol. 18, no.71, (Jul., 1903).
316. Sean Martin, *The Knight Templar*, Wales, 2004.
317. Sidney Painter, *The Houses of Lusignan and Chatellerault 1150-1250*, *Speculum*, Vol.30, No.3, (Jul.1955).
318. Sidney Painter, *The Lords of Lusignan in The Eleventh and Twelfth Centuries*, *Speculum*, Vol.32, No.1, (Jan.1957).
319. Sidney Painter, *The Third Crusade : Richard and Philip Augustus*, in *setton: The Later Crusades, 1189-1311*, Vol.II,

London, 1969.

320. Stanley Lane Poole, *Saladin and The Fall of The Kingdom of Jerusalem*, London, 1898.
321. Steven Runciman, *The First Crusade: Antioch to Ascalon*, in Setton, Vol.I, London, 1969.
322. Stevenson W.B, *The Crusaders in The East*, Cambridge, 1907.
323. Susan B. Edgington, *Medicine and Surgery in the Liver des Assises de la Cour des Bourgeois de Jerusalem*, *Al-Masaq*, Vol. 17, No.1, London, March 2005.
324. Thomas C. Van Cleve, *The fifth crusade*, in setton: *The Later Crusades, 1189-1311*, Vol.II, London, 1969.
325. Thomas Keightly, *The Crusaders or Scenes, Events, and Characters from the Times of the Crusades*, Elibron Classics, www.elibron.com.
326. Virginia G. Berry, *The Second Crusade*, In setton, *The first hundred years*, vol. I, London, 1969.
327. Walker, *On the increase of royal power in France under Philip Augustus*, London, 1888.
328. Wallace Fleming, *The History of Tyre*, New York, 1915.
329. Walter Besant, *Jerusalem, The City of Herod and Saladin*, London, 1871.
330. Walter Porges, *The clergy, The poor and noncombatants on the first crusade*, *Speculum*, Vol.II, No.I, Jan, 1946.

331. Weir, (Alison), Eleanor of Aquitaine , London, 2000.

332. Zoe Oldenbourg, The Crusades, New York, 1967.

الدوريات العربية:

٣٣٣. إبراهيم القادري بوتشيش، "مجتمع الصليبيين في بلاد الشام من خلال الإسطوغرافيا الإسلامية المعاصرة للحروب الصليبية"، رؤية الآخر، التعارف والتعاش، مجلة التاريخ العربي، العدد: ١٧، ط. القاهرة، ٢٠٠١م.

٣٣٤. إبراهيم بن حمود المشيقي، "دراسة مقارنة لمشاهدات الرحالة عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في مدينة صور أثناء الحروب الصليبية (١١٢٤م/٥١٨هـ-١٢٩١م/٦٩٠هـ)، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، العدد: ٢٤، ١٩٩٩م.

٣٣٥. أسامة زكي زيد، "ملكات بيت المقدس في القرن الثاني عشر الميلادي - القرن السادس الهجري"، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، العدد الثامن، ١٩٩٥م.

٣٣٦. جمال زكي، "المؤرخ وليم الصوري في ميزان النقد التاريخي"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد: ٨٥، السنة ٢٢، شتاء، ٢٠٠٤م.

٣٣٧. حاتم الطحاوي، "القانون البحري لمملكة بيت المقدس الصليبية، قراءة في مجموعة قوانين بيت المقدس"، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد (٥٨)، عدد (٤)، أكتوبر ١٩٩٨.

٣٣٨. حسن أحمد البطاوي، "العلاقة بين الصليبيين في الشرق والوافدين الجدد من الغرب الأوربي (٤٩٢-٥٨٢هـ/١٠٩٩-١١٨٧م)، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٣٣، أكتوبر-ديسمبر، ٢٠٠٥م.

٣٣٩. حسين عطية، "طبائع الفرنج في الحملات الصليبية في ضوء المصادر اللاتينية"، ضمن كتاب، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ط. الإسكندرية، ٢٠٠٠م.

٣٤٠. —، "قوانين مملكة بيت المقدس الصليبية في ضوء المصادر الصليبية المعاصرة"، بحث مقدم للجنة الترقية.

٣٤١. —، "مجلس نابلس ٢٣ يناير ١١٢٠م وأحوال مملكة بيت المقدس

الصليبية"، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، المجلد الأول، الجزء الأول، ط. القاهرة، ٢٠٠٠-٢٠٠١ م.

٣٤٢. — "المسلمون في الإمارات الصليبية في بلاد الشام"، حولية كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد: السابع والعشرون، العدد: الثاني، ط. القاهرة، ١٩٩٩ م.

٣٤٣. رياض مصطفى شاهين، "هدنة الرملة والظروف المحيطة بها"، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع، العدد الأول، كلية الآداب، ط. غزة، ٢٠٠١ م.

٣٤٤. سعيد عبد الفتاح عاشور، "ملامح المجتمع الصليبي في بلاد الشام"، مجلة المستقبل العربي، العدد: ١٠٢، ط. بيروت، ١٩٨٧/٨ م.

٣٤٥. سهر محمد إبراهيم نعينع، "علاقات مصر التجارية بمدينة أمالفي في العصور الوسطى"، ندوة: طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ، منشورات إتحاد المؤرخين العرب، العدد (٨)، القاهرة، ٢٠٠٠ م.

٣٤٦. عمر كمال توفيق، "المؤرخ وليم الصوري"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، م (٢١)، عام ١٩٦٧ م.

٣٤٧. قاسم عبده قاسم، "صورة المقاتل الصليبي في المصادر العربية"، (دراسة مقارنة عن فترة الحملات الثلاث الأولى من ١٠٩٧-١١٩٣ م)، المجلة المصرية التاريخية، العدد: ٢٨، ط. القاهرة، ١٩٨١ م.

٣٤٨. عبد المجيد بهيني، "أوضاع المسلمين تحت الإدارة الصليبية من خلال رحلة ابن جبير"، (النصوص - التوظيف - الواقع التاريخي)، مجلة التاريخ العربي، العدد: ١١، ط. القاهرة، ١٩٩٩ م.

٣٤٩. محمد فوزي مصري رحيل، نهاية الصليبيين، (فتح عكا ٦٤٨-٦٩٠هـ/١٢٥٠-١٢٩١م)، عين للدراسات والبحوث الانسانية، ط. القاهرة، ٢٠٠٩ م.

٣٥٠. محمد مؤنس عوض، "أضواء على مستعمرة البيرة الصليبية"، مركز بحوث

- الشرق الأوسط، العدد العاشر، مارس ٢٠٠٢ م.
٣٥١. — " بلدوين الأول (١١٠٠-١١١٨ م)، وصلاح الدين الأيوبي (١١٧١-١١٩٣ م)، ملك وسلطان من عصر الحروب الصليبية"، مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد الرابع والعشرون، جامعة عين شمس، القاهرة، مارس ٢٠٠٩ م.
٣٥٢. — " القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين في تاريخ الصليبيين في الشرق، إتفاقات وإختلافات"، مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد الرابع والعشرون، جامعة عين شمس، القاهرة، مارس ٢٠٠٩ م.
٣٥٣. — ، وليم الصوري مؤرخاً للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية في المرحلة من ١١٣٧-١١٥٠ م/٥٣٢-٥٤٥ هـ، سلسلة دراسات شرق أوسطية، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، ط. القاهرة، ١٩٩٥ م.
٣٥٤. محمود الرويض، محمد سالم الطراونة، " دور الأرمن في تأسيس إمارتي الرها وأنطاكية الصليبيتين (٤٩٠-٤٩١ هـ / ١٠٩٧ - ١٠٩٨ م)"، حوليات آداب عين شمس، المجلد: ٣٠، يوليه - سبتمبر ٢٠٠٢ م.
٣٥٥. مصطفى حسن محمد الكناني، " اتفاقية بين فليب أوغسطس ملك فرنسا و القومون الجنوبي (١١٩٠ م/٥٨٦ هـ) "، مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، العدد: ١١، ١٩٩٢ م.
٣٥٦. ناجلا محمد عبد النبي، " المسلمون في مملكة بيت المقدس الصليبية "، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد: ٢١، ١٩٩٦ م.
٣٥٧. نزيه شحاده، "بيروت تحت وطأة المواجهات الصليبية الإسلامية (١٠٩٧- ١٢٩١ م/٤٩٠-٦٩٠ هـ)"، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد: الثامن والثلاثون، يوليو ١٩٩٩.
- الرسائل العلمية:
٣٥٨. إبراهيم سعيد فهمي محمود، يافا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي (

- ١٠٩٩-١٢٩١م/٤٩٢-٦٩٠هـ)، رسالة ماجستير، ط. الأسكندرية، ١٩٩١م.
٣٥٩. أحمد عبد المجيد محمد، أحكام ولد الزنا في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠٨م.
٣٦٠. أحمد عبدالله أحمد، التجارة في الساحل الشامي في القرنين ١٢، ١٣م/٦، ٧هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٦م.
٣٦١. أحمد فرج، الحملات الصليبية الفرعية على الشرق الأدنى الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٦م.
٣٦٢. أسامة سيد علي أحمد، الساحل الشامي في القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ط. القاهرة ١٩٩٢م.
٣٦٣. جرجس فام ميخائيل، الأحوال السياسية لمملكة بيت المقدس لصليبية وعلاقاتها الخارجية (١١٩١-١٢٩١م/ ٥٨١-٦٩٠هـ)، رسالة دكتوراه، جامعة الزقازيق، ١٩٨٩م.
٣٦٤. حجازي عبد المنعم عبد الحفيظ، السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك عموري الأول (١١٦٣-١١٧٤م/ ٥٥٨-٥٦٩هـ)، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة المنوفية، ٢٠٠٦م.
٣٦٥. حنان عبد الحميد محمد عبد الهادي، دور بيزه في العلاقات الصليبية الإسلامية في مصر والشام حتى نهاية الدولة الأيوبية (١٠٩٥-١٢٥٠م/ ٤٨٨-٦٤٨هـ)، رسالة ماجستير، ط. الأسكندرية ١٩٩٦م.
٣٦٦. سرور علي عبد المنعم علي، السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك فولك الأنجوي (١١٣١-١١٤٣م/ ٥٢٦-٥٣٨هـ)، رسالة دكتوراه، كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٣٦٧. سعيد السيد علي فرغلي، آل كورتناي ودورهم في الصراع الإسلامي الصليبي، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٢م.

٣٦٨. سهير محمد مليجي علي، المرأة الصليبية في بلاد الشام (١٠٩٨-١٢٦٨ م)، رسالة دكتوراه، كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٢ م.
٣٦٩. صبري ناصر حمد مكين، جودفري البولوني ودوره في العدوان الصليبي على بلاد المسلمين (أسيا الصغرى وبلاد الشام) (٤٨٨-٤٩٣ هـ/١٠٩٥-١١٠٠ م)، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩ هـ.
٣٧٠. عبد السلام محمد زيدان، الدعوة للحروب الصليبية على بلاد الشام (١٠٩٥-١١٨٩ م)، رسالة دكتوراه، أسيوط، ٢٠٠٤ م.
٣٧١. على السيد على، المجتمع المسيحي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة ١٩٧٩ م.
٣٧٢. محمد عبد الله محمد مهيب المقدم، الإغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، ط. المنصورة، ٢٠٠٥ م.
٣٧٣. محمد فوزي مصري رحيل، مملكة عكا الصليبية، دراسة في عوامل الإنهيار والسقوط (٦٤٨-٦٩٠ هـ / ١٢٥٠-١٢٩١ م)، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٨ م.
٣٧٤. ياسر كامل محمود، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الرابع، (١١٧٤-١١٨٥ م/٥٧٠-٥٨١ هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، أسيوط، ٢٠٠٨ م.
- المواقع الالكترونية:-

375. <http://www.study-in-germany.de/arabic/4.545.3.4202.html>.

376. www.deremilitari.org.

377. <http://fadilrammo.com/forum/showthread.php?p=5138>

الفهرس

٧	تقديم
٩	المقدمة
١٧	دراسة نقدية للمصادر والمراجع
٢٧	الفصل الأول: عوامل ظهور الجريمة في المجتمع الصليبي
٦٥	الفصل الثاني: جريمة القتل
١٠٥	الفصل الثالث: جريمة الزنا
١٤١	الفصل الرابع: جريمة الرشوة
١٦٩	الفصل الخامس: القوانين والعقوبات ومدى تطبيقها داخل المجتمع الصليبي ..
٢٠٣	الخاتمة
٢٠٧	الملاحق
٢١٩	قائمة المصادر والمراجع
٢٥٩	الفهرس

